الصليب

وسبع معجزات الجلجثة

للقس أغسطينوس حنا

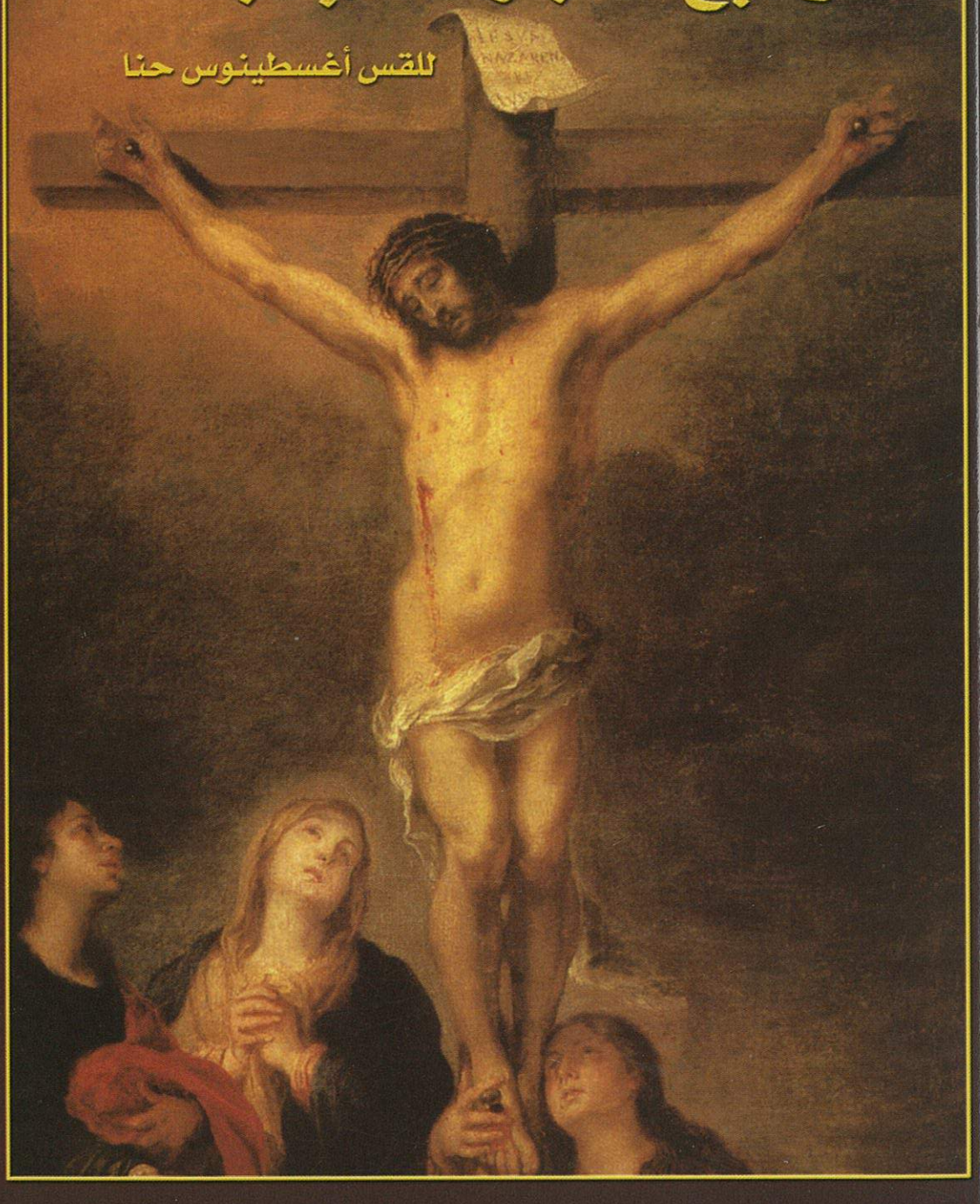

مقدمة

إن مفتاح الحياة عند قدماء المصريين كان على شكل صليب. فهل كان ذلك مصادفة أم نبوة من أقدم وأعظم حضارة فى تاريخ البشرية!

وتضمنت أسفار العهد القديم أكثر من مائة نبوة ورمز عن الصليب، قبل مجئ المسيح بمئات وألوف السنين، ذكرنا منها فى هذا الكتاب فصلاً عن إتمام ٢٤ نبوة فى الأربعة وعشرين ساعة الأخيرة من حياة المسيح، وفصلاً آخر عن رموز الصليب فى العهد القديم.

وبعد أن كان الصليب وسيلة إعدام، أصبح رمزاً للحياة والخلاص ورجاء الحياة الأبدية. ولذلك تجد مساحات شاسعة من مقابر المسيحيين حول العالم فى كل زمان تحوّلت الى حقول صلبان إذ صار الصليب باباً للرجاء ومفتاحاً للسماء.

وقد تسابق الفنانون والموسيقيون والشعراء فى التغنى بالصليب، وحفلت متاحف العالم الكبرى مثل اللوفر وفلورنسا وموسكو ولندن والفاتيكان وغيرها بأعظم اللوحات وكتبت روائع الأناشيد والمقطوعات الموسيقية التى تدور حول الصليب.

ووضعت الدول المسيحية الصليب على تيجان الملوك وعلى منارات الكنائس وعلى ملابس الكهنة، وصار الصليب مادة للمجوهرات التى تتحلىّ بها النساء.

وبقدر ما أحب المسيح العالم حتى بذل نفسه لأجل خلاص كل انسان، بقدر ما أحب المؤمنون الصليب وزينوا به منازلهم ومكاتبهم ومتاجرهم. وتبوأ الصليب مكان الصدارة حتى انك لا تجد فى بيوت المسيحيين صور تجلىّ المسيح أو صور معجزات المسيح، بينما تجد فى كل بيت وربما فى كل حجرة صليباً، لأن الصليب أضحى رمز الحب والغفران والحماية والأمان.

إن الصليب الذى اعتبره الفلاسفة جهالة كان هو تصميم الله للتوفيق بين عدله ورحمته بكل حكمة ليست من هذا الدهر ... انه السر المكتوم منذ الدهور. والصليب هو قوّة الله التى سحقت الشيطان.

ويروى التاريخ أن مجموعة من اليونانيين زاروا القديس الأنبا انطونيوس وتناقشوا معه عن صعوبة فهم الصليب. وبينما هم يتباحثون أحضروا للقديس مريضاً به شيطان تنتابه تشنجات وصرع فسألهم القديس الأنبا انطونيوس هل تستطيعون أن تشفوا هذا الرجل المريض بفلسفة سقراط وأرسطو وأفلاطون؟؟

فقالوا له طبعاً لا. أجابهم أما أنا فساريكم قوة الصليب. وقام برشم علامة الصليب على

المريض فصرخ الشيطان وخرج وهرب وشفى المريض تماماً فتعجبوا وآمنوا.

المعروف أن المسيح المصلوب نطق بسبع كلمات على الصليب، وانه قام بتطبيق كل التعاليم التى علّم بها فى حياته، قد نفذها على الصليب. ولكن الذى لا يعرفه الكثيرون أن السيد المسيح قام بعمل سبع معجزات أيضاً، معظمها وهو على الصليب بإستثناء معجزة القيامة والأكفان المرتّبة فى القبر الفارغ بعد القيامة. وسوف تجد أيها القارئ العزيز فصلاً كاملاً عن ذلك فى هذا الكتاب.

تضمن هذا الكتاب المتواضع اثنين وعشرين موضوعاً عن الصليب، ألقىّ بعضها كعظات بكنيسة ماريوحنا فى أيام الجمعة العظيمة، وكتب بعضها كمقالات نشرت بمجلة ماريوحنا وأضيف بعض الموضوعات الجديدة.

ولاشك ان موضوعات الحديث عن الصليب لا تنضب ولا تنتهى، ولكنى حرصت على أن يصدر هذا الكتاب قبل أسبوع الالام لهذا العام، واذا مدّ الرب فى عمرى فربما يضاف الى هذا الكتاب فصولاً اخرى، أو يتبعه أجزاء اخرى.

أرجو أن يبارك الرب هذا الكتاب لمجد أسمه وبركة وبنيان القراء. آميـــن.

القس أغسطينوس راغب حنا

أسبوع الآلام لسنة ٢٠١٠

فهرس

١ – الصليب العجيب	٥
٢ – كرسى عرش الصليب	١١
٣ – علامة (إشارة) الصليب	٢٢
٤ – هوذا أعظم من ايوب ههنا	٢٦
٥ – ٢٤ نبوة تتحقق فى الـ ٢٤ ساعة الأخيرة	٣٢
٦ – الصليب فى سفر نشيد الأنشاد	٣٦
٧ – آثار الجروح	٤١
٨ – المسيح حمل أشواكنا	٤٤
٩ – أشعياء ونظرته التلسكوبية لالام المسيح	٤٧
١٠ – آلام المسيح وأمجاده فى سفر زكريا	٤٩
١١ – نقرة الصخرة	٥٣
١٢ – ظُلم	٥٦
١٣ – الخشب الغاطس والحديد العائم	٦٢
١٤ – الصليب والفداء	٦٥
١٥ – أشواك الصليب تنبت ورد القيامة	٧١
١٦ – الصليب عَلَم وعلامة	٧٦
١٧ – عشرة أعمال اساسية لدم المسيح	٨٤
١٨ – رموز وظلال الصليب فى العهد القديم	٨٩
١٩ – سبع معجزات الجلجثة	١٠٢
٢٠ – أبعاد الصليب	١٢٥
٢١–جاذبية الصليب	١٢٩
٢٢– صليب المسيح وصليب المؤمنين	١٣٤

الصليب العجيب

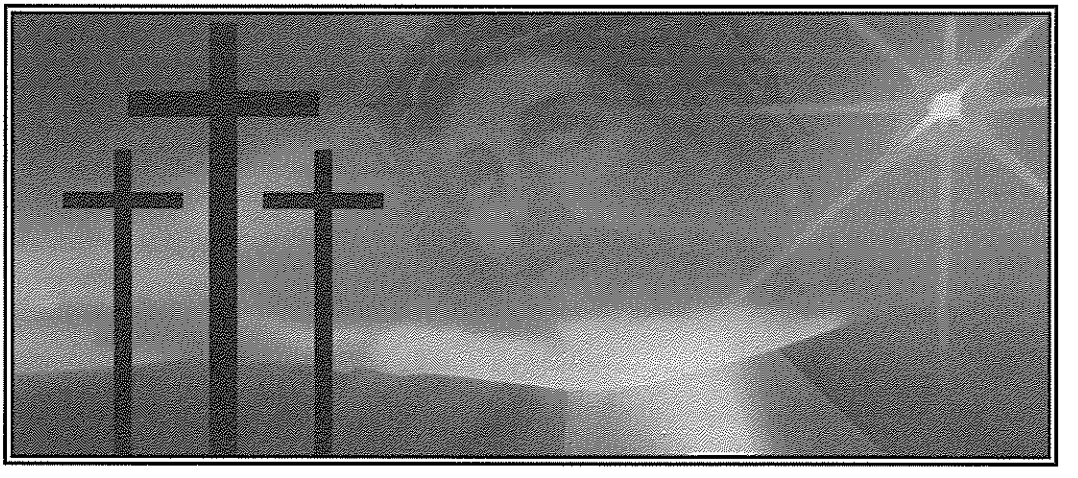

الصليب هو شعار المسيحية وقلبها النابض. وهو سر تدبير الله الأزلى لخلاص الإنسان "السر المكتوم منذ الدهر" والذى به سحق راس الحية القديمة إبليس، وفتح لنا به طريق السماء.

وقد سمّى الرب يسوع الصليب 'بعلامة ابن الإنسان' عندما تحدث عن علامات مجيئه الثانى وانقضاء الدهر فقال" وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السموات تتزعزع. **وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء . . .**" (مت٢٤ : ٣٠).

قال أحد الناقدين العصريين: "إن المسيحية ديانة رائعة بتعاليمها ومعجزاتها ولا يعيبها إلا شئ واحد هو الصليب الذى لو رفع منها لصارت ديانة مثالية!" ولم يدرى هذا المسكين أن المسيح لو عاش بدل الثلاثة والثلاثين سنة، ثلاثة وثلاثين ألف سنة يُعلم ويصنع المعجزات دون أن يصلب، لهلك العالم كله ولم يستفد شيئاً. إن الصليب هو المسيحية والمسيحية هى الصليب.

قالت طفلة لإمها: "كلك جميل يا أماّه إلا يديك المشوهتين". فقالت لها أمها: "اسمعى القصة يا أبنتى: عندما كنت حديثة الولادة فى مهدك شبّ حريق فى بيتنا وأحاطت النار بسريرك وكادت تلتهمك فاقتحمت أنا النيران وأنتشلتك من وسط النار وأنقذتك ولكن يدىّ احترقتا".

وهنا بكت الطفلة وارتمت فى أحضان أمها تقبل يديها بدموع وتقول: "كلك جميلة يا أمى وأجمل ما فيكِ هو يديك اللتين احترقتا من أجلى".

اما أن الصليب عجيب فلأن تدبير الله للخلاص به يفوق العقل وقد تساءل اشعياء النبى عنه بقوله: "يارب من صدّق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب؟" (أش٥٣).

فى الصليب حب وفيه حرب:

فى الصليب حب . .

"هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣ : ١٦). هذه الآية الذهبية هى ملخص الإنجيل كله، يجب أن يحفظها ويتغنى بها كل مؤمن. **"فليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه"** (يو١٥ : ١٣)، علماً بأننا لم نكن أحباء بل أعداء وأشرار وفجار (رو٥) وقد حاول الرسول بولس أن يصف مقدار عظمة محبة المسيح التى ظهرت فى صليبه فقال: **"حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة"** (أف٣ : ١٨).

حقاً أنها محبة فائقة المعرفة والأدراك . . طول وعرض ذراعى المصلوب يكفيان لاحتضان جميع البشر فى كل الأجيال، وعلوّه يصل إلى السماء التى جاء منها معبّراً عن محبة الله، وأما عمقه فيمثل النزول إلى الجحيم ليفتدى وينقذ الأرواح التى كانت فى الهاوية تحت سلطان الشيطان. ولذلك نقول فى القداس أنه **"نزل الى الجحيم من قبل الصليب"**.

ويظهر هذا الحب فى قول الرب بروح النبوة **"هوذا على كفىّ نقشتك"** (أش٤٩ : ١٦). لقد نقش الرب يسوع أسماءنا على كفيه بمسامير الصليب! ولما أراد أن يجيب على سؤال زكريا النبى **"ما هذه الجروح فى يديك؟"** أجاب: **"هى التى جُرحت بها فى بيت أحبائى"** (زك١٣ :٦). نعم فى الصليب نرى الحب الإلهى الذى تغنى به المرنم حين قال:

حُبك الحب العجيب — فاق إدراك العقول
لم يكن هول الصليب — دون ذا الحب يحول

فهو كالموت قوى — ناره لظى الإله
لا بسيل ينطفى — أو بكثرة المياه

ليس من حدٍ له — أوقياس أو قرار
كل فكر للورى — عند ذا الحب يحار

وقال أمير الشعراء شوقى بك عن الصليب:

يا فاتح القدس خلّى السيف جانبا — ليس الصليب حديداً كان بل خشبا
وإذا نظرت إلى اين أمتدت يده — وكيف جاوز سلطانه القُطبا
عرفت أن خلف الضعف مقدرةً — وأن للحق لا للقوة الغلبا

فى الصليب حرب . .

يعتقد البعض أن الصليب هو رمز السلام والحب والتضحية فقط، فى حين أنه يشير أيضاً إلى الحرب الروحية ضد مملكة إبليس. وهذا ما عناه الرب يسوع بقوله: "ماجئت لألقى سلاماً بل سيفاً (مت١٠ : ٣٤). أنه لا يقصد طبعاً الحرب بالمفهوم الحرفى التى تبيح القتل لأنه رد على تلميذه بطرس عندما أراد استعمال السيف فى الدفاع عنه: "رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون" (مت٢٦ : ٥٢). ولكنه قصد السيف بالمفهوم الروحى والرمزى أى الحرب الروحية. انها ضد الشيطان وشرور العالم. **ونجد فى رموز العهد القديم ظلالاً لذلك:**

لما خرج بنو اسرائيل من مصر ووصلوا فى البرية إلى منطقة رفيديم تصدّى لهم أحد الأعداء **وأتى عماليق وحارب إسرائيلَ فكانت النصرة لشعب الله عن طريق رفع موسى يديه للصلاة على هيئة صليب بينما يشوع يحارب.**

واذا كان غرق فرعون فى البحر الأحمر يُمثل غرق الشيطان (العدو الروحى الأول) فى مياه المعمودية، والمعمودية تستمد قوتها من الصليب الذى به سحق المسيح رأس الحية إبليس بالصليب (تك٣ : ١٥ ، كو٢ : ١٤)، **فإن عماليق يمثل العدو الروحى الثانى الذى هو الجسد**، بإعتبار أن عماليق هو حفيد عيسو الذى احتقر البركة وباع بكوريته من أجل أكلة عدس (تك٣٦ : ١٢ ، ٢٥ : ٣٤ ، عب١٢ : ١٦).

أيضاً رأى الإمبراطور قسطنطين فى القرن الرابع علامة الصليب وسط أحد حروبه وسمع صوتاً يقول له "بهذه العلامة تغلبُ" وآمن وانتصر وأصدر منشور التسامح الدينى وأبطل الاضطهاد الدموى المريع الذى تعرضت له المسيحية خلال الثلاثة قرون السابقة، وأعلن المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية.

ويصف الرسول بولس هذه الحرب الروحية الشرسة التى يشنّها الشيطان وأعوانه على كنيسة المسيح وأولاده بقوله: **"أن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء والسلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماويات . . من أجل ذلك ألبسوا سلاح الله الكامل . . لكى تقدروا أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة** (أف٦ : ١٠). ويقول فى موضع آخر **"أن أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون** هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح" (٢كو١٠ : ٣). **أنها حرب شرسة مع أبواب الجحيم التى انفتحت علينا، والشيطان الذى "أراد أن يغربلنا كالحنطة** (لو٢٢ : ٣١).

ومما يزيد هذه الحرب ضراوة أنها حرب خفيّة مع عدو رهيب غير منظور، وهذا العدو الخبيث لا ينام ويعمل بكل جهد ليل نهار لهدم ملكوت الله وكنيسة المسيح وخلاص نفوسنا ومنع تقدمنا وأحياناً "يغيّر شكله إلى شبه ملاك نورٍ (٢كو١١ : ١٤).

والعجيب أن الشيطان يستطيع أن يخدع ويغش أشخاصاً متدينين غير محترسين ويتكلم على أفواههم أحياناً لتعطيل مقاصد الله كما قال بطرس للمسيح "حاشاك يارب أن تصلب" فقال الرب له "إذهب عنى يا شيطان أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس!" (مت١٦ : ٢٣).

أما أهم وسائط الغلبة والنصرة النهائية على هذا العدو فقد لخصها لنا سفر الرؤيا فى ثلاثة أسلحة حين قال: 'وهم غلبوه بدم الخروف - الصليب أو التناول من دم المسيح كامتداد للصليب - وبكلمة شهادتهم ولم يحبُوا حياتهم حتى الموت' (رؤ١٢ : ١١).

أن كلمات ذلك الشاعر الأزهرى المتنصر تعطينا تشجيعاً وعزاء:

يا سائحاً نحو السماء تشدّدا — أنت الحبيب فلا تخف شر العدِى

إن انتصارك بالصليب مؤكداً — بـل أننـى أعددت عندى للمدى

لك منزلاً فى غاية التزيين

وها أنا آتى سريعاً بغتة — إيـاك أن تنسى مجيئى لـحظة

بل فانتظره دقيقة فدقيقة — حتـى تنـال مع العريس وليمة

هيأتها لجميع من أحبونى

فى الصليب برّ . . وفى الصليب مُرّ

فى الصليب بر . .

لقد ظهر بر الله الكامل فى صليب المسيح حيث دفع أجرة خطايانا ومات عنّا وبادلنا مكانه فأعطانا برّه وهكذا برّرنا بدمه أى جعلنا أبراراً فى شخصه. وهذه عقيدتنا فى التبرير كما يشرحها الرسول بولس بقوله **'الله جعل الذى لم يعرف خطية (أى المسيح) خطية (أو ذبيحة خطية على الصليب) لأجلنا لنصير نحن برّ الله فيهِ** (٢كو٥ : ٢١)، أو كما يشرحها فى رسالته إلى رومية أصحاحى ٣ ، ٤ ومؤداه أن التبرير بدم المسيح المصلوب يتضمن ثلاثة حقائق أساسية استناداً الى اقتباسه من مزمور ٣٢ "طوبى لمن غفر اثمه وسُترت خطيته، طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية . . ."

(١) غفران خطايانا.

(٢) عدم احتسابها علينا إذ حسبت على المسيح الفادى علىالصليب.

(٣) حصولنا بالإيمان على بر الله فى المسيح.

فيقول: "متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لاظهار برّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة" (رو٣ : ٢٤).

واذا كان الرسول بولس قد تناول هنا جانب النعمة فى التبرير بالايمان بدم الفادى المسيح المصلوب، فقد أضاف يعقوب الرسول بأنه حتى يكمل خلاصنا فعلينا مسئولية ان نعيش حياة البر بالاعمال الصالحة فقال ان ابراهيم تبرر بالأعمال أيضاً إذ قدم ابنه اسحق ذبيحة على مثال الصليب ايضاً (يع٢ : ٢٢).

وفي الصليب مر . .

لقد قدم المُر للمسيح ضمن هدايا ميلاده وقال سمعان الشيخ لأُمه العذراء "يجوز فى نفسك سيف". ولم يمكن أن تعبر كأس المر عن الفادى بل شربها كاملة واحتمل مرارة خطايانا ومرارة عقوبتها كما هو مكتوب "الذى حمل هو نفسه قصاص خطايانا فى جسده على الخشبة" (١بط٢ : ٢٤)، وقال "الكأس التى أعطانى الآب الا أشربها" وقصاص خطايانا هو الجحيم الذى اكتوى به المسيح بدلاً منا على الصليب إذ يقول "استيقظ ياسيف على راعى" (زك١٣ : ٧).

فى الصليب مصالحة . . . وفيه مسامحة

فى الصليب مصالحة . .

'أن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهمْ (كو٥ : ١٩)، وأيضاً . . يقول الرسول بولس **'عاملاً الصلح بدم صليبهْ** (٢كو١ : ٢٠). لقد حقق المسيح أمنية أيوب حين قال "ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا" (أى٩ : ٣٣).

وتبدأ الكنيسة القداس الإلهى بصلاة الصلح وبالقبلة الرسولية عملاً بوصية السيد "إذهب أولاً اصطلح مع أخيك وحينئذ تعال وقدم قربانك" (مت٥ : ٢٣).

وفى الصليب مسامحة . . فكانت أول كلمات يسوع المصلوب على الصليب هى 'يا أبتاه أغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلونْ (لو٢٣ : ٣٤). وإكرامنا للصليب يقتضى غفراننا للمسيئين الى ٧٠ مرة ٧ مرات.

فى الصليب شفاء وفيه عزاء ورجاء

فى الصليب شفاء ودواء:

عندما تذمّر الشعب قديماً على المن السماوى وقالوا "كرهت أنفسنا هذا الطعام السخيف"، عاقبهم الله بتسليط الحيات السامة المحرقة التى لدغت عدداً ضخماً منهم فماتوا (عد٢١).

وكان العلاج الإلهى للخلاص والشفاء لكل من لدغته حيّة هو النظر إلى الحية النحاسية التى كانت تشير إلى الصليب حسب تفسير رب المجد نفسه **'وكما رفع موسى الحيّة فى البرية هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الإنسان – على الصليب – لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية** (يو٣ : ١٤ ، عد٢١ ، ١كو١٠ : ٩).

وفى الصليب عزاء ورجاء:

عندما لم يستطع الشعب الشرب من مياه مارة المُرة كان العلاج فى الشجرة الخضراء التى ترمز للصليب والتى بألقائها فى المياه المُرة ذهبت مرارتها وتحولت إلى مياه عذبة (خر١٥ : ٢٢).

ولذلك تعزى الكنيسة أبناءها عند انتقال أحد المؤمنين بصلاة اليوم الثالث تطبيقاً لهذا الرمز الجميل بالصلاة على ماء ونبات أخضر لتذكيرهم بالصليب وقيامة الرب فى اليوم الثالث وحدوث هذه المعجزة، وأن مرارة الموت قد تحوّلت لعذوبة القيامة والإنطلاق للفردوس حيث وصل الى واحة ايليم التى بها ١٢ عين ماء عذبة، و٧٠ نخلة وهى تشير الي بركات الأنجيل وعصر النعمة ممثلة فى البشارة المفرحة للأثنى عشر رسولاً والسبعين تلميذاً فتحولت لنا العقوبة خلاصاً وابتُلع الموت إلى غلبة. وهكذا صار لنا الصليب مفتاحاً للرجاء والسماء.

لهذا نحن نحب الصليب ونقدسه ونفتخر به لأنه رمز عمق محبة الله لنا، وسلاحنا فى الحرب الروحية ضد أعدائنا الروحيين – الخطية والموت والشيطان والعالم والجسد – ونتمتع بعطاياه من البّر والتطهير والفداء والشفاء والعزاء والغفران والمصالحة والمسامحة ورجاء المجد والحياة الأبدية.

وهكذا يحق لنا ان نقول مع الرسول بولس:

"حاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به صُلب العالم لى وأنا للعالم" (غل٦ :١٤).

كرسى عرش الصليب

(عظة يوم الجمعة العظيمة ٢٤ ابريل عام ٢٠٠٨ بكنيسة ماريوحنا - كاليفورنيا)

من أشهر وأطول وأقدم ألحان الجمعة العظيمة فى الكنيسة القبطية لحن "بيكوثرونوس" وهو عن الآية الواردة فى مزمور٤٥ : ٦ التى تقول

ʿكرسيّكʾ (او عرشك) يا الله الى دهر الدهورʾ.

وهذا المزمور هو من المزامير المسيانية عن رب المجد يسوع المسيح والذى يخاطب فيه داود النبى المسيح بروح النبوة قائلاً: **ʿأنت ابرع جمالاً من بنى البشر انسكبت النعمة على شفتيكʾ.** وقد فسر لنا الرسول بولس – بالروح القدس – هذا المزمور وطبقه على السيد المسيح في الأصحاح الأول من الرسالة الى العبرانيين فى معرض المقارنة بين السيد المسيح فى رتبته الآلهية وكم هو أعظم من الملائكة كعبيد وخدام له، فقال:**ʿالله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثاً لكل شئ الذى به عمل العالمين ، الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته** بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعالى صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث إسماً أفضل منهم. لأنه لمن من الملائكة قال قط أنت ابنى أنا اليوم ولدتك. وأيضا انا كون لهُ أباً وهو يكون لى ابناً. وأيضاً متى أُدخل البكر الى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله. وعن الملائكة يقول الصانع ملائكته رياحاً وخدامه لهيب نار.

وأما عن الأبن كرسيك يا الله الى دهر الدهور . . . .ʾ (عب ١ : ١–٨).

ونحن نصلى فى اول مزامير الساعة التاسعة – حسب الترجمة القبطية – قائلين :**ʿالرب قد ملك على خشبة، والأشارة هنا الى خشبة الصليب** التى انتزع بها المسيح سلطان رئيس هذا العالم، اى الشيطان، وسحق رأسه كما يتضح من هذه الآيات المقدسة:**ʿالمسيح محا الصك الذى علينا الذى كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مُسمراً إياه بالصليب. إذ جرد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيهʾ** (كولوسى ٢ : ١٤ ، ١٥). "فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم واشترك **أيضاً كذلك فيهما لكى يُبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى ابليسʾ** (عب ٢ : ١٤) **ويقول الرسول يوحنا ʿلهذا أُظهر ابن الله لكى ينقض اعمال ابليسʾ** (١يو : ٣ – ٨) وقال الرب يسوع **ʿلأجل هذا أتيت الى هذه الساعه (الصليب). . . الآن دينونة هذا العالم. الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً. وأنا ان إرتفعت عن الأرض (الى الصليب) أجذب اليّ الجميع. قال هذا مشيراً الى أية ميتة كان مزمعاً أن يموتʾ** (يو ١٢: ٢٧– ٣٢).

قديماً تساءل أشعياء النبى "هل تُسلب من الجبار غنيمة وهل يفلت سبى المنصور؟ فإنه هكذا قال الرب حتى سبى الجبار يُسلب وغنيمة العاتى تفلت" (اش ٤٩ : ٢٤). وقد إشار المسيح الى نفس هذه الحقيقة فى رده على الفريسيين الذين زعموا أنه ببعلزبول يخرج الشياطين فقال "كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت القوى وينهب أمتعته ان لم يربط القوى أولاً وحينئذ ينهب بيته" (مت ١٢ :٢٩).

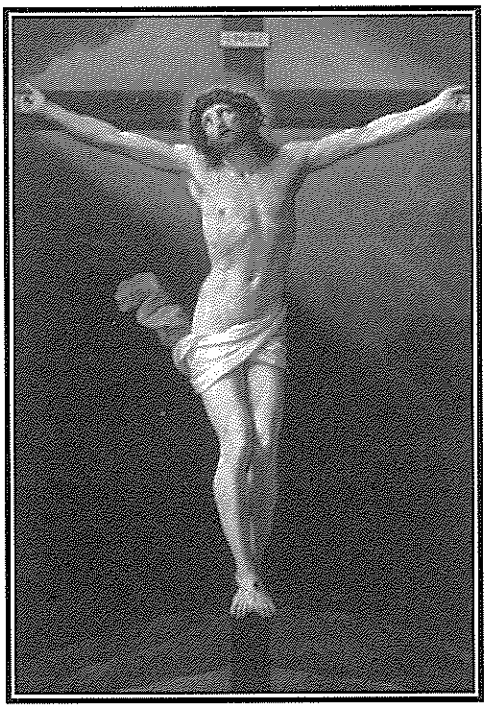

وصفان لكرسى عرش سليمان:

تضمن الكتاب المقدس وصفين لكرسى عرش سليمان:

الأول تاريخى حقيقى يذكر في سفر الملوك الأول الأصحاح ١٠ : ١٨ ، ١٩

والثانى رمزى وروحى أروع من الأول ورد فى سفر نشيد الأنشاد (نش٣ : ٩ ، ١٠).

جاء فى الوصف الأول "**وعمل الملك كرسياً عظيماً من عاج وغشّاه بذهب إبريز. وللكرسى ست درجات** . . . وأسدان واقفان بجانب اليدين. وأثنا عشر أسداً واقفة هناك **على الدرجات الست** من هنا وهناك. لم يُعمل مثله فى جميع الممالك" (امل ١٠ : ١٨ – ٢٠). وسوف أشير الى الوصف الرمزى لعرش سليمان فى حينه.

وقبل ان أتحدث عن الست درجات لعرش سليمان أحب أن أشير الى سلم يعقوب الذى رأسه فى السماء وقاعدته على الأرض والملائكة صاعدة ونازلة عليه (تك ٢٨ : ١٢-١٤). وقد فسر المسيح هذا السلم على نفسه وتجسده فى انجيل يوحنا (١ : ٥١) " **من الآن ترون السموات مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان**".

ولكن لماذا كان لكرسى عرش سليمان ست درجات بالذات؟

أليس فى هذا إشارة جميلة ودقيقة لصليب المسيح الذى حدث في اليوم السادس (الجمعة) وفى الساعة السادسة والذى نقول عنه كل يوم فى صلاة الساعة السادسة :"يا من فى اليوم السادس وفى الساعة السادسة سُمرت على الصليب من أجل الخطية التى تجرأ عليها ابونا آدم فى الفردوس" !

"هوذا أعظم من سليمان ههنا

ان عرش المسيح هو أعظم بما لا يقاس من عرش سليمان، والذى به مَلَك المسيح على قلوب ملايين وبلايين البشر عبر الأجيال من مشارق الشمس الى مغاربها ومن الشمال الى الجنوب.

وما أجمل كلمات هذه الترنيمة التى سمعت الجماهير تنشدها فى شوارع اورشليم القدس يوم الجمعه العظيمة فى عام ١٩٦١ والتى تعبر عن هذه الحقيقة :

أنت المسيحُ فنشهدُ — للدهر أنك سيدُ
ملك الملوك وللأبد — للقلب رب أوحدُ

القرار

قال العصاةُ لجهلهم — للناصرى أنسجدُ ؟
واليوم يهتف جمعنا — انت المليك الأمجدُ

رب السلام يسوع قُد — قوماً عليك تمردوا
إجمع بحبك شمل مَن — جهلاً عصوا فتبددوا

من أجل ذلك أذرعاً — فوق الصليب تمددُ
والقلب تظهر مُضرماً — نصل رماه محدَدُ

هذا وقد كتب الأديب اللبنانى جبران خليل جبران فى كتابه العواصف هذا الوصف الرائع لصليب المسيح كأعظم عرش فقال :

"وانت أيها الجبار المصلوب الناظر من أعالى الجلجثة الى مواكب الأجيال السامع ضجيج الأمم الفاهم أحلام الأبدية. أنت على خشبة الصليب المضرجة بالدماء اكثر جلالاً ومهابة من ألف ملك على ألف عرش فى ألف مملكة.

بل انت بين النزع والموت أشد هولاً من ألف قائد فى ألف جيش فى ألف معركة أنت بكأبتك أشد فرحاً من الربيع بأزهاره. أنت بأوجاعك أهدا بالاً من الملائكة بسمائها، وأنت بين الجلادين اكثر حرية من نور الشمس . ان أكليل الشوك على رأسك هو أجل وأجمل من تاج بهرام، والمسمار فى كفك أسمى وأفخم من صولجان المشترى، وقطرات الدماء على قدميك أسنى لمعاناً من قلائد عشتروت (فينوس).

فسامح هؤلاء الضعفاء الذين ينوحون عليك لأنهم لا يدرون كيف ينوحون على أنفسهم واغفر لهم لأنهم لا يعلمون أنك صرعت الموت بالموت ووهبت الحياة لمن فى القبور".

ست درجات عرش الصليب نزولاً وصعوداً :

لقد نزل الينا ابن الله من سماه حتى وصل الى الصليب وغزا به قلوب المختارين من البشر عبر تلك الدرجات أو السلالم الستة، لنصل الى قلب الله وملكوته وعرشه.

أولاً – الدرجات التى نزلها المسيح بالصليب :

اننى أستطيع أن أتصور هذه الست درجات ، حسب آيات الكتاب كالآتى:

الأولى – المحبة :

قال رب المجد يسوع المسيح **"لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية** (يو ٣ : ١٦). وقال **"ليس لأحد حُب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائهُ** (يو ١٥ : ١٣). وقال أيضاً بفمه الطاهر **"أنا هو الراعى الصالح ، والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف** . . . وأنا أضع نفسى عن الخراف . . لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن أخذها أيضاً (يو ١٠ : ١١–١٨). وقد صوّر الرسول بولس هذه الحقيقه المجيدة بقوله "الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شئ" (رو ٨ : ٣٢).

لقد أحبنا المسيح فضلاً، أى بدون مقابل وبدون ان يوجد فينا شئ يستحق حبه. **"وأحبنا اولاً** ومن قبل تأسيس العالم (١يو٤ : ١٩)، **"واحبنا** الى المنتهى" (يو١٣ : ١). وأحبنا ونحن ضعفاء وخطاة بل وفجار وأعداء فى الفكر والآعمال الشريرة (رو ٥) وقال **"محبة أبدية أحببتك** لذلك أدمت لك الرحمة" (ارميا ٣١ :٣).

أمّا الوصف الرمزى لعرش سليمان فى سفر النشيد فيقول عنه : **"الملك سليمان عمل لنفسه تختاً** (اى عرشاً) **من خشب لبنان.** عمل اعمدته فضة وروافده ذهباً ومقعده أرجواناً **ووسطه مرصوفاً محبة** من بنات اورشليم" ! (نش ٣ : ٩ ، ١٠).

ثم يقول فى العدد التالى "أخرجن يا بنات صهيون وانظرن الملك بالتاج الذي توَّجته به أمه فى يوم عرسه وفى يوم فرح قلبه" ! لقد تدرج فى وصف عرش سليمان من خشب أرز لبنان القوى المعمر الغالى القيمة الذى لا يسوسَ. وفى هذا اشارة الى خشبة صليب المسيح الأعظم من سليمان، الصليب القوى الأبدى الغالى فى قيمته العظيم فى تأثيره. ثم يرتقى الى الفضة (والفضة تشيرالى الفداء ويصفها الكتاب بفضة الفداء)، ثم الذهب وهو يشيرالى اللاهوت وأيضاً الى البر الآلهى، والارجوان هو أفخرالأقمشة ولبس الأباطرة – اى المسيح ملك الملوك – وهو لون الدم القانى، كما ان اللون الأرجوانى هو مزيج من الأزرق والأحمر (الأزرق أى سماوى آلهى – والأحمر لون الدم اى انسانى وهو ما نعبر عنه فى قداسنا بأن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين).

ثم يرتقى إلى المحبة فى وسط العرش باعتبارها أغلى وأعلى الكل ! اما قوله أخرجن فيذكرنا بقول الرسول "فلنخرج اذاً اليه خارج المحلة حاملين عاره" (عب ١٣ : ١٣) والتاج الذى توجته

به أمه (أى الأمة اليهودية) فى يوم عرسه هو يوم فدائه ومهر عروسه التى اشتراها بدمه، ويوم فرح قلبه هو يوم موته لخلاص شعبه من الخطية والموت والشيطان والجحيم الأبدى.

وما أروع نشيد المحبة الذى اختتم به سليمان سفر النشيد بقوله :
"**لأن المحبه قوية كالموت. الغيرة قاسية كالهاوية . . . وان أعطى الانسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقاراً** (٨ : ٦ ، ٧).

ويصف الرسول بولس صليب المحبة أو محبة الصليب بقوله: "لتدركوا مع جميع القديسين **ما هو العرض والطول والعمق والعلو لمحبة المسيح الفائقة المعرفة** (أف ٣: ١٧) . . . هذه هى أبعاد الصليب، العلو فى السماء والعمق الذى نزل الجحيم من قبل الصليب لخلاص آدم وبنيه، والطول والعرض الذى شمل جميع البشر بحبه وخلاصه، من شرق روسيا والصين والهند واليابان الى غرب اوربا وأمريكا، ومن الشمال، الاسكيمو وسيبريا والآسكا، الى الجنوب فى قلب افريقيا السوداء و استراليا وأمريكا الجنوبية وهذه تشمل البلاد الوثنية والاسلامية.

٢ – الدرجة الثانية: الاتضاع

يقول عنها الكتاب ان المسيح اذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله **لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد** صائراً فى شبه الناس واذ وجد فى الهيئة كانسان **وضع نفسه وأطاع** حتى الموت موت الصليب" (فيلبى ٢: ٥–٨).

ان السلمة الثانية التى نزل بها المسيح الينا هى الاتضاع المنقطع النظير. . . الله يتنازل ويأخذ جسد الانسان الترابى المتواضع (فى ٢ : ٥–٨)، ثم يولد فى مذود بقر، ويأخذ صورة عبد فقير ليس له اين يسند رأسه، ويغسل أرجل تلاميذه ويباع بثلاثين من الفضة ثم ينزل أكثرالى موت الصليب، ثم ينزل الى الجحيم والى اقسام الأرض السفلى لأجل تبشير الموتى واطلاق سراح أسرى الرجاء (اف ٤: ٨, ٩ ، زك ٩ : ١٢ ، ١بط ٣ : ١٩ ، ٤ : ٦). لذلك رفعه الله وأعطاه إسماً فوق كل إسم لتجثو بأسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان ان يسوع المسيح رب" (فى ٢ : ٥–١١).

ان اتضاع المسيح يطعن قلوبنا المتكبرة فى الصميم فليتنا نتعلم منه لأنه وديع ومتواضع القلب" (مت ١١: ٢٩).

٣ – الدرجة الثالثة النعمة :

الدرجة الثالثة فى نزول المسيح الينا هى النعمة أو الرحمة، وهى العطية والهبة أو الهدية المجانية التى وهبنا اياها بدون استحقاق منا، فيقول الكتاب ان " هبة الله حياة أبدية " (رو ٦ : ٢٣)، ويقول الرسول بولس " كما أختارنا فيه – في المسيح – قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم فى المحبة إذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسة حسب مسرة

مشيئته **لمدح مجد نعمته** التى أنعم بها علينا فى المحبوب الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته (افسس ١: ٤-٧).

كما يقول أيضاً " **متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح** " (رو٣ : ٢٤) " وبالنعمة أنتم مخلصون . . . " (اف٢ : ٨-١٠). وصار الصليب كرسى الرحمة فى قدس الأقداس (لا ١٦)، هوعرش النعمة.

٤ - الدرجة الرابعة - امتزاج العدل والرحمة أو التوفيق بينهما:

نزل المسيح هذه الدرجة للتوفيق بين عدل الله ورحمته. فعدل الله وقداسته يقتضيان عقاب الانسان الخاطئ بالموت ورحمة الله اقتضت أن يدفع هو بنفسه العقوبة نيابة عنا فيموت علـى الصليب بالنيابة عنـا. فيقول الكتـاب " **الذى حمل هو نفسة خطايانا فى جسده على الخشبة** . . . " (ابط ٢ : ٢٤).

كان يجب ان يكون الفادى بلا خطية وأقوى من الشيطان والموت ليخلصنا منها، كما يجب ان يكون غير محدود ليكفر عن خطايا جميع البشر من آدم الى دهر الدهور، وان يموت متطوعاً مختاراً، وهذه الصفات كلها لاتتوافر فى مخلوق وانما فى الله وحده ومن هنا كانت حتمية التجسد والفداء الآلهى.

تصور القديس يوحنا ذهبى الفم حواراً خيالياً بين العدل والرحمة، منذ الأزل :

قال العدل : لقد أخطأ الإنسان الاول ويجب ان يموت لأن اجرة الخطية موت (رو ٦ : ٢٣).

فقالت الرحمة : بل يجب ان يُعفى آدم من عقوبة الموت لأنه خُلق للحياة.

فقال العدل : ولوسيفورس الملاك (الشيطان) خُلق للحياه ولكنه عندما أخطأ حُكم غليه بالهلاك الأبدى.

فقالت الرحمة : يوجد فارق بين آدم الانسان الضعيف المخلوق من تراب، وبين الملاك النورانى القوى الذى كان يتمتع بالحكمة والكمال (حز٢٨ : ١٤).

فقال العدل : ومع ذلك طالما حكم على الملاك النورانى بالهلاك فيجب ان يحكم على الانسان بذلك ايضاً.

فقالت الرحمة : كلا فالملاك ليس له عذر لأنه روح بلا جسد وهو اكثر معرفة وقرباً من الله.

فقال العدل : ومع ذلك كان بجب على آدم أن يتخذ لنفسه عبرة من قصاص الملاك فلاً يخالف نظيره.

فقالت الرحمة : لم يكن للملاك شيطان يجربه أو حواء تغويه ولا ثمرة يشتهيها.

فقال العدل : لايهمنى سوى وصول حقى تماماً.

فقالت الرحمة : عندما سقط الملاك حُكم عليه والملائكة الذين اتبعوه وحدهم، بينما الحكم على آدم قد شمل الجنس البشرى كله، آدم وذريته.

قال العدل : الحل الوحيد هو إما يهلك الجنس البشرى كله، أو يموت عنه ويفديه كائن بار بلا خطية وغير محدود ومتطوع.

فتشوا فى السماء والأرض فلم يجدوا هذه الأوصاف متوفرة إلا فى الرب يسوع المسيح ابن الله الذى وافق فى رحمته ومحبته وحكمته أن يقوم بدور الفادى الكامل لخلاص الإنسان.

٥ – الدرجة الخامسة – المصالحة والغفران:

´كان الله فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم´ (٢كو ٥: ١٩). وكان ايوب منذ الآف السنين يتنهد حزيناً فيقول **"ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا "** (اى ٩ : ٣٣). فمن ذا الذى يستطيع أن يضع يده على الله ويده الاخرى على الإنسان ليصالحهما؟

انه يجب ان يكون فى مستوى الله، وليس أحد معادلاً لله سوى المسيح الذى قيل عنه انه " جعل نفسه معادلاً لله " (يو ٥ : ١٨ فيلبى ٢ : ٥–١٠ ، يو ١٠ : ٣٠). لذلك كانت أول كلمات المسيح على الصليب هى الغفران " اغفر لهم يا أبتاه لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون " (لو ٢٣ : ٣٤) .

وكان السلام ثمرة للمصالحة والغفران إذ يقول الرسول بولس " إذ قد تبررنا بالايمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح " (رو ٥ : ١). انه سلام قائم على العدل وناتج عن المصالحة والغفران، ولذلك قال السيد المسيح ملك السلام ورئيس السلام: "سلامى أنا اعطيكم" (يو١٤)، بل صار هو نفسه سلامنا.

٦ – الدرجة السادسة – الخلاص الكامل :

لقد دعى الملاك´ اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم´ (مت ١ : ٢١). وقال بطرس الرسول " **وليس بأحد غيره الخلاص لأنه ليس اسم آخر تحت السماء قد اعطى بين الناس به ينبغى ان نخلص** " (اع ٤ : ١٢). ونحن نصلى فى الساعة السادسة قائلين : **" صنعت خلاصاً فى وسط الأرض كلها ايها المسيح الهنا عندما بسطت يديك الطاهرتين على عود الصليب. لذلك كل الأمم تصرخ قائلة المجد لك يارب "**

انه خلاص كامل من الخطية والموت والشيطان والجحيم، ولذلك قيل عنه "ومن ثم يقدر أن يُخلّص الى التمام جميع الذين يتقدمون به الى الله إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم" (عب ٧ : ٢٥).

ثانياً – الست درجات التى نصعدها لنصل الى السماء :

(١) درجة الايمان :

" من يؤمن بالأبن فله حياة أبدية " (يو ٣ : ٣٦)، " وهكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى **لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية** (يو ٣: ١٦ ، ١٨)، ان اعترفت بفمك بالرب يسوع **وآمنت بقلبك خلصت** " (رو ١٠ : ٩). وهذا ما حدث مع اللص اليمين إذ آمن بقلبه بالمسيح وبربوبيته واعترف بفمه به فخلص.

(٢) المعموديه:

هذه هى الدرجة او السلمة الثانية فيقول السيد المسيح " **من آمن واعتمد خلص** " (مر ١٦ : ١٦). وقال أيضاً "**ان كان أحد لا يولد من الماء والروح فلا يقدر أن يدخل ملكوت الله** " (يو ٣ : ٥). وكذلك "خلّصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح الفدس " (تى ٣ : ٥).

(٣) التوبه:

هى الدرجة الثالثة التى توصلنا الى الله فقال رب المجد: " **إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون** " (لو١٣ : ٣ ، ٥). والتوبه هي الرجوع الى الله وتؤدى الى الغفران " **توبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم وتأتى أزمنة الفرج من وجه الرب** " (اع ٣ : ١٩).

التوبه هى تغيير وتصحيح الاتجاه والقلب والفكر وأسلوب الحياة بالندم على الخطية وكرهها والرجوع الى الله والعمل على إرضائه واعطائه الأولوية فى برنامج حياتنا اليومية. **فالتوبه تحى عمل المعموديه وقوتها كما قال القديس مار اسحق السريانى'ان دموع التوبة هى بمثابة معمودية ثانية** " والتوبة تصّير الزناة بتوليين والأشرار صالحين والملحدين مبشرين .....

(٤) درجة الثبات:

فى حديث الرب يسوع الوارد فى يوحنا ١٥ كررعبارة " اثبتوا " مرات كثيرة، وقال' **اثبتوا فىّ'، 'واثبتوا فى كلامى'، واثبتوا فى محبتى'**.

ما اكثر الناس الذين يتأثرون خلال اسبوع الآلام عاطفياً فقط انهم يحتاجون الى الثبوت فى المسيح ومحبته وكلامه كل أيام السنة وطوال العمر والى النفس الأخير. فان لم نثبت فاننا نتقهقر ونتراجع للوراء ونتعرض للسقوط بل والأرتداد.

ووسائل الثبوت هى المواظبه اليومية على وسائط النعمة من قراءة ودراسة كلمة الله والصلاة والأعتراف والتناول وحضور الكنيسة والأجتماعات والقراءات الروحية والابتعاد عن الاماكن الشريره والمعاشرات الردية (١كو ١٥ : ٣٣).

(٥) درجة النمو فى النعمة ومعرفة الرب:

يوصينا الكتاب "إنموا فى النعمة وفى معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح" (٢بط ٣ : ١٨). ان الطفل الذى لا ينمو هو مصاب بشلل الأطفال والكساح ولين العظام، وما اكثر الكبار المصابين بشلل الأطفال بسبب مشاغلهم أو نقص محبتهم ومعرفتهم أو اهمالهم وسائط النعمة سالفة الذكر. وبدون الثبوت فى المسيح فلن يكون هناك نمو فى النعمة، لأن الثبوت هو المرحلة المتوسطة بين التوبة والنمو فى طريق الكمال المسيحى ومدارج القداسة. والنمو يحتاج لحفظ وصايا المسيح ودراستها والتدريب على العمل بها فهو الذى قال "من يحبنى يحفظ وصاياى" (يو١٤ : ٢١ ، ٢٣)، وقال للشاب الغنى الذى سأله ماذا اعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ احفظ الوصايا. وقال الآب السماوى فى مشهد التجلى عن أبنه يسوع المسيح: "له أسمعوا" (مت١٧ : ٥)، وهكذا ايضاً كانت عظة القديسة العذراء مريم الوحيدة المختصرة (فى عرس قانا الجليل) انها قالت للخدام **"مهما قال لكم فافعلوه"** (يو٢ : ٥).

(٦) درجة الأستعداد بالسهر والعمل:

حدثنا الرب يسوع عن الاستعداد الدائم لمجيئه الثانى او ذهابنا اليه (عند الموت) فى انجيل متى ٢٥ بوسيلتين **الأولى هى السهر** فى مثل العذارى الحكيمات، **والثانية هى العمل والخدمة** فى مثل الوزنات. السهر يقتضى الاحتراس من الخطايا بجميع انواعها وملاحظة النفس وتنقية القلب والسهر فى الصلاة ودراسة وحفظ كلمة الله. والاتجار بالوزنات واستثمارها يكون باستخدام المواهب لمجد المسيح وبنيان الكنيسة وخلاص وفائدة الآخرين وعمل رصيد لنا فى السماء والاكثار من كل عمل صالح (١كو ١٥ : ٥٨).

والآن . . . ماذا بعد الجمعة العظيمة ؟

هل سنحافظ على هذه التأثيرات المقدسة ودموع مشاركة المسيح فى الآمه حتى نقوم معه ونعيش حياة القيامة وانتصاراتها معه؟

هل سنقطع على أنفسنا عهوداً مقدسة ثابته راسخة ونعيش بها ؟
بعد العيد سيأتى موسم الآفراح فهل ستأتى العروس الى الكنيسة فى جمال الوقار أم فى وقاحة العرى!

وهل ستكون حفلات الزواج مهذبه أم صاخبة بالخمور والرقص والأغانى الهابطه ؟
وهل يليق بالشباب المبارك أو خدام المسيح أن يتردد على مقاهى الشيشة والحانات والملاهى الليلية ونوادى القمار ؟

وهل يليق بخادم أو شماس أو بالمسيحى الأمين ان يفتح مواقع الجنس القذرة فى الأنترنيت التى يصيد بها ابليس وأعوانه من تجار الجنس الأشرار، الجهال عن طريق حب الأستطلاع ويولد عندهم إدمان الزنا والفساد؟!

هل سيتصالح المتخاصمون من الأزواج والأقارب والآصدقاء بعد أن ردّدوا خلال اسبوع الآلام فقط – كيرياليسون ألف مرة وثوك تاتى جوم ٧٠٠ مرة؟

قصة من السنكسار :

واختم لكم بهذه القصة الحقيقية من سنكسار الكنيسة فى يوم الرابع عشر من شهر مسرى .

كان فى مدينة الأسكندرية رجل يهودى اسمه فيلوكسينوس وكان غنياً جداً. وكان فى المدينة فقيران مسيحيان . فجدف أحدهما قائلاً : لماذا نعبد المسيح ونحن فقراء وهذا اليهودى فيلوكسينوس غنى جداً؟ " فأجابه الثانى : " لو كان لمال الدنيا حساب عند الله لما كان أعطاه لعابدى الأوثان والزناة واللصوص والقتله. فالأنبياء والرسل كانوا فقراء والرب دعى الفقراء اخوته."

ولكن عدو الخير لم يتركه يقبل شيئاً من كلام رفيقه، فذهب الى فيلوكينوس اليهودى وسأله أن يقبله فى خدمته. فقال له : لايحلّ أن يشتغل معى الاّ من يدين بدينى، فإن كنت تريد صدقة أعطيك. " فأجابه ذلك المسكين " خذنى عندك وأنا أعتنق دينك وأعمل جميع ما تأمرنى به "

فأخذه الى مجمعهم فسأله الرئيس أمام جماعة اليهود قائلاً :' أحقاً تجحد مسيحك وتصير يهودياً مثلنا؟ ' فقال نعم !

وهكذا جحد المسكين المسيح الآله أمام جماعة اليهود، وأضاف الى فقره فى المال فقره فى الايمان. فأمر الرئيس أن يُعمل له صليب من خشب ودفعوا له قصبة عليها أسفنجة مملوءة خلاً وحربة، وقالوا له :' إذن ابصق على هذا الصليب وقدم له الخل واطعنه بالحربة، وقل طعنتك أيها المسيح. ' ففعل كل ما أمروه به!!.

وعندما طعن بيده الآثمة الصليب سال منه دم وماء على الارض وسقط ذلك الجاحد ميتاً يابساً كأنه حجر. فاستولى الخوف على جميع الحاضرين وآمن كيثرون منهم ثم اخذوا من الدم ومسحوا به عينى ابنة فيلوكسينوس العمياء فأبصرت فآمن هو واهل بيته وكثيرون من اليهود.

وبعد ذلك أعلموا البابا ثاوفيلس بذلك فأخذ معه جماعة من الكهنة والشعب وأتى الى مجمع اليهود وأبصر الصليب والدم والماء ووضعة فى إناء ليتبارك به الشعب وعمّد اليهود الذين آمنوا.

ان من يحبون العالم وخطاياه وشهواته وأطماعه هم مسيحيون بالأسم ويقدمون الخل للمسيح ويطعنون صليبه، بينما يؤمن الكثيرون فى هذه الأيام الأخيرة من اليهود والمسلمين والبوذيين . . .

بركة الصليب المقدس تكون معنا .

علامة (إشارة) الصليب

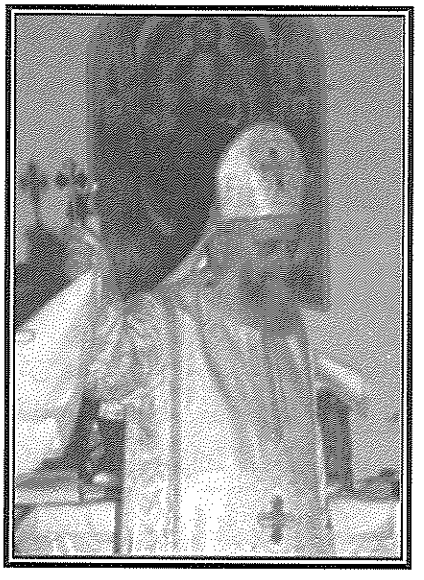

أننا نرشم أنفسنا بعلامة أو اشارة الصليب مراراً فى كل يوم فى مقدمة كل صلاة وفى مختلف ظروف الحياة. فما قصة هذه العلامة وما تاريخها ومعانيها وفاعليتها وأقوال الآباء عنها؟...

أن جميع الكنائس الرسولية من فجر المسيحية ترسم علامة الصليب بكل حب وفخر وشكر تعبيراً عن ايمانها العميق بالصليب والمصالحة التى أتمها الرب يسوع المسيح بدم صليبه وأنه مفتاح الحياة والبركة والخلاص والنصرة.

أمّا الطوائف الأخرى البروتستانتية (الحديثة) وان كانت تضع الصليب على كنائسها الاّ انها تقاطع رسم اشارة الصليب بحجة انه لا داعى لها وأن الصليب فى قلوبهم !! ويبدو أن هذايرجع للحساسيات بين الكاثوليك والبروتستانت، فاذا حدث خلاف فلنرجع الى المسيحية قبل الانقسام ونرى كيف كانت ....

لمحة عن إشارة الصليب فى التاريخ والتقليد المسيحى وأقوال الآباء الاوائل.

إن علامة الصليب تقليد مسيحى قديم جداً يرجع لعصر الانجيل نفسه، وقد وصفها القديس متى البشير الانجيلى بأنها "علامة ابن الإنسان" فذكر قول الرب يسوع: "وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط وقوات السموات تتزعزع **وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء ... ويبصرون ابن الانسان آتياًعلى سحاب السماءِ** (مت٢٤ : ٣٠).

وترجع أقوال آباء الكنيسة الأولى التى وصلتنا عن علامة الصليب الى القرن الثانى الميلادى وبالتحديد منذ سنة١٥٠م.

وفيما يلى أُشير الى بعض هذه الأقوال وتواريخها ومنها يتضح أيضاً المناسبات اليومية التى كان يستعملها فيها المؤمنون ...

أقوال الآباء عن إشارة الصليب وفاعليتها:

قال العلامة ترتليانوس:

"فى جميع أسفارنا وتحركاتنا، عندما ندخل ونخرج، عندما نلبس ملابسنا أو نخلعها، وعندما نستيقظ أو ننام، فى جلوسنا وقيامنا، وعلى المائدة وفى كل أعمالنا، نرشم أنفسنا بعلامة الصليب".

وقال العلامة اوريجانوس (١٨٥ – ٤٥٢م):

أن حرف T فيه شبه الصليب مفتاح الحياة عند قدماء المصريين. العلامة التى يصنعها المسيحيون على جباههم سواء قبل الصلاة أوقبل قراءة الأسفار المقدسة".

وقال القديس كيرلس الاورشليمى (٣١٥ – ٦٨٣م):

"فلا تخزى إذن أن تعترف بالمسيح مصلوباً بل ليت اشارة الصليب تكون ختماً نضعه بشجاعة باصبعنا على جباهنا وعلى كل شئ على الخبز وعلى كأس الماء، فى مجيئنا وذهابنا، فى يقظتنا وعند نومنا، فى الطريق وفى البيت".

ويقول القديس اغسطينوس (٣٥٤ – ٤٢٠م):

"نحن نتعارف على أعضاء المسيح بواسطة علامة الصليب ومن أجل هذا فالرب نفسه يثبت قوة الصليب على جبهتنا حتى أن العلامة التى كانت قبلاً للخزى والعار تصير للافتخار".

ويقول القديس أثناسيوس الرسولى فى القرن الرابع:

"بواسطة الصليب يستطيع الإنسان أن يطرد كل خداعات الشياطين. ومن يريد أن يختبر هذا عملياً فليأت وينظر كيف يبطل عمل الشياطين والعرافة الكاذبة وعجائب السحر بمجرد رشم علامة الصليب فالشياطين تلوذ بالفرار".

وقد أسماها كبريانوس الشهيد:

"بعلامة الله" فهو اذ كان يشجع الشهداء على احتمال التعذيب كان يقول لهم: "اجعلوا وجوهكم تتقدس بالصليب ولتحفظ علامة الله سليمة".

اما القديس أمبروسيوس (٣٣٩ – ٧٩٣م):

فقد قال "اننا نرسم الصليب على جبهتنا حتى نعترف علناً بالمسيح، وعلى قلبنا حتى نظل نحبه، ثم نرسمه على ذراعنا حتى يكون عملنا له".

وأما القديس يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧ – ٧٠٤م):

فله أقوال كثيرة ومقالات رائعة عن علامة الصليب ومنها: "ان اشارة الصليب التى كانت قبلا فزعاً للناس، الآن يعشقها ويتبارى فى اقتنائها كل واحد حتى صارت فى كل مكان، بين الحكام والناس بين الرجال والنساء، المتزوجين والعذارى، لا يكف الناس عن رسمها فى كل

موضع مكرم. يحملونها منقوشة على جباههم كأنها علامة ظفر على سارية. نراها كل يوم على المائدة المقدسة، وعند رسامة الكهنة، ونراها تتألق فوق جسد المسيح وقت التناول السرّى. يُحتفل بها فى البيوت والأسواق والبرارى والبحار، على المراكب والجزر، فى المخدع وعلى الملابس، على الأسلحة والأوانى الذهبية والفضية واللؤلؤ والنقود، فى الرسومات على الحوائط وعلى أجساد من مسّهم الشيطان، فى الحرب والسلام، فى الليل والنهار، فى أفراح المبتهجين وفى أحزان المحزونين، انها عطية لايعبّر عنها".

ويقول أيضاً: إن الوجه الذى تقدّس بعلامة الله لا ينحنى للشيطان ولكنه يحفظ نفسه لاكليل الرب. هذه العلامة المقدسة منذ أيام آبائنا حتى اليوم أبطلت مفعول السموم وحلّت قوة العقاقير وشفت عضّة الوحوش السامة. فالصليب دواء للغضب وللشهوة النجسة. مع الصلاة إرشم نفسك بالصليب وحينئذ لا تقربك الشياطين لأنك تكون متسلحاً ضدّهمْ.

فى اشارة الصليب ملّخص عقائدنا المسيحية الجوهرية:

يقول القديس يوحنا كسيان: "أن فى رشم علامة الصليب ملخص لأهم عقائدنا وإيماننا ففيه اعتراف:

(١) بالثالوث القدوس (٢) وبوحدانية الله

(٣) وبتجسد المسيح (٤) وبالصليب والفداء

(٥) وبالخلاص وغفران خطايانا واننا كنّا من أبناء اليسار والظلمة والموت ونقلنا الى اليمين موضع البركة والأهمية والمكافأة (مت٢٥ : ٣١).

علامة الصليب تذكرنا بالوصية الأولى والعظمى:

تقول الوصية الأولى والعظمى "تحب الرب آلهك من كل قلبك وكل فكرك وكل نفسك وكل قوتك" (مت٢٢ : ٣٧ ، ٣٨).

+ وفى اشارة الصليب تطبيقاً عملياً لهذه الوصية فنحن عندما نلمس رأسنا نعلن أننا نحب الرب من كل فكرنا، وعندما نلمس الصدر نعلن أننا نحب الرب من كل قلبنا، وعندما نلمس الكتفين نعلن أننا نحبه بكل قوّتنا.

+ وفى رشم اشارة الصليب تطبيقاً عملياً لهذه الوصية.

علامة الصليب فى التاريخ:

يخبرنا التاريخ والآثار بأن المسيحيين فى القرن الأول كانوا يعلّقون فى أعناقهم صلباناً من المعادن. وقد وجدت صحيفة فى القرن الثانى الميلادى مكتوب عليها "أيها الصليب طهرنى. أنا أطردك أيها الشيطان به" (هذه الصحيفة موجودة فى المكتبة الأهلية فى قاعة الوسامات بباريس – راجع مجلة الهلال السنة العاشرة).

وقد شهد موسهيم المؤرخ البروتستانتى فى حديثه عن طقوس الكنيسة فى القرن الثانى: "أنهم كانوا يعمدّون وكانوا يرشمون الصليب على المعمدّين. وقد اعتقدوا أن فى رسم الصليب قوّة فعالة ضد كل أنواع الشر وحيل الأرواح الشريرة. ولهذا لم يشرع أحد فى عمل شئ بدون أن يرشم الصليب. أن المسيحيين يرسمون الصليب تذكاراً دائماً لموت المسيح الذى يكفّر عن الخطية" (تاريخ موسهيم وجه ٧٦).

وفى كتاب الصلاة العامة للكنيسة الأسقفية ما يدل على أن الإنجيليين كانوا يستعملون إشارة الصليب لنفس الأغراض إذ جاء فيه "أننا نقبل هذا الولد فى جماعة المسيح ونرسمه بعلامة الصليب حتى لا يستحى فيما بعد من الأقرار بإيمانه بالمسيح مصلوباً".

وجاء فى كتاب إثبات صلب المسيح تأليف المرسلين الأنجليز **"أن المسيحيين الأوائل قبل عهد قسطنطين الكبير شرعوا بحفر علامة الصليب على قبور موتاهم المحبوبين كما تشهد مدافن رومية إلى يومنا هذا .. وصار الصليب علامة المسيحية ورمز الحياة وأن المسيحيين يتعارفون برشم إشارة الصليب".**

وفى الختام .. نقول أن المسيحيين منذ بدء المسيحية فى الكنيسة الأولى يكرمون الصليب ويفتخرون به ويمجدونه لأسباب كثيرة أهمها:

١ – أن الصليب هو شعار المسيحية المقدس وعلامتها المُميزّة.

٢ – الصليب هو رمز الفداء.

٣ – فى الصليب أعلن الله قمة محبته لنا فى شخص ابنه المصلوب، وقداسته ومراحمة غير المحدودة وحكمته الأزلية فى التوفيق بين عدل الله ورحمته.

٤ – الصليب هو رمز الوحدة والمصالحة والسلام إذ نقض حائط السياج المتوسط من العداوة بين الانسان والله، وبين الانسان وأخيه الانسان وبين اليهود والأمم (أف٢ : ١٤–١٦).

٥ – إن معجزة الصلب، كما يقول القديس أثناسيوس الرسولى، أن المصلوب بنشر ذراعيه على الصليب احتضن الجنس البشرى كله القدماء الذين قبله والذين بعده، اليهود والأمم، والسمائيين والأرضيين، فى شخصه.

٦ – الصليب صار أداة خلاصنا من الخطية والعبودية والشيطان والدينونة وجهنم الأبدية.

٧ – الصليب نقلنا من الظلمة الى النور ومن الجحيم الى النعيم الأبدى. اننا لا نلُوّح فى الهواء عندما نرسم علامة الصليب على أنفسنا ولكننا نتذكر كل هذه المعانى والبركات ونعيشها فى حياتنا اليومية ونفتخر بهذا الصليب العجيب المجيد.

هوذا أعظم من أيوب ههنا!

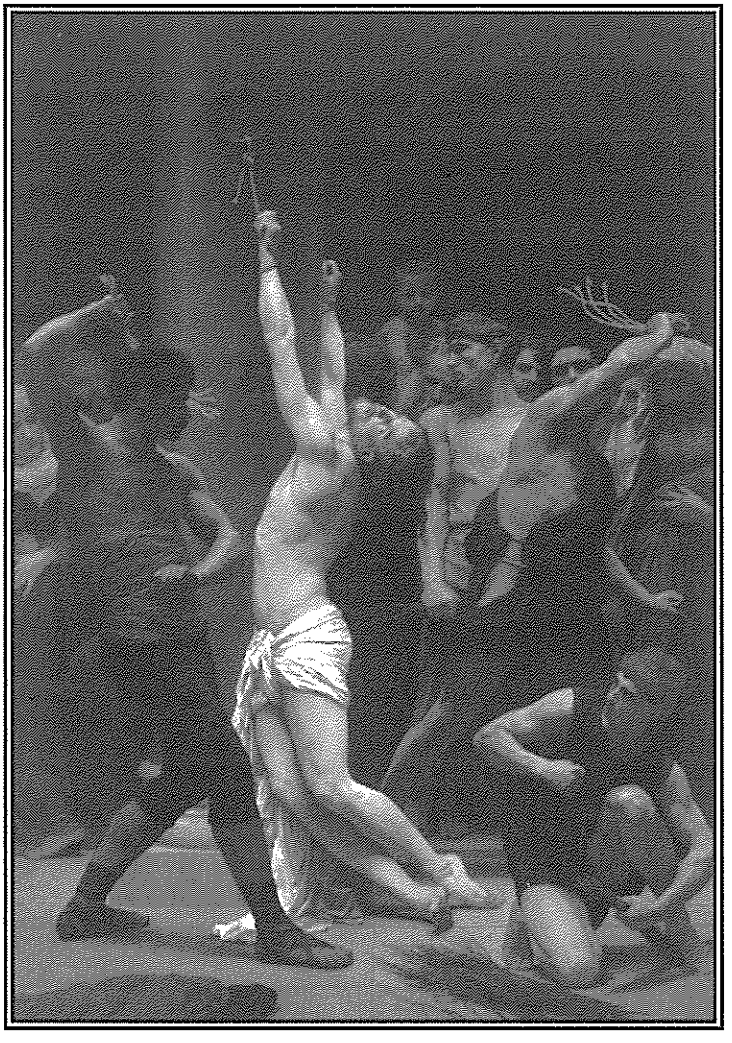

فى بعض المناسبات قارن الرب يسوع له المجد نفسه مع يونان وسليمان وقال: "هوذا أعظم من يونان ههنا" " وهوذا أعظم من سليمان ههنا" (مت١٢ : ٤١ ، ٤٢).

وبما أننا نتذكر فى أسبوع الآلام مخلصنا الصالح المتألم عنا، ونسمّى يوم أربعاء البصخة بأربعاء أيوب (لأن الكنيسة كانت تقرأ فيه سفر أيوب) حسب ترتيب آباء الكنيسة بحكمة للمقارنة بين الآم أيوب وصبرة والآم المسيح وصبره، لعله يكون من المفيد ان نوضح هذه المقارنة لنرى عظمة تفوّق المسيح فى آلامه وصبره على قمة الالام البشرية والصبر الانسانى، وعندئذ نستطيع القول بحق "هوذا أعظم من أيوب ههنا".

أولاً – آلام أيوب

تمثلت آلام أيوب فى :

(١) خسارة الثروة والمقتنيات والخدم فبعد أن كان "أعظم كل بنى المشرق" وكانت ثروته الحيوانية مكونة من سبعة الآف رأس من الغنم وثلاثة الآف جمل وخمسمائة زوج بقر، وخمسمائة أتان، وخدمه كثيرون جدا (أى١ : ٣)، اذا به يفقد كل هذه الثروة الضخمة فى ثلاث كوارث متوالية فى يوم واحد (أى١ : ١٤–١٧).

(٢) **فقد أيوب جميع أولاده السبعة والبنات الثلاث فى كارثة واحدة** أُخرى اذ سقط عليهم البيت فماتوا معاً، وكان ذلك فى نفس اليوم الذى ضاعت فيه ثروته (أى١ : ١٨ ، ١٩).

(٣) **خسارة الصحة** اذ ضربه الشيطان بقروح رديئة وأورام ودمامل مؤلمة فى جميع أجزاء جسده "من باطن قدمه الى هامته" (أى٢ : ٧ ، ٨) حتى كان يتعذب نهاراً وليلاً ولا يجد راحة!

(٤) **خسارة الكرامة والمركز وتعرّض لسخرية واستهزاء الكثيرين** (أى١ : ٣٠ ، ٩ ، ١٠).

(٥) **تعيير أقرب الناس اليه** وعدم تعزيته حتى زوجته قالت له: "أنت متمسك بعد بكمالك؟ بارك الله ومُت"! (أى٢ : ٩).

(٦) **توبيخ أصحابه الذين أتو ليعزّوه فهاجموه واتهموه اتهامات باطلة** وفسّروا سبب تجاربه وبلاياه بأنها لابد أن تكون نتيجة لشروره الخفيّة ونفاقه وشرور أولاده! (أى٤ : ٧- ٩).

من أوصاف أيوب شخصياً لآلامه:

١ - "ليته هلك اليوم الذى ولدت فيه" (أى٣ : ٣).

٢ - "ليت كربى وزن ومصيبتى رفعت فى الموازين جميعها لأنها الآن أثقل من رمل البحر. لأن سهام القدير فىّ وحُمتها شاربة روحى. أهوال الله مصطفّه ضدى" (أى٦ : ١-٤).

٣ - "ماهى قوتى حتى أنتظر وما هى نهايتى حتى أُصبّر نفسى؟ هل قوّتى كالحجارة وهل لحمى نحاس؟" (أى٦ : ١١).

٤ - "حق المحزون معروف من صاحبه وان ترك خشية القدير. أماّ اخوانى فقد غدروا بى مثل الغدير" (أى٦ :١٤).

٥ - "تُعيّن لى أشهر سوء وليالى شقاء قسمت لى. اذا أضجعت أقول متى أقوم. الليل يطول وأشبع قلقاً حتى الصبح" (أى ٧ : ٣-٦).

٦ - "روحى تلفت. أيامى انطفأت. انما القبور لى . . (أى١٧ : ١).

٧ - أُمعائى تغلى ولا تكفّ. تقدمتنى أيام المذلة اسوددت لكن بلا شمس. قمت فى الجماعة أصرخ. صرت أخاً للذئاب وصاحباً لرئال النعام. صار عودى للنوح ومزمارى لصوت الباكين" (أى٣٠: ٢٧-٣٠)

ثانياً – الآم المسيح

أ – الآم جسدية:

١ – لطموه

٢ – لكموه

٣ – جلدوه (٣٩ جلدة)

٤ – كللوه بإكليل الشوك

٥ – ضربوه بالقصبة فوق رأسه وفوق الشوك!

٦ – نزع قميصة الغارق فى دمه والملتصق بجسده المزق

٧ – العطش المُحرق.

٨ – سقيه الخل.

٩ – نتف شعر لحيته .

١٠ – سهر طوال الليل دون نوم للمحاكمات الليلية غير الشرعية.

١١ – السجن بين المحاكمات والمشاورات.

١٢ – ثقب يديه ورجليه بمسامير الصليب الغليظة.

ب – الآلام النفسية:

١ – الجحود ونكران الجميل من الجماهير التى أحسن المسيح إليها.

٢ – هرب الرسل الأثنى عشر والسبعين تلميذاً.

٣ – خروج الشعب عليه بسيوف وعصّى كلص.

٤ – شهادة الزور والتآمر ضده.

٥ – خيانة رجال الدين وفسادهم بتضليل الشعب بإنه ليس هو المسيا

٦ – أنكار بطرس (الصخرة) له أمام الخدم والجارية.

٧ – خيانة يهوذا وأنتحاره.

٨ – البصق على وجهه.

٩ – الأستهزاء به وتعييره وأستفزازه.

١٠ – تلفيق الأتهامات الكاذبة.

١١ – نسيان جميع معجزاته الآلهية التى تجعل الحجارة تصرخ.

١٢ – مقابلة حبه وأحسانه بأبشع صور الأساءة من خاصته وأقربائه.

١٣ – أصرار الشعب على السير فى طريق هلاكه.

١٤ – رؤيته لأمه العذراء مريم وهى تبكى وتنوح عليه.

ج – آلام المسيح الكفارية:

هذا النوع من آلام المسيح، الذى قلّما نسمع عنه أو نفكر فيه، هو فوق العقل وهو أشدّ وأعظم جداً من الآلام الجسدية والنفسية معاً! انه ألم رهيب لم يختبره انسان فى الوجود، لا أيوب ولا غيره.

هو ألم حمل المسيح الاله القدوس لخطايا جميع البشر من آدم الى نهاية العالم فى جسده على الصليب ... "هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم" (يو١ : ٢٩)، "الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة، لكى نموت عن الخطايا فنحيا للبر" (١بط٢ : ٢٤). لقد صار المسيح الفادى الكامل القدوس "خطية من أجلنا لكى نصير نحن برّ الله فيه" (٢كو٥ : ٢١).

وقد تحدّث الروح القدس بأفواه الأنبياء داود وأشعياء وزكريا عن الآم المسيح الفدائية الكفارية فى الآيات التالية:

+ **'مسحوق لأجل آثامنا ... ووضع عليه إثم جميعنا'** (أش٥٣ : ٧).

+ **'العار كسر قلبى فمرضت'** (مز٦٩ : ٢٠).

+ **'ذاب قلبى كالشمع'** (مز٢٢ : ١٤).

+ **'دست المعصرة وحدى ومن الشعوب لم يكن معى أحد'** (أش٦٣: ٣).

+ **إستيقظ يا سيف على راعىّ وعلى رجل رفقتى'** (زك١٣ : ٧).

إن الآية الأخيرة تتحدث عن سيف الدينونة الرهيبة الذى كان مزمعاً أن يضرب البشرية الخاطئة الساقطة أو سيف جهنم الأبدية الذى احتمله المسيح وحده بإرادته وحده عنا.

وجدير بالذكر أن المسيح لم يصرخ من الآلام الجسدية أو النفسية الكثيرة والفظيعة، ولكنه صرخ عند حمله خطايانا فى الوقت الذى اظلمت فيه الشمس فى الظهر لمدة ثلاث ساعات (من السادسة الى التاسعة بالتوقيت اليهودى أى من الثانية عشر ظهراً الى الثالثة بعد الظهر) وتشققت الصخور وتفتحت القبور حيث سدد المسيح دين خطايانا وأدان الشيطان رئيس هذا العالم، وتحت ثقل خطايا البشرية صرخ كفادى ونائب عن البشرية وقال: **'آلهى آلهى لماذا تركتنى'**.

أوصاف آلام المسيح:

شُبهت فى الكتاب بالآتى:

١ - **بالذبح:** "فصحنا المسيح قد ذبح لأجلنا" (١كو٥ : ٧).

٢ - **الضرب والجلد:** "ضرب من أجل ذنب شعبى" (أش٥٣ : ٨).

٣ - **الجرح:** "مجروح لأجل معاصينا" (أش٥٣ : ٥).

٤ - **السحق:** "مسحوق من أجل آثامنا" (أش٥٣ : ٨).

٥ - **العصر:** "دست المعصرة وحدى" (معصرة غضب الله على خطايا العالم" (أش٦٣ : ٣).

٦ - **انكسار قلبه:** بحمله عار خطايانا "العار كسر قلبى فمرضت" (مز٦٩ : ٢٠).

٧ - **انسكابه كالماء وانفصال كل عظامه** وذوبان قلبه كالشمع فى داخله (مز٢٢ : ١٤).

٨ - **الاحتراق بالدينونة** التى حملها عن البشرية كخروف الفصح الذى يؤكل مشوياً بالنار (خر١٢ : ٨ ، ٩).

ومن كل ما سبق يتبيّن أن آلام السيد المسيح أشد وأعظم بما لا يقاس من آلام أيوب التى هى قمة الآلام البشرية.

والآن دعونا نقارن بين صبر أيوب وصبر المسيح

أولاً - صبر أيوب:

امتدح الرسول يعقوب صبر أيوب فقال "ها نحن نطوب الصابرين. قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب" (يع٥ : ١١). وقد ظهر صبر أيوب وايمانه فى سجوده للرب وقوله "**الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركاً**" (أى١ : ٢١). وظهر صبر أيوب فى ردّه بحزم على تذمّر زوجته ويأسها بقوله "**تتكلمين كإحدى الجاهلات. أ الخير نقبل من عند الرب والشر لا نقبل**" (أى٢ : ١٠).

كان هذا أعظم ما وصل اليه الصبر البشرى. ومع ذلك كان صبر أيوب مشوباً بالكثير من الأخطاء والعيوب منها الآتى:

١ - **انه فتح فمه وسبّ يومه** فى أصحاح ٣ بالكامل من سفره!

٢ - **لم يحتمل أيوب تعزية أصحابه وانما ثار وانفجر كالبركان يهاجمهم** ويشتمهم ويصفهم بالجهل والغباء والكذب والجبن والتلفيق وأنهم معزون متعبون وكلامهم فارغ.

٣ – **أيوب غضب وأهان المستهزئين به بكلام شديد جارح بقوله:** أماّ الآن فقد ضحك علىّ أصاغرى الذين كنت أستنكف من أن أجعل أباءهم مع كلاب غنمى" (أى٣٠ : ١).

٤ – **أيوب دافع عن نفسه كثيراً وافتخر ببره وكماله وأعماله الصالحة** وتحدّى من يجرؤ أن ينسب اليه خطأ واحد (أى٨ : ٢١ ، ٣١ : ٣٥ ، ٣٦ ، ٢٧ : ٥ ، ٦).

٥ – **فى ثورة غضب أيوب ودفاعه عن نفسه، هاجم الله نفسه هجوماً عنيفاً** واتهمه بالظلم وانه يحابى الأشرار (أى١٠ : ٢-٩)، واتهمه بالتلفيق (أى١٠ : ١٧)، وانه يحسب شكواه تمرّد (أى٢٣ : ٢٠) وأن الله لا يرحمه ولا يتركه حتى يبلع ريقه (أى٧ : ١٦).

ثانيا – صبر المسيح:

كان صبر المسيح فى آلامه كاملاً وغير مشوب بأى من الأخطاء والعيوب التى سقط فيها أيوب، حتى قال الرسول بولس 'ليهدى الرب قلوبكم الى صبر المسيحَ (٢تس٣ : ٥).

ولنلاحظ فى هذه المقارنة الآتى:

١ – **لم يسب المسيح يومه** مثل أيوب بل على العكس قال: **'من أجل هذه الساعة قد أتيت الى العالمَ** (يو١٢ : ٢٧).

٢ – **لم يكن للمسيح أى معزيين أصلاً مثل أيوب** وجاء عنه بروح النبوة "انتظرت رقة فلم تكن ومعزيين فلم أجد" (مز٦٩: ٢٠). والمسيح لم يشتم لا أصحابه ولا أعداءه الذين هاجموه واستهزأوا به، بل سامح صالبيه وطلب المغفرة لهم.

٣ – **احتمل يسوع استهزاء اليهود والرومان والرعاع ولم يدافع عن نفسه** بكلمة واحدة بل ظل صامتاً، بينما كان بإمكانه أن يسحقهم.

٤ – **كان للمسيح أشياء أعظم من أيوب ليفتخر بها ولكنه لم يفتخر بأمجاده** وكمالاته.

٥ – **لم يتذّمر المسيح أو يشكو أو يهاجم أو يتهم** يهوذا وقيافا وبيلاطس بل قال فى صبر وتسليم "الكأس التى أعطانى الآب الا أشربها" (يو١٨ : ١١). ولذلك وُصف المسيح بأنه "اله الصبر والتعزية".

وبهذا يظهر عظمة آلام المسيح وصبره عن آلام أيوب وصبره، وهكذا نستطيع أن نمجد آلام المسيح وصبره ونقول **'هوذا أعظم من أيوب ههنا.**

٢٤ نبوة تتحقق فى الـ ٢٤ ساعة الأخيرة من حياة المسيح

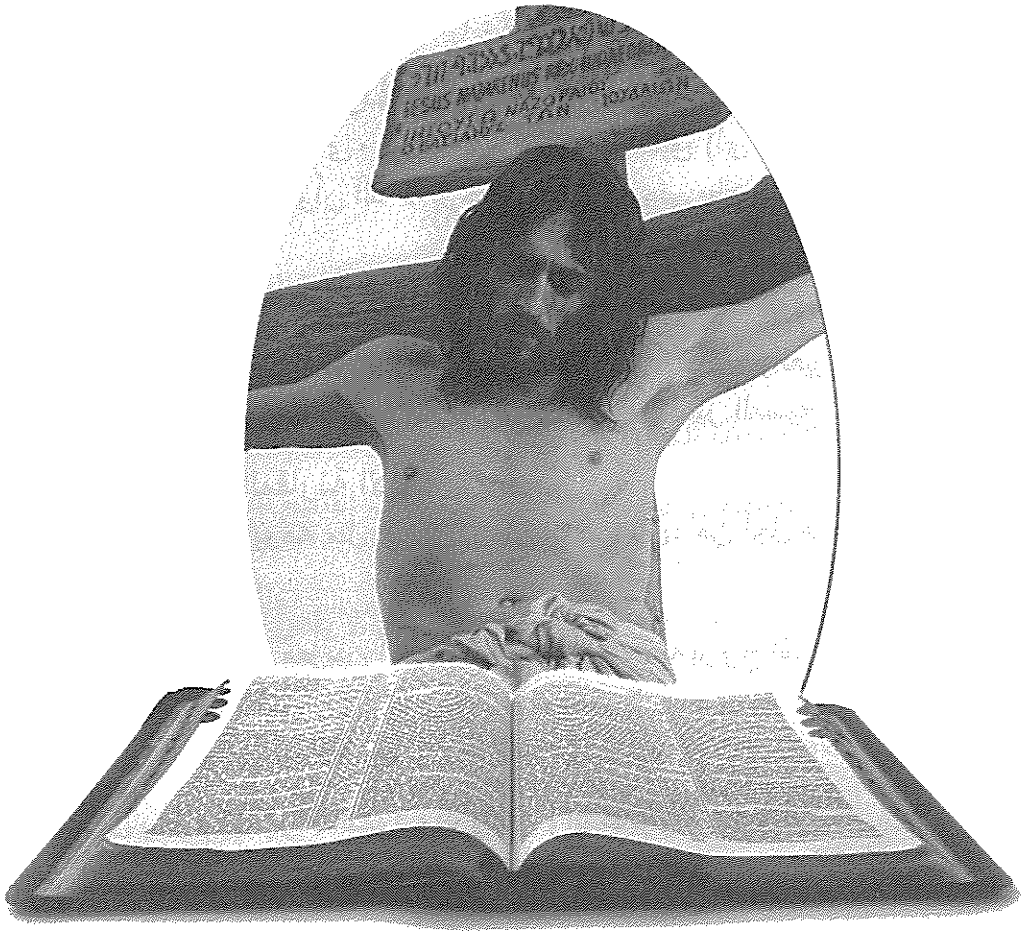

ان العلم بالغيب والمستقبل هو أحد صفات الله العالم بكل شئ والتى ينفرد بها الله ولا يشاركة فيها انسان ولا ملاك ولا شيطان. ولكن استثناء من هذه القاعدة ان الله أعطى روح أو موهبة النبوة للأنبياء فكشف لهم بعض أسرار المستقبل ليعلنوها للبشر لحكمة خاصة وبمقدار ولتأييد رسالتهم فيقول الكتاب فى سفر عاموس "**إن السيد الرب لا يصنع أمراً الاّ وهو يعلن سرّه لعبيده الأنبياء**" (عا٣ : ٧).

وقد تنبأ جميع الأنبياء عن مجئ الرب يسوع المسيح مخلّص العالم وحياته وفدائه قبل مجئ الرب بقرون طويلة وبتفاصيل مذهلة، بحيث تعتبر هذه النبوات أحد أدلة الوحى الالهى وصحة الكتاب المقدس وألوهية المسيح. حتى ان الكتاب يقول "له يشهد جميع الأنبياء ان كل من يؤمن به ينال باسمه مغفرة الخطايا" (أع ١٠: ٤٣).

وقد وردت ٣٢٠ نبوة عن السيد المسيح وحده فى العهد القديم! والكنيسة تقرأ خلال ساعات اسبوع الآلام النبوات الخاصة بالآلام فقط. ونكتفى فى هذا المقال ان نذكر على سبيل المثال – ٢٤ نبوة تمت بدقة وتحققت خلال الـ ٢٤ ساعة الأخيرة من حياة المسيح على الأرض:

١ – خيانة يهوذا وتسليمه للمسيح:

وردت عنها ثلاث نبوات منها فى مزمور (٤١ : ٩) يقول داود النبى الذى عاش قبل المسيح بألف سنة: "**أيضاً رجل سلامتى الذى وثقت به، أكل خبزى رفع على عقبه**" وأيضاً فى مزمور (١٠٩ : ٦–١٨) "**أحب اللعنة فأتته ولم يسّر بالبركة فتباعدت عنه لتكن أيامه قليلة ووظيفته ليأخذها آخر**". وأيضاً مزمور (٥٥ : ١٢–١٤) حيث يقول: "**لأنه ليس عدو يعيرّنى فأحتمل . . . بل أنت انسان صديقى الذى معه كانت تحلو لنا العشرة**" وفى نفس المزمور يقول: "**أنعم من الذبدة فمه وقلبه قتّال**" (مز٥٥ : ٢١). وقد تمت هذه النبوات فى الآيات التالية التى نكتفى بذكر شواهدها ليستخرجها القارئ بنفسه. (مت٢٦ : ٢٠–٢٥ ، ٤٧–٥٠)، (مر١٤ : ٤٣–٤٦)، (يو١٢ : ٢–٢٧)، (أع١ : ١٥–٢٠).

٢ – بيع المسيح بثلاثين من الفضة:

تنبأ زكريا النبى قبل المسيح بنحو ٥٢٠ سنة "فقلت لهم ان حسن فى أعينكم فاعطونى أجرتى **فوزنوا أجرتى ثلاثين من الفضة**" (زك١١ : ١٣).

٣ – الفضة ثمن الخيانة أُلقيت الى الفخارى:

"فقال لى الرب ألقها الى الفخارى الثمن الكريم الذى ثمنونى به فأخذت الثلاثين من الفضة والقيتها الى الفخارى فى بيت الرب" (زك١١ : ١٣). الإتمام: (مت٢٧ : ٥–٧).

٤ – ضرب الراعى وهرب التلاميذ:

"أضرب الراعى فتتشتت الغنم" (زك١٢: ٧). والإتمام فى (مت٢٦ : ٥٦) ، (مر١٤ : ٢٧ ، ٥١).

٥ – قيام شهود زور ضد المسيح:

"شهود زور يقومون علىّ" (مز٣٥ : ١١ ، ٢٧ : ١٢ ، ١١٩ : ٨٦ ، ٨٧ ، مت٢٦ : ٥٩).

٦ – الاعتداء على المسيح بالضرب والجلد والبصق:

تنبأ أشعياء النبى الذى عاش ٧٥٠ سنة قبل المسيح بقوله: "بذلت ظهرى للضاربين وخدى للناتفين، وجهى لم أستر عن العار والبصق" (أش٥٠ : ٦) "وضرب من أجل ذنب شعبى" (أش ٥٣ : ٨). الإتمام: (مت٢٦ : ٦٧ ، ٢٧ : ٣٠).

٧ – صمت المسيح امام القضاة والحكام والمشتكين عليه:

قال أشعياء النبى "ظُلم أماّ هو فتذلل ولم يفتح فاه. كشاة تساق للذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه (٥٣ : ٧) وأيضاً (مز٣٨ : ١٢–١٤). والإتمام (مت٢٧ : ١٢–١٤ ، يو١٩ : ٩ ، ١٠).

٨ – جرح المسيح بالجلدات والشوك والمسامير لأجل خطايا البشرية:

"وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه وبجراحاته شفينا. كلنا كغنم ضللنا والرب وضع عليه إثم جميعنا" (أش ٥٣ : ٥ ، ٦). والإتمام: (يو١٩ : ١–٣).

٩ – جروح المسيح كانت على يد خاصته وشعبه:

"ما هذه الجروح فى يدك. فيقول هى التى جرحت بها فى بيت أحبائى" (زك ١٣ : ٦). والإتمام: (يو١ : ١١ ، ١٨ : ٣٥).

١٠ – صلب المسيح وثقب يديه ورجليه:

ثقبوا يدىّ ورجلىّ" (مز٢٢ : ١٦) ، (دا٩ : ٢٦). والإتمام: (لو٢٢ : ٢٢ ، يو٢٠ : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٥).

١١ – المسيح يصلب بين لصوص وأثمة:

"وأحصى مع أثمة" (أش٥٣ : ١٢). والإتمام: "صلبوه مع لصّين" (مر١٥ : ٢٧).

١٢ – المسيح يبرر الكثيرين ويشفع فى المذنبين:

"بمعرفته يبرر كثيرين وشفع فى المذنبين" (أش٥٣ : ١١ ، ١٢) والإتمام: (لو٢٢ : ٣٤ ، رو٤ ، ٥).

١٣ – هزّ الناس رءوسهم امام الصليب:

"كل الذين يرونني يستهزئون بى. يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين "أتكل على الرب فلينجه. لينقذه لأنه سُرّ به"(مز٢٢ : ٧ ، ١٠٩ : ٢٥) والإتمام: (مت٢٧ : ٣٩).

١٤ – الاستهزاء بالمسيح المصلوب وتعييره:

"صرت عاراً عند البشر ومحتقر الشعب. كل الذين يرونني يستهزئون بى . ." (مز٢٢ : ٦–٨). والأتمام: (مت٢٧ : ٤١).

١٥ – إقتسام الجنود ثياب المسيح وإلقاء قرعة عليها:

"يقتسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون" (مز٢٢ : ١٨). الإتمام (يو١٩ : ٢٢ –٢٤).

١٦ – صرخة المسيح بالهجران على الصليب:

"الهى الهى لماذا تركتنى" (مز٢٢ : ١) الإتمام: (مت٢٧ : ٤٦).

١٧ – عطش السيد المسيح على الصليب وتقديم اليهود الخل له:

"ويجعلون فى طعامى علقماً وفى عطشى يسقونى خلاً" (مز٦٩ : ٢١) الإتمام: (يو١٩ : ٨ ، ٢٩).

١٨ – وقوف الرسل بعيداً:

"أحبائى واصحابى وأقاربى يقفون بعيداً تجاه ضربتى" (مز٣٨ : ١١) الإتمام: (لو٤٣ : ٤٩).

١٩ – طعن المسيح بالحربة:
"فينظرون الىّ الذى طعنوه" (زك١٢ : ١٠) الإتمام: (يو١٩ : ٣٤).

٢٠ – تسليم المسيح روحه بإرادته فى يدّى الآب:
"فى يدك استودع روحى" (مز٣١ : ٥). الإتمام: (لو:٢٢: ٤٦).

٢١ – عدم كسر عظام المسيح:
"يحفظ جميع عظامة واحد منها لا ينكسر" (مز٣٤ : ٢٠ ، خر١٢ : ٤٦). والإتمام: (مت٢٧ : ٤٥).

٢٢ – ظلام يوم الصلب:
من عاموس النبى فى القرن الثامن قبل الميلاد "ويكون فى ذلك اليوم وأقتم الأرض فى يوم نور" (عا٨ : ٩) الإتمام: (مت٢٧ : ٤٥).

٢٣ – المسيح يملك على عرشه الخشبى (الصليب) ويتوج بإكليل الشوك ويبكى عليه بنات صهيون:
(نش٣ : ٩-١١). الإتمام (مت٢٧ : ٢٩ ، لو٢٧ : ٢٠).

٢٤ – دفن المسيح فى قبر انسان غنى:
"وجعل مع الخطاه قبره ومع غنى عند موته" (أش٥٣ : ٩).

هذه أربعة وعشرون نبوءة من أنبياء كثيرين عاشوا قبل مجئ المسيح بالوف ومئات السنين، وقد تمّت بدقة كاملة مذهلة فى الأربعة والعشرين ساعة الأخيرة من حياة المسيح.

والنبوات هى من اعظم وأروع وأقوى الأدلة على الحقائق الآتية:

١ – إن آلهنا وربنا هو الآله الوحيد الحقيقى والحى الذى يعرف المستقبل ويعرف النهاية من البداية. ولذلك يتحدّى الرب الآلهة الآخرى الكاذبة ويقول: "أعلمونا المستقبلات، اخبرونا بالآتيات فنعلم أنكم آلهة" (أش٤١ : ٢٣).

٢ – إن النبوات هى دليل قاطع على صحة وصدق وحى الكتاب المقدس.

٣ – النبوات دليل محبة الله لأولاده وإخباره لهم بأسرار لتقوية ايمانهم، فقال الرب يسوع "لا أعود أسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، ولكنى قد سمّيتكم أحباء لأنى أعلمتكم بكل ما سمعته من أبى" (يو١٥ : ١٥).

الصليب فى سفر نشيد الأنشاد

نستمع خلال قراءات الجمعة العظيمة إلى عدد ضخم جداً من النبوات والرموز إلى صليب السيد المسيح وآلامه وتشمل تقريباً كل الإشارات للصليب جمعها آباء الكنيسة القديسون بحكمة ودقة ومهارة فائقة ودراسة عميقة مكثفة من أسفار العهد القديم.

وقد تحدثنا كثيراً عن جوانب عظمة الصليب ومعانيه، وأريد هذه المرة، أن أحدثكم عن الصليب فى ظلال أحد الأسفار الرمزية بالعهد القديم وهو سفر النشيد . . .

وسفرنشيد الأناشيد هو من أروع وأقدس أسفار الكتاب المقدس وهو الوحيد الذى استبقاه الوحى الإلهى من بين الألف والخمسة أناشيد التى كتبها سليمان الحكيم والمشار إليها فى سفر الملوك الأول(٤ : ٣٢). وكثيراً ما يساء فهم هذا السفر العجيب ويُظن أنه غزل متحرر ويندهش غير الروحيين وغير الدارسين كيف وضع هذا السفر بين أسفار الكتاب المقدس ولذلك كان اليهود يمنعون قراءته حتى سن الأربعين. ولكن يكفى الآن الإشارة إلى أنه يتحدث عن علاقة الحب الإلهى بين المسيح والكنيسة عامة أو النفس المؤمنة خاصة بتعبيرات شعرية ورمزية واستعارات مجازية مأخوذة من عمق عواطف الحب الإنسانية بين العريس وعروسه. ولكى نلقى مزيداً من الضوء على ذلك أرجو مراجعة الشواهد الاتية: مز٤٥ ، أش ٥٤ : ٥ ، ٦ ، ٦١ : ١٠ ، ٦٢ : ٥ ، إر ٢ : ٢ ، ٣ : ١ ، حز ١٦ : ١ – ٤١ ، هو ٢ : ١٩ ، ٢٠ ، بل أن فادينا نفسه تحدث عن نفسه بإعتباره العريس والكنيسة هى عروسه كما فى مثل العذارى الحكيمات (مت٢٥ : ١ – ١٠). وفى قوله: "**هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا ما دام العريس معهم. ولكن ستأتى أيام حين يُرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون**" (مت٩ : ١٥). وقد تحدث بولس الرسول عن علاقة الحب الحميمة هذه فى قوله: "أنى أغار عليكم غيرة الله **لأنى خطبتكم لرجل واحد لأُقدم عذراء عفيفة للمسيح**" (٢كو ١١ : ٢) وأيضاً فى قوله: "أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها . . **هذا السر عظيم (الزواج) ولكننى أقول من نحو المسيح والكنيسة**" (أف٥ : ٢٥).

وكذلك مثل قول الملاك للقديس يوحنا فى سفر الرؤيا "هلم فأريك العروس امرأة الحمل" (رؤ٢١ : ٢ ، ٩). والآن دعونى أختار لكم بعض ظلال الصليب فى سفر النشيد . . .

١ – السوداء الجميلة:

تقول عروس النشيد: "أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم، كخيام قيدار كشقق سليمانَ. لا تنظرن إليَّ لكونى سوداء لأن الشمس قد لوّحتنى" (نش١ : ٥). "سوداء كخيام قيدار". وقيدار هو ابن إسماعيل (تك٢٥ : ١٣). الذى كان يسكن الصحراء فى خيام سوداء من شعر الماعز. وهذا المظهر الأسود من الخارج يشير إلى الخطية والشهوات الجسدية والأرضية التى يتميز بها نسل إسماعيل.

ولكنها تستدرك وتقول أنها رغم ذلك "**جميلة كشقق سليمان**" وقصر سليمان كان مزيناً بالأحجار البيضاء الغالية الثمن والرخام الأبيض والنقوش بماء الذهب الناصع، ومجملاً بالستائر الحريرية البيضاء الجميلة من الداخل.

والمقصود أن هذا السواد الخارجى عارض ودخيل بسبب التجارب "لأن الشمس قد لوّحتنى". وأما الحياة الداخلية فطاهرة ومقدسة وبيضاء مثل الثلج لأنها مغسولة بدم المسيح المسفوك على الصليب والذى منحها التبرير والقداسة أمام الله.

أن مياه النعمة فى المعمودية والتوبة والأعتراف قد غسلت السواد ومحت الخطية، كما أن دم المسيح الفادى الذى يستمد التناول فاعليته فى التطهير من الصليب قد صار لنا من الله براً وقداسة وفداء، "فصار لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا" (أف١ : ٧ ،كو١ : ١٤). وإذا كان العالم لا يرى فينا جمالاً إلا أن الله يرى فينا الجمال الداخلى المنعكس علينا ببره ونوره وكمال عمل روحه القدوس فينا.

٢ – الراعى الصالح عند الظهيرة:

تسأل العروس حبيبها وراعيها الصالح قائلة: "**أخبرنى يا من تحبه نفسى أين ترعى أين تربض عند الظهيرة؟**" (نش١ : ٧). أن الظهيرة هى الساعة السادسة (أى الثانية عشر ظهراً). أنها وقت الصليب الذى صارت فيه ظلمة على وجه الأرض" **ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة**" (مت٢٧ : ٤٥). لقد أتت الساعة التى يبذل فيها الراعى الصالح نفسه عن الخراف" (يو١٠ : ١١). والتى نذكر صليبه، ليس يوم الجمعة العظيمة فقط ولكن فى كل يوم الساعة السادسة، فنصلى فيها قائلين:

"**يا من فى اليوم السادس وفى وقت الساعة السادسة سُمرت على الصليب من أجل الخطية . . مزّق صَكّ خطايانا أيها المسيح إلهنا ونجنا . . .**"

كان المتنيح القمص بيشوى كامل يقول للشباب دائماً: اعتبروا آذان الظهر بالميكروفون عند إخوتنا المسلمين بمثابة منبّة لكم يذكركم بضرورة رفع قلوبكم حيثما وجدتم بصلاة الساعة السادسة، صلاة الظهر المسيحية الأصلية التى تم فيها خلاصنا. أن المسلمين ليس عندهم شئ حصل فى هذه الساعة ولكنهم نقلوها عنا بدون إدراك أنها ساعة الصليب الذى أنكروه وأمّا نحن فخلصنا به، ولا يعقل أن يصلوا هم فى هذه الساعة ونحن ننساها!!

وما أجمل ما كتبه قداسة البابا شنوده فى خطاب لكاتب هذا الكتاب مؤرخ ١٥ أغسطس ١٩٨٣ أثناء تحديد السادات إقامته بالدير هذه السطور: "علينا أن نتحسس فى حياتنا إرادة الله المجردة . . ونقول له فى تواضع قلب "أين ترعى؟ أين تربض عند الظهيرة؟ ربما يقول الرب أننى أرعى غنيماتى عند الصليب . . فنجيبه: ونحن نود أن نحمل معك هذا الصليب أيضاً. ويكون أعظم عمل فى حياتنا هو أعمق المشاعر البشرية وأقربها وصولاً إلى الذى قال عن رسوله بولس: سأريه كم ينبغى أن يتألم من أجل أسمى" (أع٩ : ١٦). إن الناس جميعاً

يبحثون عن السعادة. **أن سعادة حبّة البخور هى فى تلامسها مع النار وتحولها إلى رائحة طيبة تصعد إلى فوق ويتنسم فيها الله رائحة الرضا. وسعادة الشمعة هى أن تذيبها النار حتى تضئ للآخرين.**

وفرح المسيحى الحقيقى وصل إلى كماله فى طريق الجلجثة. أجمل ما نفكر فيه هو ما نعمله من أجل أبديتنا. وأجمل ما يقبله الله منا هو بذلنا فى حبنا له . . . والصليب ليس هو عقيدة بقدر ما هو حياة . . أنه عمق الفرح وهو علاقة تطمئن الإنسان أنه سائر فى الطريق.

٣ – عرش الملك الأعظم من سليمان:

قال الحكيم فى سفر النشيد: "**الملك سليمان عمل لنفسه تختاً من خشب لبنان. عمل أعمدته فضة وروافده ذهباً ومقعده أرجواناً ووسطه مرصوفاً محبة من بنات أورشليم**" (نش٣ : ٩). أن كلمة تخت تعنى كرسى، والمقصود أن الملك سليمان عمل لنفسه كرسى عرش. ووصف هذا العرش بأوصاف عجيبة تتدرج فى القيمة من الأرخص إلى الأغلى، وكل مادة فى تركيب كرسى هذا العرش لها معانٍ رمزية جميلة تشير إلى المسيح وفدائه كما يتضح من الآتى:

(١) عرش من خشب لبنان:

أنه خشبة الصليب التى ملك بها الرب يسوع المسيح على القلوب، ولذلك نقول فى المزمور الأول من الساعة التاسعة "قد ملك الرب على خشبة". وخشب لبنان هو الأرز العملاق ذو الرائحة الطيبة والخشب المُعمر الذى لا يسوّس . . ذلك هو الصليب الخالد الذى إذ أرتفع عليه المسيح جذب إليه الجميع (يو١٢ : ٣٢).

(٢) أعمدته فضة:

والفضة كانت تُسمى بفضة الكفارة أو نصف شاقل الفضة للفداء. وأعمدة عرش ملك الملوك هى الحق والرحمة والبر والسلام، المكتوب عنها فى مزمور ٨٥ : ١٠ "**الرحمة والحق التقيا. البر والسلام تلاثما**". لقد وفق الله فى صليب المسيح بين العدل (الحق) والرحمة والبر والسلام وهكذا أكمل لنا الخلاص.

(٣) روافده ذهباً:

أى أساسه أو قاعدته من ذهب. والذهب يرمز إلى لاهوت المسيح وبرّه الكامل. وقد ظهر الرب يسوع إلى يوحنا فى سفر الرؤيا "متمنطقاً عند ثديه بمنطقة من ذهب" (رؤ١ : ١٣). ومكان القلب هو بين الثديين أى أن قلبه من ذهب نقى ثمين لا يتغير "يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد" (عب١٣ : ٨). ليس عنده تغيير ولا ظل ولا دوران فى قدرته وفى محبته وفى خلاصه.

(٤) ومقعده أرجواناً:

واللون الأرجوانى هو ملبس الأباطرة أى أنه ملك الملوك. كما أنه يتكون من مزيج من اللونين الأزرق والأحمر. اللون الأزرق هنا كما فى ستائر خيمة الاجتماع وهيكل سليمان

(الاسمانجونى) **يشير إلى أن المسيح سماوى وأنه إله أتى من السماء لأجل خلاصنا. واللون الأحمر يشير إلى الدم أى الناسوت ودمه المسفوك عنا على الصليب.** وتكوين اللون الأرجوانى من اتحاد الأحمر بالأزرق يشير إلى أن لاهوته غير المحدود قد أضفى قوة الامتداد عبر الزمن لموته على الصليب ليخلص البشر من آدم إلى آخر أنسان فى الوجود، وإلى أن "لاهوته لم يفارق ناسوته". وأتحاد اللاهوت مع الناسوت هو الذى يعطى الفداء البعد غير المحدود فيكفر عن خطايا العالم كله فى جميع الأجيال لكل من يؤمن به.

(٥) وسطه مرصوفاً محبة من بنات أورشليم:

عجيب أن تذكر المحبة ضمن مكونات هذا العرش، ولكنه ليس عرشاً عادياً بل إلهياً، **والمحبة هنا تذكر فى النهاية على أنها أغلى من الخشب والفضة والذهب والأرجوان . . وأن صليب المسيح هو عرش الحب لأنه ملك الحب الذى أحب وبذل، وليس حب أعظم من هذا أن يبذل احد نفسه من أجل أحبائه، بل ومن أجل أعدائه أيضاً . .** أن محبة المسيح الطاهرة والظاهرة والظافرة فى الصليب تكفى لإذابة أشد القلوب الحجرية قساوة وصلابة. وأختتم سفر النشيد بقصيدة انتصار المحبة بقوله: "لأن المحبة قوية كالموت والغيرة قاسية كالهاوية لهيبها نار لظى الرب المياة الكثيرة لا تطفئها والسيول لا تغمرها، وإن أعطى الانسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقاراً" (نش٨ : ٦ ، ٧).

٤ – انظرن الملك بتاج الشوك:

يقول سفر النشيد: "**اخرجن يا بنات صهيون وأنظرن الملك سليمان بالتاج الذى توجته به أمه فى يوم عرسه وفى يوم فرح قلبهٔ** (نش٣ : ١١). ونحن إذا ترجمنا هذه الكلمات النبوية الرائعة بآيات من العهد الجديد لرأينا التطبيق كالآتى:

+ '**اخرجنٔ**: "فلتخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره" (عب١٣ : ١٣).

+'**يا بنات صهيونٔ**: "وتبعه جمهور كثير من الشعب والنساء اللواتى كن يلطمن وينحن عليه. فإلتفت إليهن يسوع وقال يا بنات أورشليم لا تبكين علّى بل أبكين على أنفسكن وعلى أولادكن" (لو٢٣ : ٢٧).

+'**وانظرن الملك سليمان بالتاجٔ**: "هوذا أعظم من سليمان ههنا" (لو١١ : ٣١)، "وضفر العسكر إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه وألبسوه ثوب أرجوان" (يو١٩ : ٢)، "وعلى رأسه تيجان كثيرة . . وهومتسربل بثوب مغموس بدم ويدعى أسمه كلمة الله" (رؤ١٩: ١٢). حمل عنا أشواك الخطية والموت والجحيم.

+ '**فى يوم عرسه وفرح قلبهٔ**: "ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذى من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب . . (عب١٢ : ٢).

أن يوم عرس ابن الملك هو يوم موته لأجل خلاص شعبه، والتاج الذى توجته به أمه (الأمة اليهودية) هو تاج فداء وخلاص عروسه الحقيقية، أى الذين قبلوه وتوجوه ملكاً على قلوبهم وحياتهم . .

٥ -الفادى الحبيب القدوس أبيض وأحمر:

تقول العروس: "حبيبى أبيض وأحمر" (نش٥ : ١٠). أن هذا الوصف العجيب لو وصفت به أى عروس أخرى عريسها لبدا غريباً ومضحكاً ولا معنى له. ولكنه منطبق تماماً على السيد المسيح العريس السماوى، فهو **ابيض طاهر نقى قدوس بلا خطية ولم يعرف خطية**، وكانت ترمز إليه تقدمه الدقيق (لا ٢)، والدقيق أبيض ناصع ناعم متناسق الذرات مما يشير إلى ناسوته الطاهر الكامل المتناسق فى غير عيب ولا خشونة. وعلى جبل التجلى كانت ثيابه بيضاء كالثلج.

وأما أحمر فيشير إلى دم الفداء. يتساءل النبى أشعياء "منذا الآتى من أدوم بثياب حمر؟" فيسمع المسيح ويجيبه: "أنا المتكلم بالبر العظيم للخلاص". فيعاود سؤاله "ما بال لباسك مُحمرّ وثيابك كدائس المعصرة؟" وهنا يسمع الإجابة "**لقد دست المعصرة وحدى ..**" معصرة غضب الله كحامل لخطايانا واحتمل فى جسده على خشبة الصليب قصاص خطايانا وشرب كأس دينونتنا المرير. **وكما أن العريس أبيض وأحمر، هكذا أيضاً يجب أن تكون عروسه بيضاء لابسة ثياب العرس والبر والخلاص المغتسلة فى دم الحمل هنا وفى الأبدية**. هنا نصلى "طهرنى بالزوفا فأطهر. اغسلنى فأبيض أكثر من الثلج" (مز٥١ : ٧). كان الكاهن يغمس نبات الزوفا فى دم الذبيحة وينضح على التائب المعترف فيطهر. وفى السماء رأى الرسول يوحنا الحبيب جمع المفديين الضخم الذى لا يعد المتسربلين بثياب بيضاء لأنهم غسلوها وبيضوها فى دم الخروف" (رؤ٧ : ٩).

أننا نُلبس الإنسان المعتمد ملابس بيضاء رمز الطهارة ونوشّحه بزنّار أحمر يشير إلى دم المسيح الفادى الغافر الخطية والمطهر منها، ونستطيع أن نقول عنه: 'حبيبى أبيض واحمر'. أن سفر الجامعة يوصينا "لتكن ثيابك كل حين بيضاء" (جا٩ : ٨).

٦ – عَلمه فوقى محبة:

حين تقول العروس أن "علمه فوقى محبة" (نش٢ : ٤) فأنها تشير إلى راية الصليب. **وكما أن العلم شعار الدولة فكذلك الصليب هو شعار المسيحية** فلا مسيحية بدون صليب ولا خلاص بدون الصليب. فهو قوة الله وحكمة الله للخلاص لكل من يؤمن. والصليب هو قمة المحبة وقوتها وتضحيتها ورمزها، وهو يرفرف على حياة كل مسيحى بالحق. وهكذا اختتم سفر النشيد بأنشودة المحبة الخالدة التى تقول: **أن المحبة قوية كالموت. وأن أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة تُحتقر احتقاراً** (نش٨ : ٧).

فالمسيح هو الله والله محبة وهو الذى قال: "بهذا يعرف العالم أنكم تلاميذى أن كان لكم حب بعضكم نحو بعض"، وقال أيضاً "وصية جديدة أنا أُعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا" (يو١٣ : ٣٤ ، ٣٥).

آثار الجروح

"وأراهم يديه وجنبه" (يو٢٠ : ٢٠)

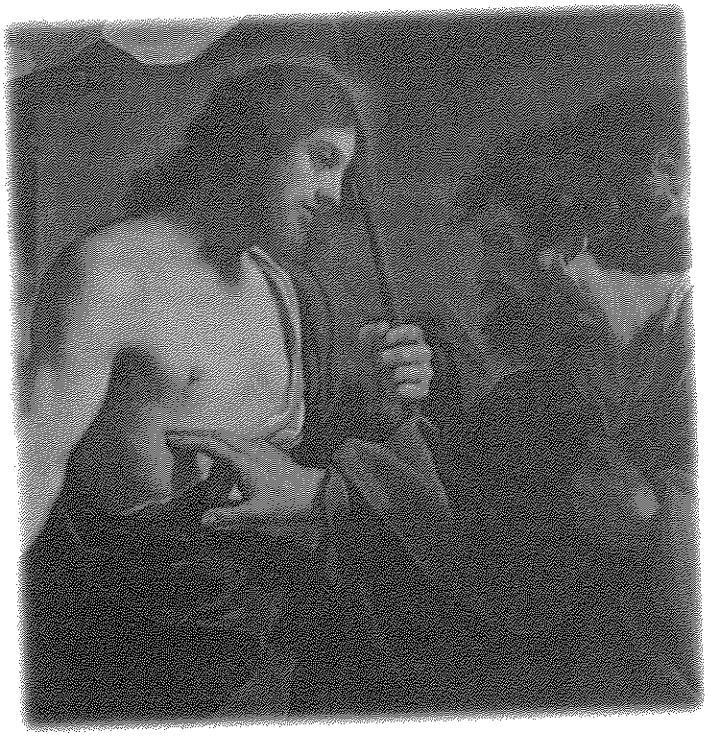

عُذّب مُبشر من أجل تبشيره بالمسيح فى بورما الوثنية. فخلعوا أظافر يديه من جذورها وعلقوه من اصابعه حتى التوت يديه، وانطبعت عليها آثار وعلامات التعذيب. وبعد فترة إذ طُلب منه التبشير فى بلده أخرى وثنية رفض ملكها قائلاً: "أنا يمكننى أن أسمح لعشرات غيرك من الوعاظ أن يبشروا ولكن ليس أنت بالذات مع ظهور آثار الجروح والتعذيب فى يديك. أن شعبى لن يسمعوا إلى ما تقول بقدر ما يشدّ أنتباهم منظر يديك!"

إن الإشارة هنا هى أن آثار الجروح والتعذيب فى يدّى المبشّر ستكون أشد اقناعاً بحبه للمسيح من أيه كلمات يمكن أن يقولها.

حدّثنا الإنجيل عن آثار جروح المسيح، فعندما أخبر باقى التلاميذ توما بأنهم رأوا الرب، قال لهم توما "إن لم أبصر فى يديه آثار المسامير وأضع إصبعى فى أثر المسامير وأضع يدى فى جنبه لا أومن". وبعد ثمانية أيام إذ كان التلاميذ مجتمعين وتوما معهم وكانت الأبواب مغلقة، **جاء يسوع ووقف فى الوسط وقال لهم ٱسلام لكمْ ثم قال لتوما ٱهات إصبعك إلى هنا وأبصر يدى وهات يدك وضعها فى جنبى ولاتكن غير مؤمن بل مؤمناً. أجاب توما وقال له ربى وإلهىْ** (يو٢٠ : ٢٥).

لقد آمن توما لمّا رأى آثار جروح الرب يسوع. بالنسبة له كانت هذه الآثار هى أعظم دليل على أن هذا هو يسوع الحقيقى، المسيح الذى تألم ومات والذى قام من القبر. ومن خلال الأنجيل يظهر المسيح المقام نفسه لنا نحن أيضاً ويكشف لنا عن آثار جروح يديه ورجليه وجنبه. فماذا يا ترى تعلمنا هذه الآثار، وبماذا تخبرنا عنه؟

(١) آثار جروح المسيح تحدثنا عن حبه لنا:

يكتب الرسول بولس: لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات فى الوقت المعين لأجل الفجار. فأنه بالجهد يموت أحد لأجل بار. ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت. **ولكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن خطاه مات المسيح لأجلنا** (رو٥ : ٦ – ٧).

إن آثار جراح الرب يسوع المسيح تتكلم بفصاحة عن حبّه لنا. هذا التأثير الذى يجب أن يُحدث فى كل إنسان مسيحى ما أثره فى توما ويجعل كل منا يهتف "ربى وإلهى" .. لقد أحببتك دائماً ولكنى الآن أحبك اكثر من أى وقت مضى.

(٢) آثار جروح المسيح تعلمنا أن الحياة جهاد وألم:

من أيــن جــاءت الفكرة للبعض أن المسيحى الصالح لا يعانى الآلام؟ قال القديس أغسطينوس "أن الله له ابن واحد بدون خطية"، ولكنه ليس له ابناء بدون آلام. "فى العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم" (يو١٦ : ٣٣).

أن أسوأ شئ يستطيع الشر أن يفعله هو ان يقتل ابن الله لمدة ثلاثة أيام. ولكن ما قد يظهر الشر بأقوى أسلحته هو شئ مؤقت سرعان ما ينهزم أمام الحق المنتصر.

(٣) أن جروح المسيح تتحدث إلى جروحنا:

أن أصعب ما فى آلام المؤمنين تلك اللحظات السوداء التى يتصورون فيها ان الله ليس معهم فى آلامهم أو يُجربون بالاعتقاد أن الله تركهم أو نسيهم، وانه يملك فى امجادة بعيداً عنهم! هذا ليس صحيحاً مطلقاً يا لها من كلمة السر؟! **عندما تسكب مشاعر احتجاجك أمام الرب يسوع وتقول له: 'كيف يمكن أن يحدث هذا لى؟ أنظر . . . انه يكشف لك آثار جروحه فى يديه ورجليه وجنبه!**

(٤) آثار الجروح فى جسد المسيح حدثت بسبب خطية الإنسان:

إذا كان لنا أن نختار رمزاً للخطية فربما كان افضل شئ هو المسمار! أن كل خطية عبارة عن مسمار يُدق فى جسد يسوع. **أن أفضل تعريف للخطية ليس هو كسر وصايا الله بقدر ما هى كسر لقلبه.** يقول المرنم بروح النبوة فى المزمور وهو على الصليب "العار كسر قلبى فمرضت" (مز٦٩ : ٢٠).

تحكى قصة عن أحد جنود قوات الأحتلال فى ألمانيا عقب الحرب العالمية الثانية، كان بعيداً عن زوجته وبيته وأحبائه، بينما كان يسكن فى أحد شوارع برلين وجد احد المنازل القليلة

التى لم تدمرها الغارات الجوية وكان بيتاً للبغاء والدعارة وعليه صور عارية تغرى على الخطية. ولما شعر الرجل بضعف أمام التجربة ووضع يده فى جيبه ليرى هل معه نقوداً تكفى. وإذا به يُخرج من جيبه صورة للمسيح المصلوب كان يحتفظ بها دائماً، فرأى آثار الجروح فى يدى المسيح وبدون تردد سار فى طريقه بعيداً عن التجربة وهو يقول لنفسه "أنا لا أستطيع أن أخطئ فى حقه مرة أخرى لقد نسيت آثار جروحه . .".

لقد كان مجرد ذكر جروح الصليب أو رؤيتها ولو فى صورة سبباً فى إنقاذ الرجل من السقوط فى الخطية.

لقد عمل البعض تدريباً لأنفسهم بوضع مسمار فى جيبهم بصفة مستمرة ليذكّرهم بجروح محبة المسيح فيشكروه ويمجدوه، ويحذروا من السقوط فى الخطايا والتجارب والشهوات.

كذلك ليتنا إن لم نضع فى جيبنا مسماراً فلنضع فيه صليباً صغيراً يذكرنا بمحبة المسيح وآلامه وجروحه الشافية.

(٥) أثار جروح المسيح تعلن انه لن ينسانا:

يقول النبى الآنجيلى أشعياء عن ذلك بروح النبوة "هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها. حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك. **هوذا على كفىّ نقشتك.** أسوارك أمامى دائماً" (أش٤٩ : ١٥ ، ١٦).

لقد نقش الرب يسوع أسماءنا على كفيّه بمسامير الصليب. نعم نقش أسمائنا على كفيه بالألم وبالدم. انه لم يكتبها حتى يزول بل نقشها وحفرها بالجروح فى يديه حتى تبقى ثابتة الى الأبد، وحتى لاتنسى مطلقاً.

(٦) آثار جروح المسيح تثبت قيامة المصلوب وانتصاره:

عندما ظهر رب المجد يسوع لتلاميذه بعد قيامته جزعوا وظنوا انهم نظروا روحاً فقال لهم انا هو لاتخافوا ولماذا تخطر أفكار فى قلوبكم . . جسونى. وأراهم يديه ورجليه وآثار جروح المسامير ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب.

وعندما شك توما فى قيامته وقال ان لم أبصر يديه ورجليه وأضع أُصبعى فى آثر المسامير لا اؤمن. فلما قال له الرب "تعال يا توما هات أُصبعك الى هنا وابصر يدّى وهات يدك وضعها فى جنبى ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً. أجاب توما وقال له ربى وآلهى" (يو٢٠ : ٢٧)، فقادته الجروح للايمان بالقيامة.

المسيح حمل أشواكنا

وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسهُ (مت٢٧ : ٢٩)

اُخرجن يا بنات صهيون وانظرن الملك بالتاج الذى توّجته به أُمه فى يوم عرسه وفى يوم فرح قلبه (نش٣ : ١١)

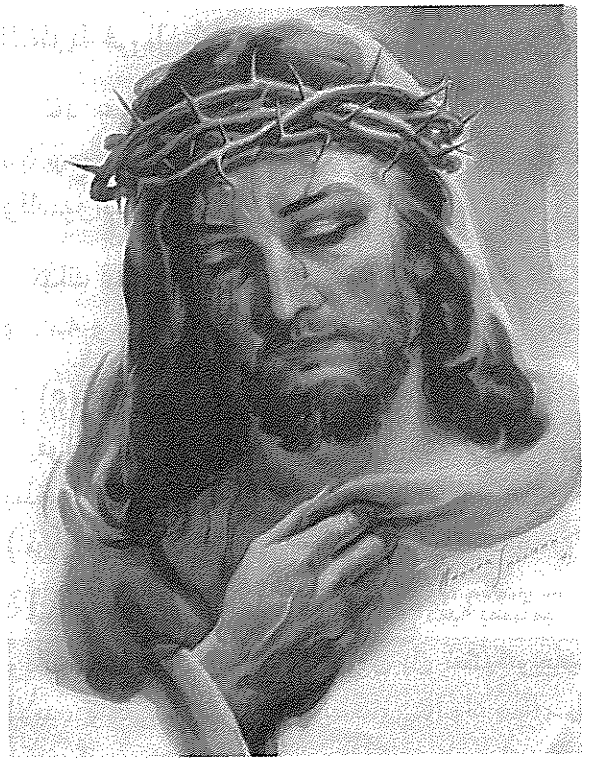

جاء إكليل الشوك كحلقة فى سلسلة أعمال الهزء والسخرية والإهانات والتعذيب التى قام بها الجنود الرومان الشرسون تجاه السيد المسيح، فيخبرنا القديس متى البشير أن " **عسكر الوالى أخذوا يسوع الى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة. فعرّوه والبسوه رداء قرمزياً وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه** وقصبة فى يمينه وكانوا يجثون قدّامه ويستهزئون به قائلين السلام يا ملك اليهود وبصقوا عليه **وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه**" (مت٢٧ : ٢٧).

١ – الشوك من عقوبات السقوط

وقد ظهر الشوك لأول مرة على مسرح التاريخ والوجود عقب سقوط الإنسان فى الخطية والعصيان، إذ قال الله لآدم ضمن حكم العقوبة عليه "ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكاً وحسكاً تنبت لك" (تك٣ : ١٨).

٢ – الشوك زراعة شيطانية:

وفي مثل زوان الحقل أوضح الرب يسوع أن الشوك هو زراعة شيطانية لأن الله لم يزرع شوكاً بل زرع زرعاً جيدا، فقال: "وفيما الناس نيام جاء عدو وزرع زواناً – شوكاً – فى وسط الحنطة" (مت١٣ : ٢٥ ، ٣٩) **وأضاف صراحة أن العدو الذى زرع الزوان هو إبليس. فالشيطان هو الذى زرع الخطية وكل نتائجها وهو سبب كل بؤس وتعب وخراب وعذاب وبلية.**

٣ – أشواك الأمراض والأحزان والموت والهاوية:

ومع شوكة الخطية جاءت أشواك أخرى كثيرة موجعة وأليمة مثل "شوكة المرض". وكم من جيوش الأمراض الرهيبة تهاجم الإنسان، كل إنسان فى كل مكان وزمان، من الطفولة الى الشيخوخة وتهدد حياته كل يوم. وقد وصفها الرسول بولس بأن لطمة جاءته من الشيطان فأعطي شوكة فى الجسد (٢كو١٢ : ٧). كما تحدث فى موضوع آخر عن شوكة أخرى مرعبة تدعى "شوكة الموت" (١كو١٥ : ٦٥) وأن هذه الشوكة لابد أن تنغرس فى كل انسان فتقتله، وناهيك عن باقى أشواك الأحزان والمآسى والتجارب والخسائر ... "أما شوكة الموت فهى الخطية".

٤ – أشواك الكسل والإهمال:

يقول الحكيم سليمان "مررت بحقل الكسلان وبكرم الرجل الناقص الفهم فاذا هو قد علاه القريص وقد غطّى العوسج وجهه وجدار حجارته انهدم" (أم٢٤ : ٣٠).

عندما وصف السيد المسيح عروسه الكنيسة أو نفوس المؤمنين وسط العالم، قال: "كالسوسنة بين الشوك حبيبتى بين البنات" (نش٢ : ٢). لقد شبّه المؤمنين بالمسيح بزهرة السوسن البيضاء الجميلة رمز الطهارة والسلام والجمال والرائحة الطيبة، بينما وصف غير المؤمنين بالشوك المؤذى القبيح المنظر الذى لا ظل له ولا ثمر ولا فائدة ولا رائحة طيبة.

فلنحذر إذن من التكاسل والإهمال فى الصلاة وحفظ وصايا الله والصوم والعشور والإعتراف والتناول والخدمة لئلا تفسد الثعالب الصغيرة بستان حياتنا الذى استراح فيه الرب يوماً بسرور ويتحوّل الى خرابة أشواك أليمة تغرس فى جبين المسيح الطاهر.

٥ – حصاد الشوك:

يقول الحكيم سليمان **"كصوت الشوك تحت القدر كذلك ضحك الجهال"** (جا٧ : ٦) إنه يصف ضحك الأشرار الجهال الأجوف بصوت النار المشتعلة فى شوك والتى لا تعطى حرارة ولا نوراً، وإنما مجرد فرقعة وشرراً. فهو ضحك أجوف من الحلق وليس فرحاً من القلب.

ومن ناحية أخرى حدثنا سفر التكوين عن جنازة يعقوب الحارة التى استمرت سبعة أيام فى "بيدر أطاد" والتى علّق عليها الأمم المجاورة بأنها "مناحة ثقيلة للمصريين" (تك٥٠ : ١١). ومعنى "بيدر أطاد" الحرفي هو "حصاد الشوك" !! ومؤدى هذا أن أفراح الإنسان وأحزانه فى هذا العالم ما هى الاّ قبض الريح وحصاد أشواك، ولكننا نتطلع الى فرح الروح بالرب وبخلاصه الذى يدوم ويكمل فى مجده الأبدى.

٦ – المسيح يحمل أشواكنا:

ومع أن عسكر الرومان قد تفننّوا فى اختراع أكليل الشوك إمعاناً فى الاستهزاء بالمسيح كملك وفى تعذيبه كيهودى عدو زعموا أنه نادى بالاّ تعطى جزية لقيصر، الاّ أنهم كانوا يتممون نبوات ومعان رائعة وهم لا يعلمون. ففى سفر النشيد الذى كان سليمان يمثل فيه

المسيح الملك ابن داود الحقيقى قال الوحى (قبل الصليب بنحو ألف سنة) فى وصف هذا المشهد العجيب: "أخرجن يابنات **صهيون وانظرن الملك بالتاج الذى توّجته به أمه فى يوم عرسه وفى يوم فرح قلبه**" (نش٣ : ١١). ان الملك هو المسيح وبنات صهيون اليهود، وأمه هى الأمة الإسرائيلة والتاج هو إكليل الشوك، ويوم عرسه هو يوم موته عن شعبه، ويوم فرح قلبه هو يوم إتمام خلاصه !!

قصة تاريخية: (اندروكليس والأسد)

قصة مشهورة عن اندروكليس الذى هرب من عبودية سيده الى مغارة فى جبل. واذا به يسمع أنيناً من داخل الكهف المظلم. ولما دقق النظر لمح اسداً ضخماً رابضاً يئن متوجعاً من الألم.

ارتعب اندروكليس ولكنه تشجع وغلبته الشفقة إذ رأى شوكة كبيرة مغروسة فى قدم الأسد فذهب إليه اندروكليس وانتزع الشوكة من رجله ... وشعر الأسد بالراحة وصار صديقاً له. وبعد شهور غادر اندروكليس المغارة وقبض عليه وحُكم عليه بالموت أيام الاضطهاد الدموى وألقوه للوحوش المفترسة.

ورأى المتفرجون منظراً عجيباً. وإذا بالأسد الجائع يقترب من اندروكليس ويركع عند قدميه ويلعق قدميه معبراً عن شكره وحفظه للجميل ولا يؤذيه! كان هو نفسه الأسد الذى أخرج الشوكة من قدمه!

شوكة واحدة فى قدم أسد جعلته يتوجع ويتأوه هكذا ويحفظ الجميل فما بالنا بإكليل من الأشواك البرية الكبيرة المؤلمة تغرس فى رأس المسيح؟!

لقد حمل الرب أشواكنا كلها فى جسده وقيل عنه "أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا ... أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها (مت٨ : ١١). إنه "حمل الله الذى رفع خطية العالم"، وداس الموت بموته وغلب الجحيم بقيامته. وبذلك يستطيع اصغر مؤمن أن يهتف الآن بملئ فمه: "أين شوكتك يا موت؟؟ اين غلبتك ياهاوية (١كو١٥ : ٥٥).

ليتنا نبكى ونخجل لأننا سببنا لفادينا كل هذه الأوجاع بخطايانا، ليتنا نتوب توبة لا رجوع فيها ولا فتور لنمجده ونرفع اسمه لأنه صنع معنا رحمة كعظيم رحمته. أعطنى يا مخلصى **أن أعتبر صليبك كنزى، واكليل الشوك مجدى، وأوجاعك تنعمى، ومرارتك حلاوتى، ودمك حياتى، ومحبتك فخرى وشكرى.**

أشعياء ونظرته التلسكوبية لآلام المسيح

الأصحاح ٥٣ من سفر أشعياء النبى يقدم نبوة رائعة مذهلة فى أدب العهد القديم. أنها حقيقة مذهلة أن رجلاً عاش قبل التجسد بسبعة قرون ونصف يرى بوضوح تفاصيل موت المسيح. كان لأشعياء عين تلسكوبية اخترقت سبعة قرون من المجهول وعبرت الأزمنة لتخبر عن الفداء الإلهى الذى أُعلن إليه بالروح القدس . .

(١) أشعياء رأى موت المسيح الكفارى وفهم غرضه:

"والرب وضع عليه إثم جميعنا . . أنه قطع من أرض الأحياء . . ضُرب من أجل ذنب شعبى . . سكب للموت نفسه" (أش٥٣ : ٦). كانت النبوات أحياناً تتحدث عن مُلك المسيا ومجده التى فسّرها اليهود بطريقة أرضية، ولكن هذه النبوة الرائعة فى أشعياء ٥٣ وكذلك مزمور ٢٢، تنسجم مع ظلال العهد القديم التى تعلن أنه: "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة". لقد أسس المسيح مملكته داخل قلوب شعبه المغسولة بالدم. لقد مات عنهم وفداهم لكى يخلصهم من خطاياهم.

(٢) أشعياء رأى صمت المسيح الكفارى فى المحاكمات:

قال انه **"ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه . . كشاة سيق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه"** (أش٥٣ : ٧). لقد تعجب كل من بيلاطس وهيرودس من صمت المسيح وعدم دفاعه عن نفسه. أنه يسمى **الصمت الكفارى** لأن الإنسان المظلوم حين يدافع عن نفسه يجد راحة ومتنفساً. أما يسوع فلزم الصمت . . أعظم محام عن البشرية وكلمة الله لم يدافع عن نفسه بكلمة واحدة فى محاكماته وكان صمته أفصح من كل كلام!

(٣) أشعياء رأى لصّين يصاحبان المسيح فى موته:

"وأحصى مع أثمة" (أش٥٣ : ١٢). قد يفسر البعض هذه النبوة بصفة عامة أن المسيح حُسب كواحد من بنى البشر الخطاة، وكممثل للجنس البشرى الخاطئ يصالحنا مع الله. ولكن أكثر من ذلك تشير النبوة إلى رؤية أشعياء النافذة لتفاصيل موت المسيح الفدائى أنه حُسب مع اللصين المذنبين ومع غنى عند موته وقد تم ذلك حرفياً.

(٤) أشعياء رأى إيمان اللص وخلاصه:

"جعل نفسه ذبيحة أثم يرى نسلاً . ." (أش٥٣ : ١٠).

هذه نبوة مدهشة حقاً. فى اللحظة التى قدم المسيح فيها نفسه ذبيحة خطية "يرى نسلاً . . يرى

أول مولود للنعمة يؤمن ويخلص ويدخل إلى الفردوس. فيقول الإنجيل أن أحد اللصين المصلوبين معه تاب قائلاً: "اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك" فقال له الرب: "الحق اقول لك أنك اليوم تكون معى فى الفردوس" (لو٢٣ : ٤٢).

(٥) أشعياء رأى الجلدات وجروح الفادى المصلوب:

قال أشعياء النبى: "وهو مجروح من أجل معاصينا مسحوق لآجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه وبحُبره (أى جراحاته)شفينا" (أش٥٣ : ٥). وقال أيضاً انه "ضُرب من أجل ذنب شعبى" (٥٣ : ٨).

(٦) أشعياء يسمع صلاة المسيح الشفاعية فى صالبيه:

"**وشفع فى المذنبين**" (أش٥٣ : ٤٢). ليس بصر أشعياء فقط هو الذى اخترق الأزمنة ولكن سمعه أيضاً حين سمع السيد المسيح يقول وهو على الصليب: "أغفر لهم يا أبتاه لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لو٢٣ : ٣٤). لقد رأى وسمع السيد المسيح كرئيس كهنة يقدم شفاعة أمام عرش الله.

(٧) أشعياء رأى دفن المسيح فى قبر يوسف الرامى:

" وجعل مع الأشرار قبره **ومع غنى عند موته**" (أش٥٣ : ٩). فبالرغم أن المسيح مات كفاعل شر ومجدف فى نظر اليهود، إلاّ أنه لم يدفن فى مدافن المتهمين العامة، ولكنه دفن بطريقة خاصة ومختلفة. "ولما أتى المساء جاء رجل غنى من الرامة اسمه يوسف الرامى وتقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع .. ودفنه فى قبر جديد نحته فى الصخر" (مت٢٧ : ٥٧).

(٨) أشعياء رأى قيامة المسيح:

"**نسلاً تطول أيامه**" (٥٣ : ١٠). فى زمن نبوة أشعياء يبدو عجيباً أن شخصاً يُصلب ويُقتل بهذه الوحشية يمكن أن تستمر خدمته وتطول إلى نهاية العالم. لقد هز النبى رأسه وهويُعلن أن القبر سيُهزم. نعم أن قبر ذلك الغنى يوسف الرامى لن يستطيع أن يحبس جسد المسيح ويبقيه فى قبضته، فقد قام فى اليوم الثالث ويبقى حياً لايموت الى الأبد. وهو الذى قال عن نفسه: "**أنا هو الأول والآخر والحىّ وكنت ميتاً وها أنا حىّ الى أبد الآبدين**". (رؤ١ : ١٨).

(٩) أشعياء رأى نجاح عمل المسيح:

لقد بدأ أصحاحه "من صدق خبرنا" وأنتهى بأن "**مسرة الرب بيده تنجح ومن تعب نفسه يرى ويشبع**" (أش٥٣ : ١ ، ١٠ ، ١١). والكلمة الأصلية المترجمة (تعب) هنا هى نفسها التى تستعمل فى آلام الولادة! فكيف عرف النبى أن آلام الموت الكفارى ستنجح فى ولادة ملايين النفوس فى العائلة الإلهية للحياة الأبدية، وكان خلاص اللص اليمين مقدمة فقط لهذه السيمفونية الرائعة.

(١٠) أشعياء رأى تمجيد المسيح:

"**لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة**" (أش٥٣ : ١٢) فالمصلوب صار غالباً ومنتصراً أنه هو أشعياء نفسه الذى سبق وتنبأ عن انتصار المسيح على الشيطان وتحرير غنائمة بقوله: "هل تُسلب من الجبار غنيمة وهل يفلت سبى المنصور؟ فانه هكذا قال الرب حتى سبى الجبار يُسلب وغنيمة العاتى تفلت" (أش٤٩ : ٢٤).

سفر زكريا هو السفر قبل الأخير من أسفار العهد القديم – أى رقم ٣٨ – وهو من الأنبياء الصغار الأثنى عشر. ومعنى اسم زكريا هو "يهوة يذكر" أو "الرب يذكرنى".

وقد تسمّى بهذا الاسم اثنان وثلاثون شخصاً فى الكتاب المقدس من أشهرهم اثنان هما زكريا النبى والكاهن صاحب هذا السفر ويُدعى زكريا بن برخيا بن عدّو، والثانى هو زكريا الكاهن والد يوحنا المعمدان. وقد ولد زكريا فى أواخر سنين السبى وكان زميلاً للنبى حجّى ويذكر التقليد اليهودى انه دُفن بجانبه.

وسفر زكريا مكون من ١٤ أصحاح كتب فى العصر الفارسى أثناء حكم داريوس الأول حوالى عام ٥٢٠ قبل الميلاد، وهو غنى بالنبوات الرائعة الدقيقة عن السيد المسيح وآلامه وفدائه وملامحه ووظائفه ولاهوته ومجيئة الثانى وهو يعتبر السفر الثالث فى العهد القديم بعد سفرىالمزامير وأشعياء. وفيما يلى أذكر ١٣ نبوة منه.

المسيح فى سفر زكريا.

تحدث سفر زكريا عن الرب يسوع المسيح فى مجيئه الأول والثانى، وكما تّمت جميع النبوات الخاصة بمجيئه الأول فسوف تتم النبوات الخاصة بمجيئه الثانى. **وقد وصف المسيح بأنه العبد والملك وملاك الرب ورب الجنود والراعى وغصن البر والحجر الكريم الذى له سبعة عيون والذى رُفض وبيع بثمن العبد وصُلب وطعن فى جنبه بالحربة !**

١ – ملاك الرب (زك٣ : ١ ، ٢):

"وأرانى يهوشع الكاهن العظيم قائماً قدام ملاك الرب والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه. فقال الرب للشيطان لينتهرك الرب ياشيطان ... أفليس هذا شعلة منتشلة من النار" (زك٣ : ١ ، ٢). انه هنا لا يتحدث عن ملاك عادى ولكن عن المسيح فى أحد ظهوراته السابقة على التجسد والمعروفة لاهوتيا بأسمً (Pre Incarnation Appearances)

فقد كان المسيح يظهر أحياناً فى العهد القديم – قبل التجسد من العذراء – فى هيئة رجل أو هيئة ملاك أو هيئة عمود نار أو عمود سحاب. وأليكم بعض الأمثلة لذلك:

١) ظهر المسيح لأبراهيم ومعه ملاكان فى هيئة ثلاثة رجال فى تكوين ١٨ وقد تحدث معه ابراهيم على أنه الرب وتشفع فى سدوم وقال له " شرعت أكلّم المولى وانا تراب رماد أديّان كل الأرض لا يصنع عدلاً . . . وقال فى تكوين ١٩ : ١ فجاء الملاكان الى سدوم . . الخ

٢) وهو ملاك الرب الذى صارع مع يعقوب فى تكوين ٣٢ وقيل عنه انه " جاهد مع الله" ووصفه هوشع النبى "جاهد مع الله وجاهد مع الملاك وغلب" (هو١٢ : ٣).

٣) وهو المسيح الذى ظهر لموسى فى لهيب نار العليقة التى تشتعل بالنار ولا تحترق اشارة الى التجسد واتحاد اللاهوت بالناسوت والميلاد العذراوى، وقال له اسمى "أهيه أى أنا هو "وهو الاسم الذى استخدمه المسيح فى انجيل يوحنا ١٢ مرة (خر٣ : ١٤) وقد قال عنه سفر أعمال الرسل (٧ : ٣٠ – ٣٦). الملاك الذى ظهر فى العليقة.

٤) وهو ملاك الرب الذى قاد بنى اسرائيل فى البرية واسم الله فيه (خر٢٣ : ٢٠ ، ٢١).

٥) وهو الذى ظهر ليشوع باسم رئيس جند الرب أو رب الجنود الملائكية (يش٥ : ١٣ ، ١٥)

٦) وهو المسيح نفسه الذى ظهر لمنوح اب شمشون كملاك وصعد فى لهيب نار الذبيحة وقال ان اسمه عجيب قضاة١٣ : ١٨ – ٢٢ قارن مع أش٩ : ٦ "ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً آلهاً قديراً . . . ألخ".

٧) وهو المدعو فى سفر اشعياء بملاك الحضرة الآلهية "فى كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلّصهم وفداهم (أش٦٣ : ٩).

٨) وهو الذى ظهر فى أتون النار مع الفتية الثلاثة وأبطل مفعول النار عليهم وأنقذهم ومنظره شبيه بإبن الله (دا ٣ : ٢٥).

٩) وهو ملاك العهد (الجديد) فى سفر ملاخى يأتى بغتة الى هيكله السيد الذى تطلبونه وملاك العهد الذي تسرّون به" (ملا٣ : ١ ، ٢).

٢ – الغصن . . . وغصن البر (زك٣ : ٨ ، ٦ : ١٢ ، ١٣)

وقد قيل عنه فى هذه النبوة الأخيرة: **هوذا الرجل الغصن اسمه يبنى هيكل الرب ويحمل الجلال ويجلس ويتسلّط على كرسيه ويكون كاهناً له مشورة السلام.**

قارن مع اشعياء ١١ : ١ ، ٢ عن المسيح الغصن الذى يطلع من جزع يسى (داود) ويحل عليه روح الرب. وقارن مع ارميا ٢٣ : ٥ "ان الرب يقيم من بيت داود غصن بر وملك ينجح ويسمونه الرب برنا"

٣ – **المسيح هو الحجر الكريم الذى له سبعة عيون** (زك٣ : ٩) أى الذى يرى ويعلم كل شئ. وقارن مع الحجر الكريم المرفوض من الناس (١بط٢ : ٥)، وحجر الزاوية (أف٢ : ٢٠) **وتطبيق المسيح على نفسه نبوة داود فى مزمور ١١٨ "الحجر الذى رفضه البناؤون صار رأس الزاوية** (مت٢١ : ٤٢). وهو نفسه الحجر الذى قطع من الجبل بغير يدين (إشارة للميلاد العذراوى) فى سفر دانيال وضرب تمثال الأزمنة وسحقه وصار جبلاً عظيماً ملأ الأرض كلها (دا٢ : ٣٤).

٤ – **المسيح هو الكاهن الذى يجلس على كرسيه بمجد وجلال ويعطى مشورة المصالحة والسلام** (زك٦ : ١٣).

٥ – **المسيح هو الملك الوديع المتواضع البار والمخلِّص**

لعل هذه أشهر نبوة فى سفر زكريا التى قال فيها :" ابتهجى جداً يا أبنة صهيون اهتفى يا بنت أورشليم. **هوذا ملكك يأتى اليك. هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان. وأقطع المركبة والفرس وقوة الحرب. ويتكلم بالسلام للأمم وسلطانه من البحر للبحر ومن النهر الى أقاصى الأرض** " (زك٩ : ٩ – ٢١).

وقد تحققت هذه النبوة حرفياً فى دخول المسيح له المجد الى اورشليم فى أحد الشعانين، ليس راكباً على فرس كالملوك المحاربين ولكن على حمار وجحش ابن أتان رمزاً للسلام وسط أناشيد الفرح وهتافات المزامير "أوصنا . . . مبارك الآتى باسم الرب " (مت ٢١ :١ – ٦١ ، مر١١ ، لو١٩ ، يو١٢ : ١٢ – ٦١). وانظر أيضاً تكوين٤٩ : ١١) ويلاحظ أن هذه النبوة تظهر لنا ملامح المسيح انه ملك وعادل ووديع ومنصور إذ انتصر على الخطية، والموت والشيطان والعالم والجحيم. وأن سلطانه يصل الى كل المسكونة، وأنه رئيس السلام وانه مُخلِّص لأن نداء أوصّنا يعنى خلصنا ولا مخلص الا الله.

٦ – **المسيح هو الفادى الذى بدمه أنقذ أسراه من جهنم:**

يستكمل زكريا النبوة السابقة:" وأنت أيضاً فإنى **بدم عهدك** قد أطلقت أسراك من الجب الذى ليس فيه ماء (جهنم) ارجعوا الى الحصن يا أسرى الرجاء" (زك٩ : ١١ ، ١٢).

٧ – **المسيح هو حجر الزاوية مصدر النعمة والكرامة:**

يقول فى هذه النبوة – موجهاً الحديث الى زرُبابل وهو رمز للمسيح "لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحى قال رب الجنود. من أنت أيها الجبل العظيم أمام زرُبابل تصير سهلاً. **فيخرج حجر الزاوية بين الهاتفين كرامة كرامة له**" (زك٤ : ٦ ، ٧). وهذه الكرامة مترجمة Grace . أى النعمة.

٨ – **المسيح هو الراعى الصالح الذى رُفض وبيع بثمن العبد:**

" قال الرب آلهى إرع غنم الذبح " (زك١١ : ٤ ، ٧)، وقلت **لهم اعطونى أُجرتى فوزنوا أجرتى ثلاثين من الفضة. فقال لى الرب ألقها الى الفخارى . . . الخ** (زك١١ : ١٢ ، ١٣).

٩ – طعن جنب المسيح بالحربة: (زك١٢ : ١٠).

" وأفيض على بيت داود روح النعمة **والتضرعات فينظرون الىَّ الذى طعنوه وينوحون عليه كنائح على وحيد له . .** "

١٠ – ينبوع الدم المفتوح للتطهير من الخطية والنجاسة:

يشير زكريا النبى بوحى الروح القدس فى هذه النبوة الى ينبوع الدم والماء الذى خرج من جنب المسيح المطعون فيقول:" فى ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحاً لبيت داود ولسكان اورشليم للخطية والنجاسة " (زك١٣ : ١). ان لنا فى المسيح الفداء بدمه غفران الخطايا والماء يشير الى غسل المعمودية (أف١ : ٧ ، ٥ : ٢٦ ، تيطس٣ : ٥ ، يو١٩ : ٣٤).

١١ – تعرَّض الراعى الآلهى لسيف الدينونة بدلاً عنا:

تقول هذه النبوة "**إستيقظ يا سيفُ على راعىَ وعلى رجل رفقتى. يقول الرب اضرب الراعى فتتشتت الغنمُ (زك١٣ : ٧)**. **وقد طبَّق السيد المسيح هذه النبوة** على نفسه (مر١٤).

١٢ – جروح الصليب وآثار المسامير فى يدى المسيح:

" **فيقول له ماهذه الجروح فى يديك. فيقول هى التى جرحت بها فى بيت أحبائى** " (زك١٣ : ٦) هذه النبوة تشير الى جروح مسامير الصليب وانها حدثت من خاصته أى الأمَّة اليهودية.

١٣ – مجئ المسيح الثانى مع قديسيه فى يوم الدينونة:

" ويأتى الرب آلهى وجميع القديسين معه " (زك١٣ : ٥).

نقرة الصخرة !!!

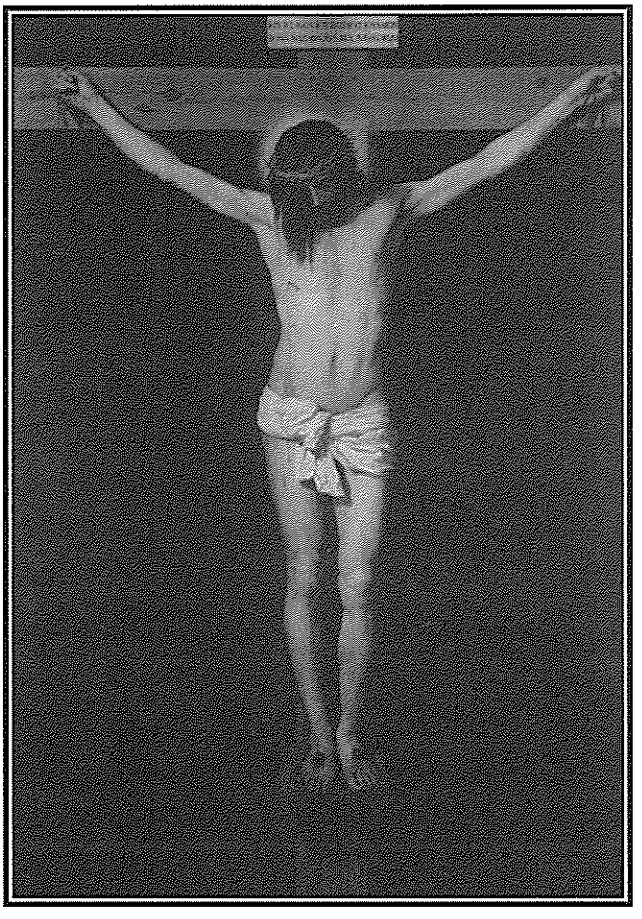

"فقال موسى للرب أرنى مجدك . . . فقال له الرب لا تقدر أن ترى وجهى لأن الانسان لا يرانى ويعيش. وقال الرب هوذا عندى مكان، فتقف على الصخرة ويكون متى اجتاز مجدى أنى اضعك فى نقرة الصخرة وأسترك بيدى حتى أجتاز ثم أرفع يدى فتنظر ورائى. وأما وجهى فلا يُرى" (خر٣٣ : ٢٢).

+ من الحقائق التى أعلنها لنا الروح القدس فى الكتاب المقدس أن "الله لم يره أحد قط (يو١ : ١٨)، لأن "الله روحٌ (يو٤ : ٢٤)، ولأنه "لا يقدر انسان يرى الله ويعيش" (خر٣٣ : ٢٠) وذلك لأن الله العظيم القدوس القدير غير المحدود "الساكن فى نور لا يُدنى منه" لا يحتمل جسد الإنسان الترابى الخاطئ المحدود الضعيف أن يراه أو يقترب منه والاَ يذوب ويحترق ويموت لأنه مكتوب "أن آلهنا نار آكله" (عب١٢ : ٢٩)، ومكتوب "كما يذوب الشمع قدام النار يبيد الأشرار قدام الله" (مز٦٨ : ٢). ولتقريب هذه الحقيقة الى الأذهان نقول اذا اقترب انسان من الشمس – وهى احدى خلائق الله – ولو من مسافة مئات الأميال يحترق ويموت فما بالنا بخالق الشمس والمريخ وبلاين الكواكب والنجوم المماثلة.؟!!

اذن فقد كان لابد من التجسد الآلهى لسببين رئيسيين:

أولهما: هو رؤية الله غير المنظور والتعرف عليه وعلى صفاته وأعماله وارادته دون أن يموت الإنسان.

وثانيهما: لاتمام الفداء وخلاص الإنسان من الخطية والموت والهلاك الأبدى.

ولأجل ذلك فان تكملة الآية الأولى "الله لم يره أحد قط"، هى "الأبن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو قد خبَّر" (يو١ : ١٨). ووصف المسيح بأنه "صورة الله غير المظور" (١كو١ : ١٥) **وقال له المجد عن نفسه 'أنا والآب واحد والذى رأنى فقد رأى الآب'** (يو١٠ : ٣٠ ، ١٤ : ٩).

+ **ومن ضمن أسماء المسيح وألقابه الآلهية أن يدعى 'صخر الدهور'** (أش٢٦ : ٤) ويشرح لنا الرسول بولس هذا الرمز بضرب الصخرة التى خرج منها ماء لبنى اسرائيل فى صحراء رفيديم فشرب منها الشعب وارتوى بقوله "**أن آباءنا جميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيحُ** (١كو١٠ : ٤).

وقال الرب يسوع عن صخرة الإيمان بالوهيته "**على هذه الصخرة ابنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها'** (مت١٦ : ١٨). كما وصف من يسمع كلامه ويعمل به **بالإنسان الحكيم الذى بنى بيته على الصخر** (مت٧ :٢٤).

+ وأما لماذا شبّه الوحى الآلهى السيد المسيح بالصخر وصخر الدهور والجبل والحجر المقطوع من الجبل بغير يدين (أش٢٦ : ٤ ، مت٧ : ٢٤ ، ١٦ : ١٨ ، ٢١ :٤٢-٤٤ ، مز١١٨ : ٢٢ ، دا٢ : ٣٤ ، ١كو١٠ : ٤)، فذلك بسبب صلابة الصخر وثباته ودوامه، وهكذا المسيح هو القوى القدير، والاله السرمدى الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والآخر الذى هو "أمس واليوم والى الأبد" لايتغير (عب١٣ : ٨ ، رؤ١ : ١١).

+ **ومتى كان الصخر هو المسيح كلمة الله المتجسد** (كما أنه كلمة الله المكتوبة التى تستمد قُوتها وثباتها وصلابتها منه)، **فان ضرب موسى للصخرة بأمر الله الذى قال له أنا أقف عليها** (فى سفر الخروج ١٧ : ٥ ، ٦) والذى فجّر ينابيع مياه حية عذبة شرب منها الشعب وارتوى وعاش وأنتعش، **كان رمزاً لطعن المسيح بالحربة على الصليب والذى خرج من جنبه ماء ودم** كما هو مكتوب "**لكن واحد من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء** والذى عاين شهد وشهادته حق" (يو١٩ : ٣٤).

+ **إن طعن جنب المسيح بالحربة أحدث جرحاً عميقاً وفتحه أو نُقرة هى التى رُمز اليها 'بنقرة الصخرة** (خر٣٣ : ٢٢).

+ **والآن لنعد الى قصة الكتاب:** لقد أحب موسى الله من كل قلبه واشتاق ان يراه ويعرف أكثر عن حقيقته وطبيعته فقال له: **"أرنى مجدك".**

ورد عليه الله كصديق حميم وكليم يكلمه فما لفم (عد١٢ : ٨) وكما يكلم الرجل صاحبه (خر٣٣ : ١١). بانه لا يقدر أن يراه "لأن الإنسان لا يرانى ويعيش". ولكن نظراً لدالة موسى وإلحاحه وقد وجد نعمة فى عينى الرب (خر٣٣ : ١٧). **فقد أعلن له الرب عن الحل الوحيد الذى يستطيع موسى به أن يعاين شبه مجد الرب ويعيش وهو "قال الرب أضعك فى نقرة الصخرة وأسترك بيدى حتى أجتاز. ثم أرفع يدى فتنظر ورائى وأما وجهى فلا يُرى".**

+ **والمعنى الروحى والرمزى أو النبوى المقصود هنا هو أن المكان الوحيد والحل الوحيد لكى يرى الإنسان مجد الله هو فى شخص المسيح المتجسد وصليبه الذى صنع به الفداء والخلاص على صخرة الجلجثة وجنبه المطعون الذى فيه يتجلّى أروع حب وتضحية تفوق الخيال فمن نقرة الصخرة نشاهد مجد الرب معلناً بكل جلاء، "لأنه هكذا أحب الله العالم"** . . وكلمه "هكذا" أى بهذه التضحية الجبارة غير المحدودة التى تفوق العقل (يو٣ : ١٦).

+ **أما الدم والماء اللذان تفجرا من جنب المسيح بعد موته فهما دليل على ألوهيته الكاملة وإنسانيته الكاملة معاً وأن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين، ويشيران الى التبرير بالدم والتقديس بالماء والروح فى المعمودية. وأننا إن كنا قد تبررنا بدمه يجب أن "نسلك كل أيامنا بالقداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب" (عب١٢ : ١٤) فالتبرير والتقديس توأمان لا ينفصلان كالدم والماء وما جمعه الله لا يفرقه إنسان. آمين.**

ظُلم ...!

"ظُلم. أما هو فتذلل ولم يفتح فاه" (أش ٥٣ : ٧)

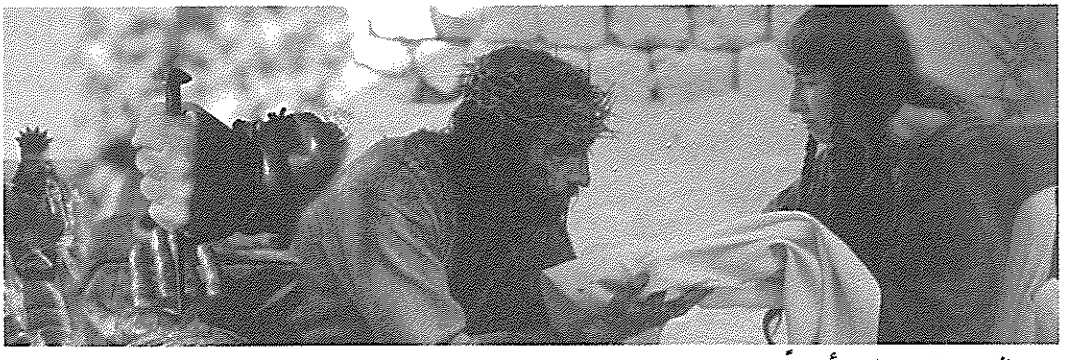

ظُلم ولم يظلم أحداً:

هذه حقيقة وردت فى نبوات أشعياء النبى عن السيد المسيح وأكدتها الأناجيل الأربعة أن المسيح ظُلم وأنه ظلم ظلماً فادحاً. إن أعظم وأشهر قضية فى تاريخ العالم سقط فيها العدل هى قضية صلب المسيح. وتقول صلاة القداس الغريغورى "**أحتملت ظلم الأشرار**" ... وهكذا يعامل الإنسان خالقه وفاديه!

لقد قيل عن رب المجد فى نفس الأصحاح الذى سجل فيه الوحى ضمن آلام المسيح أنه "ظلم"، "**أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن فى فمه غش**" (أش٥٣ : ٩)، وقيل عنه "**وليس فيه ظلم**" (يو٧ : ١٨) كما قيل عنه أنه "ليس بظالم" (عب٦ : ١٠)، والذى إذ شتم لم يكن يشتم عوضاً وإذا تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضى بعدل" (١بط٢ : ٣٢).

هذا الآله العجيب المحب الرحيم والديان العادل الذى "سيدين المسكونة بالعدل والشعوب بالأستقامة"، قد ظلم من الأشرار. والمؤلم أنه قد يظلم أيضاً حتى من الأبرار على مر العصور.!

المراحل الثلاث الكبرى التى ظُلم فيها المسيح

لقد تعرض المسيح للظلم فى جميع مراحل حياته القصيرة على الأرض وأهمها عند ميلاده وطفولته وأثناء خدمته وفى محاكمته وصلبه. ونشير فيما يلى بايجاز لكل منها.

أولاً – ظلم المسيح عند ولادته وطفولته:

من أكبر الآيات المحزنة فى الكتاب المقدس كله، تلك الآية التى سجلها القديس لوقا البشير عند ولادة الرب يسوع أنه "**لم يكن له موضع فى المنزل فولدت أبنها البكر وقمطته وأضجعته فى المذود**" (لو٢ : ٧). كان موسم الأكتتاب مزدحماً وأراد جميع أصحاب البيوت فى بيت لحم أغتنام الفرصة وكسب أكبر مقدار من المال، ولما كان مظهر العذراء وخطيبها القديس يوسف النجار يدل على الفقر ورقّة الحال فقد كان من السهل الاعتذار لهما وإغلاق الأبواب

فى وجهيهما. أما عمل الخير والرحمة والكرم وإضافة الغرباء وخدمة المرأة الحبلى التى على وشك الولادة، فكل هذه المعانى الإنسانية قد تبخرت أمام صنم محبة المال. وكان أقصى ما وصلت اليه مراحم الإنسان مع الضيف الإلهى هو تقديم له مذوداً فى عالم الحيوان.!

لا شك أن سكان بيت لحم لم يعرفوا ولم يتصوروا أن ذلك الضيف الوليد هو نفسه 'الله الظاهر فى الجسد' وأنه 'ملك الملوك ورب الأرباب' وأنه الشخص الوحيد الذى خلد أسم مدينتهم الصغيرة وجعلها تقفز من وادى الجهل والنسيان إلى قمة الشهرة والمجد وان بسببه ستصير من أشهر المدن السياحية فى العالم وأن ملايين من البشر حول العالم عبر العصور سينشدون ألوف ترانيم وأناشيد الميلاد المفرحة التى يتردد فيها ذكر بيت لحم.

لو عرفوا . . لتسابقوا على استضافته وإكرامه. لقد كان لديهم أمثلة معروفة عن أناس سبق أن "استضافوا ملائكة وهم لا يدرون" مثل لوط وأبراهيم الذى أستضاف الرب نفسه مع ملاكين (تك١٨ ، ١٩ ، عب١٣ : ٢). أنها نفس القصة التى تكررت عند الصليب والتى عبر عنها الرسول بولس بقوله: "**لو عرفوا . . . لما صلبوا رب المجد**" (١كو٢ : ٨). **فما اقرب المذود من الجلجثة.!**

إن أسباب هذا الظلم ترجع إلى الجهل والأنانية والمشغولية والمادية ونقص القيم والأخلاقية والإنسانية. ولما كانت هذه الأسباب لا تزال موجوده حتى الآن، لذلك فلا يزال المسيح يظلم ويرفض إلى الآن " ولا يوجد له موضع فى المنزل". أنه لا يوجد له مكان فى كثير من بيوت المسيحيين أنفسهم وحتى رواد الكنائس حتى الآن . . . .

زار أب أبنه العريس عقب زواجه فأخذ الابن يجول بأبيه فى جوانب بيته الفخم ويريه جمال الديكورات الحديثة والتحف واللوحات الزيتية المشهورة والتماثيل ومختلف الأبتكارات المعمارية والفنية ووقف مزهوا يسأل اباه "ما رأيك فى بيتى؟" وهنا أجابه أبوه: "كل شئ جميل ياولدى، ولكن من يدخل بيتك لا يستطيع أن يعرف ما إذا كان هذا البيت ينتمى إلى المسيح أم لا. فلا صورة للمسيح ولا صليب ولا آية ولا إنجيل ولا إجبية ولا صورة لأحد القديسين . . ."!

وماذا نقول عن بيوت المسيحيين التى دخلها الخمر والدخان والخصام والطلاق والشتائم والأكاذيب وتراشق الاتهامات والبذاءات والمنازعات المالية 'والحرب الأهلية' بين الزوجين بسبب أهل كل منهما أو بسبب تدخل أهل أحد الطرفين بجهل وعجرفة للهدم والخراب وليس بحكمة للتعمير والبنيان. لقد طرد المسيح طرداً وظُلم ظلماً من بيوت المسيحيين بالأسم.

لم يعد للمسيح مكاناً فى بيوتنا ولا فى أفراحنا وحفلاتنا ولا فى اشغالنا ولا فى اهتماماتنا وبرامجنا ومؤسساتنا. نعم أنه لا يزال يُظلم ولا يفتح فاه، لعل صمته الحزين يكون أبلغ من كل كلام.

وفى طفولته أعلن الحرب عليه الملك هيرودس وأمر بإرتكاب مذبحة ومجزرة لم تحدث فى التاريخ بذبح جميع أطفال مدينة بيت لحم من أبن سنتين فما دون بقصد قتله والتخلص منه. فظلم الطفل يسوع وظلم اطفال مدينته بسببه من أجل جنون ذلك الملك الطاغية الذى خشى على عرشه من الطفل الوليد!

وطُرد المسيح من بلده وهرب فى أيامه الأولى إلى مصر، بل وظلم وأضطهد فى طفولته بمصر أيضاً إذ كانت تتحطم أمامه أوثان مصر الفرعونية فى كل بلد يتجه إليها مما دعا كهنة المعابد الوثنية إلى مطاردته وهذا سبب تجوّله فى الكثير من الأراضى المصرية، وإن كان ذلك قد آل إلى بركة بلادنا.

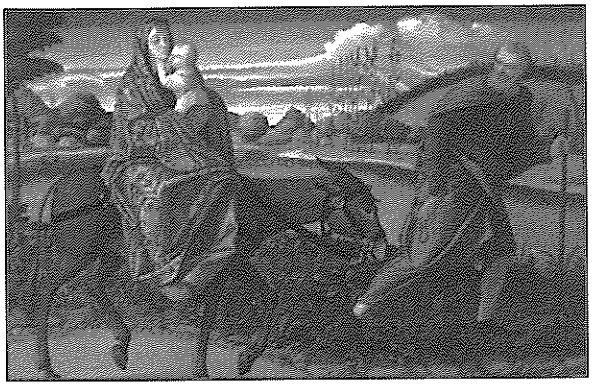

ومع أن أتباع المسيح اليوم يُقدرون بألوف الملايين فى جميع أنحاء العالم، إلا أنه بسبب فتور محبة الكثيرين وطغيان الحياة العالمية والجسدانية والمادية والمدنية، فقد أصبح المسيح مطارداً ومظلوماً من أتباعه أنفسهم وأصبحت المسيحية اليوم عند الغالبية تختلف عن مسيحية المسيح الأصلية حتى عبّر أحدهم عن ذلك بقوله: **"لو تقابل المسيح الحقيقى مع مسيح المسيحيين اليوم لقال له من أنت أنا لا أعرفك!!**

ولكن مهلاً . . . لماذا نعيب على مذبحة هيرودس، ونحن لا نزال نذبح الأطفال حتى الآن كل يوم؟!

ألم نطرد المسيح من مدارسنا؟ ألم نمنع الصلاة فى المدارس وبدلاً منها قدمنا لأولادنا المسدسات والمخدرات وأفلام الجنس وموانع الحمل وشجعناهم على الأجرام والفساد والزنى وأمراض الإيدز وسائر الأمراض التناسلية؟!

نقرأ فى الجرائد أن أمريكا روّعت بحادث قتل أطفال أركنساس لزملائهم فى المدرسة بالمسدسات، وهذا هو الحصاد الطبيعى لتربية التلفزيون وجهل الوالدين وإهمالهم لأولادهم. وما أكثر مناظر العصابات الظاهرة فى حلقة شعر أولادنا وبنطلوناتهم الواسعة ولغتهم الساقطة وأغانى الروك والراب المسمومة، ولبس الشبان للحلقان فى أذانهم!. كل هذا يحصل على مرأى ومسمع الأب والأم وكأنهما فى غيبوبة لا يُحركان ساكناً!

الله يتراءف علينا ويرحمنا . . . . أننا عندما نظلم المسيح ونطرده من حياتنا فإنما نظلم أنفسنا وأولادنا ونطرد من حياتنا كل القيم الفاضلة والسعادة والسلام والخير والأطمئنان.

ثانياً – ظُلم المسيح فى حياته وخدمته:

لقد ظلم المسيح منذ طفولته فلم تسجل الأرض تاريخ ميلاده، لذلك فلا عجب أن يختلف المسيحيون شرقاً وغرباً فى الاحتفال بعيد ميلاده. وأختلف الناس فى اليوم والشهر والسنة! وتشبث كلّ برأيه وزادت الخلافات وصار لها ضحايا والمسيح مظلوم فى الوسط وهو الذى تمنّى وصلى أن يكون الجميع واحداً، ولكن ليس هناك من يهتم بين رؤساء الكنائس رغم صياح الجماهير!

وظُلم المسيح إذ عاش فقيراً لا يملك مالاً ولا عقاراً وكان بعد أن ينتهى يومه المزدحم يمضى كل واحد إلى بيته وأما هو فيبيت فى العراء على الجبل أو على شاطئ البحيرة وقد وصف نفسه بهذه الكلمات المؤثرة "للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار أما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسهُ (مت٨ : ٢٠). وكثيراً ما كانت تستضيفه بعض العائلات المُحبة له مثل عائلة لعازر ومريم ومرثا (لو١٠ : ٣٨-٤٢ ، يو١٢ : ١-٨). أنه أمر مذهل أن ذلك الغنى **خالق الكل قد "أفتقر من أجلنا لكى نستغنى نحن بفقرهِ** (٢كو٨ : ٩). **لقد قدّس الفقر وأحب الفقراء وشابههم إذ افتقر باختياره من المهد إلى اللحد . .**

ظُلم المسيح فى خدمته إذ قام أعداؤه بتأويل كلامه، فقال مثلاً "أعطوا ما لقيصر لقصير وما لله لله" فشهدوا ضده زوراً أنه ينادى بألاّ تعطى جزية لقيصر! وقال عن هيكل جسده أنه سيقيمه فى ثلاث أيام، فقالوا أنه سيبنى فى ثلاثة ايام الهيكل الذى بُنى فى ٤٦ سنة! وأستهزأوا به قائلين "يا ناقض الهيكل وبانيه"! وزعموا انه كسر يوم السبت المقدس لأنه شفى فيه المرضى وعمل معجزات الرحمة!

شفى الرب يسوع المجنون الأعمى الأخرس وأخرج منه الشياطين فقالوا "ببلعزبول يخرج الشياطين" ! شفى المفلوج الذى طال مرضه ثمانية وثلاثون سنة فتركوا المعجزة الجبارة واتهموه أنه شفاه فى يوم سبت وذلك غير جائز فى نظرهم!

أقام لعازر من الأموات بعد أربعة أيام فقالوا: "نقتله ونقتل لعازر الذى يؤمن الناس به بسببه"! واتهموه بأنه "سامرى وبه شيطان"، وأنه "أكول وشريب خمر ومحب للعشارين والخطاة" وأنه مختل العقل" وأنه مجدف!! لقد ظلم المسيح فى حياته وفى خدمته إذ صادف كل صنوف المقاومة والتآمر والآفتراء والاستهزاء والحقد والحسد والحروب الشيطانية.

ثالثاً – ظُلم المسيح فى محاكمته وموته وقيامته:

قال عنه أشعياء النبى قبل مجيئه بأكثر من سبعمائة وخمسين سنة: **"ظلم ولم يفتح فاه. كشاة تساق الى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها** (أش٥٣ : ٧). وقال عنه أرميا النبى **"أصطادنى الأعداء كعصفور بلا سببٍ** (مراثى٣ : ٥٢). ووصف داود النبى مشهد محاكماته وصلبه فقال "فغروا على أفواههم كأسد مفترس مزمجر" (مز٢٢ : ١٤). **"رجل أوجاع ومختبر الحزن ومحتقر من الناس ومخذولٌ** (أش٥٣). **أبغضوه بلاسبب وأسلموه حسداً**

وحاكموه ظلماً. استأجروا عليه شهود زور ولفقوا له التهم بلا حساب **ودفعوا رشاوى للشعب والحراس وفضلوا عليه بارباس اللص. صلبوه بين اللصوص وحرموه حتى من شرب الماء وهو يموت عطشاً وسقوه خلاً!** جلدوه بقسوة ولطموه ولكموه وغرسوا الأشواك الحادة فى رأسه بوحشية، وضربوه بالقصبة على رأسه فوق الشوك وسمروه على الصليب ومزقوا جنبه بالحربة . . "مزقوا ولم يكفوا" (مز٦).

بل وظلموه حتى فى قيامته عندما حاولوا إنكارها وأعطوا الحرس الرومانى رشوة ولقنوهم الأكذوبة الكبرى 'بأن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام'! وعن طريق هذا الكذب والظلم ظلموا ملايين اليهود الذين صدّقوا هذه الأكذوبة الكبرى فهلكوا (مت٢٨).

+ وبعد سبعة قرون ظهر دين جديد ظلم المسيح أيضاً إذ أنكر صلب المسيح وقيامته وألوهيته وخالف جميع تعاليمه، وأمر أتباعه بأن يظلموا أتباع المسيح ويعتبرونهم كفاراً وحرّض على كراهيتهم وقتلهم!

المسيح لا يزال مظلوماً فى حياتنا:

ما قيمة سرد التاريخ دون أن نتعلم منه؟ 'فالتاريخ يعيد نفسه'. أننا نكرم المسيح بشفاهنا ولكن قلوبنا بعيدة عنه. أننا نتأثر عاطفياً فى أسبوع الالام، ولكن سرعان ماننساه على مدار السنة!

أننا مازلنا نظلم المسيح بكسر وصاياه عمداً وبإستهتار ونشرب الخطية كالماء. نظلمه بإعثار الآخرين، والخجل منه وإنكاره أمام الناس. إننا نجعل دمه هدراً وموته بلا سبب. نظلمه بأقوالنا وبأعمالنا وبإهمالنا. نظلمه بإظهاره أمام العالم فى صورة مشوهة. نظلمه فى أوقاتنا . . . ونظلمه فى أموالنا . . . ونظلمه فى أولادنا . . . نظلمه فى كل معاملاتنا الزوجية وعلاقتنا الأخوية وفى أخوته الأصاغر.

نعم 'ظُلِمَ' المسيح واى ظلم لأن ظلمنا له هو أشر ألف مرة من ظلم اليهود والمسلمين. ياليتنا فى هذه المناسبات المقدسة نكُف عن الظلم ونصحح موقفنا ونعّوض عن الماضى الضائع ونتوج المسيح ملكاً على قلوبنا وحياتنا الباقية وندرك أنه 'إن كان واحد قد مات من أجل الجميع فالجميع إذاً ماتوا لكى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات من أجلهم وقام' (٢كو٥ : ١٥).

ولد المسيح في مذود للأبقار
وتسائل اليهود أليس هذا أبن النجار

عاش فقيراً ليس له أين يسند رأسه
ينما لمخلوقاته بيوت وأوجرة وأوكار

لم يحمل كيساً ولا مزوداً ولا مالاً
فدفع الجزية من إستار أخذه من البحار

أشبع الجموع من خمس خبزات
وسمكتين أخذهما من أحد الصغار

ملأ الدنيا خيراً بمعجزات الرحمة
فقوبلت إحساناته بالجحود والأنكار

دخل أورشليم مسالماً وديعاً منصوراً
إتماماً للنبوات راكباً على أتان وحمار

نادى بالحق والتوبة والغفران
فشهد زوراً وبهتاناً عليه الأشرار

حتى تلاميذه هربوا وتركوه وحيداً
في ضعف وخيانة وشك وإنكار

وحوكم طوال الليل خلافاً للناموس
والقانون اللذين يشترطان المحاكمة بالنهار

وشهد له بيلاطس البنطى كحلم
زوجته أنا برئ من دم هذا البار

ولكن رغم هذا الإقرار أسلمه
لجلد والموت على صليب العار

ودفن يسوع في قبر مستعار
لكنه قام محولاً الظلم إلى أنتصار

الخشب الغاطس والحديد العائم

"من وحى عيد الصليب"

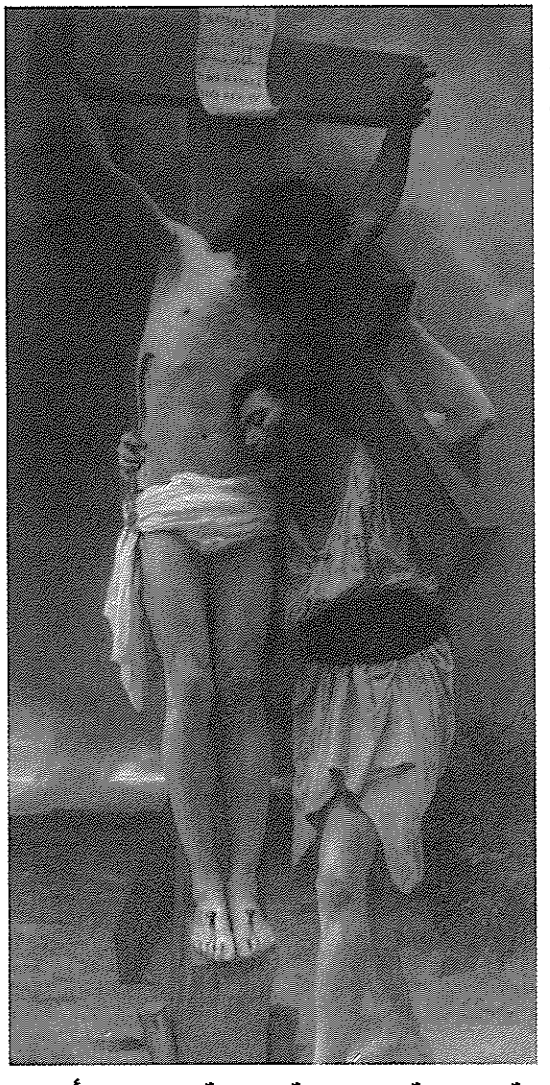

الصليب هو محور النبوات والرموز وموضوع اهتمام السماء والأرض اذ تحدث موسى وايليا فوق جبل التجلى وهما ممثلا الناموس والأنبياء عن موت المسيح الفدائى الذى سيتممه فى اورشليم (لو٩ : ٣١).

ومن الرموز الجميلة للصليب وعمله المعجزى هذه القصة التى حدثت فى أيام اليشع النبى حين ذهب اليه "بنو الأنبياء وقالوا له هوذا الموضع الذى نحن مقيمون فيه ضَيِّق فلنذهب الى الأردن ونأخذ لأنفسنا موضعاً لنقيم فيه. فقال اذهبوا. فقال واحد إقبل واذهب مع عبيدك. فقال انى اذهب. فانطلق معهم. **ولما وصلوا الى الأردن قطعوا خشباً واذ كان واحد يقطع خشبه وقع الحديد فى الماء. فصرخ وقال آه يا سيدى لأنه عارية. فقال رجل الله أين سقط. فأراه الموضع فقطع عوداً وألقاه** هناك فطفا الحديد. فقال ارفعه لنفسك فمدّ يده وأخذه (٢مل٦ :١).

هذه المعجزة تحتوى على صورة رمزية ونبوية وتعليمية جميلة تدعو للتأمل:

١ – انه عارية:

" ان الفأس الذى كان يقطع به ذلك النبى الخشب كان عارية او مستعاراً بمعنى انه سلفة أو وديعة وأمانة عنده ويجب ان يرده الى صاحبه بعد انتهاء هذه المأمورية.

وهذا يشير الى نفس الانسان أو روحه التى أودعها الله فى جسده مدة حياته على الأرض واستأمنه عليها وسوف يستردها مرة اخرى. وفى هذا يقول الحكيم سليمان انه عند موت الانسان يرجع التراب الى الأرض كما كان وترجع الروح الى الله الذى أعطاها (جا١٢ : ٧).

ويقول الرسول المغبوط بولس "لأننى عالم بمن آمنت وموقن انه **قادر ان يحفظ وديعتى الى ذلك اليوم**" (٢تى١ : ١٢). اذن فالروح وديعة غالية يجب ان نحافظ عليها طاهرة نقية فى محبة الله حتى يستردها صاحبها بسرور، أما اذا تركناها تسقط وتتلطخ فى أوحال الخطية فسوف تهلك وسوف نعطى عنها حساباً "اعط حساب وكالتك" (لو١٦ : ٢). وفى قصة الغنى الغبى قال له الله "يا غبى هذه الليلة تطلب نفسك منك" (لو١٢ : ٢٠).

٢ – آه يا سيدى:

" لقد أحسن ذلك الرجل التصرف اذ التجأ الى رجل الله اليشع النبى وصرخ اليه شاكياً مشكلته بأن الفأس المستعارة قد سقطت بإهماله وعدم احتراسه وغاصت فى أعماق الأردن فماذا يفعل وكيف يردها لصاحبها؟

ما أجمل ان يلتجئ الانسان الى رجل الله فى سر الأعتراف ويخبره بالسقوط والضياع ويطلب الحِل والحَل أى الغفران والارشاد.

٣ – اين سقط؟:

" هذا سؤال حكيم من رجل الله وهو ماكرره الرب نفسه وأكده فى سفر الرؤيا بقوله "أُذكر من أين سقطت وتب" (رؤ٢ : ٥). فالطبيب يسأل المريض عن مكان الوجع ويعمل على تشخيص المرض.

فهل كان سبب السقوط هو اهمال وسائط النعمة وترك كلمة الله والصلاة والاعتراف والتناول أم الابتعاد عن الكنيسة أم المعاشرات الردية أم التساهل مع الخطية؟ . . . **حدد مكان السقوط وأسبابه فهذا ضرورى للعلاج وحل المشكلة.**

٤ – فقطع عوداً وألقاه هناك:

قطع اليشع النبى عوداً من الخشب وألقاه فى نهر الأردن مكان سقوط الفأس فحدثت المعجزة بان غاص الخشب الى العمق وطفا الحديد، فما هو سر هذا الوضع المعكوس الذى خالف نواميس الطبيعة؟

ان سرّ المعجزة يكمن فى الرمز فهذا العود الخشبى يرمز الى عود الصليب الذى نزل به المسيح الى الجحيم ليطلق أسرى الخطية والموت والشيطان والهلاك.

٥ – ان الاردن هو نهر المعمودية:

كان يعمد فيه يوحنا المعمدان وأعتمد فيه رب المجد يسوع ونحن عندما نعتمد نغطس فى الاردن أو جرن المعمودية لندفن مع المسيح ثم نقوم لجدة الحياة فالمعمودية تستمد قوتها من الصليب(رو٦).

٦ – فطفا الحديد:

ان هذه الفأس الحديدية الساقطة تشير الى قساوة قلب الانسان الخاطئ وعناده "شعب صلب الرقبة". كما تشير الى ثقل الخطية التى تحدر صاحبها الى الجحيم. ولكن المعجزة تحدث بقوة

الصليب الذى يذيب القلوب الجامدة ويجعلها تتحدى نواميس الطبيعة وتطفو وتعلو.

ان النفس التى تتحرر بصليب المسيح تصير خفيفة اذ تطرح كل ثقل وتنجذب الى ما هو فوق. **فالصليب له قوة جاذبية عجيبة أعظم من جاذبية الأرض والمادة والشهوة. وقد أشار الرب يسوع الى ذلك بقوله: "وأنا ان ارتفعت عن الأرض – أى الى الصليب – أجذب الى الجميع"** (يو١٢ : ٣٢).

والصليب يتحدى قوات الطبيعة فيبطل مفعول السم ويرعب الشيطان ويشفى الأمراض ويغير الانسان الجسدانى الشهوانى الأنانى العدوانى الى "انسان الله" السماوى الروحى الطاهر المحب المتسامح العطوف الذى يطفو فوق جميع تيارات العالم ولجج الخطية والموت.

ومع أن حياة الرب يسوع لها جاذبيتها الفريدة سواء فى معجزاته أو فى تعاليمه الرائعة الكاملة أو فى سلطانه الآلهى على القلوب والعقول والضمائر، الاّ أن جاذبية المسيح فى موته على الصليب كانت أعظم وأروع ولا نظير لها فى تاريخ البشرية فى الحب والبذل والتضحية والصبر والاحتمال والغفران وقوة التأثير حتى جذبت الملايين من جميع أجناس العالم فى كل جيل بدون حرب ولا سيف ولا سفك دم . . .

رب السلام يسوع قـد ... قومـاً عليك تمردوا

إجمع بحبك شمل من ... جهلاً عصوا فتبددوا

من أجل ذلك أذرعـاً ... فوق الصـليب تمدّدُ

والقلب تظهر مضرماً ... نصل رمـاه محددُ

الصليب والفداء

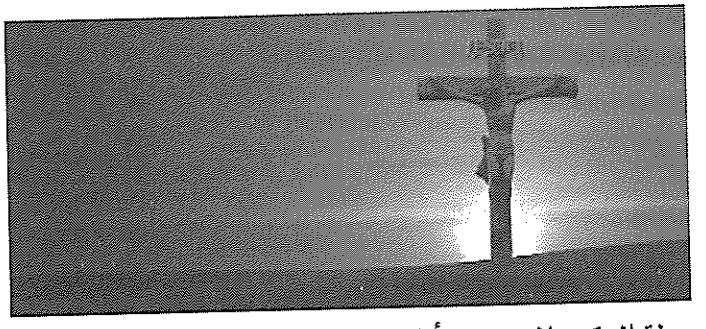

كان الصليب وسيلة الحكم بالموت فى أيام الرومان (بينما كان، استعمال السيف لمن يتمتعون بالجنسية الرومانية). وقد صار الصليب رمزاً للفداء ووسيلة الفداء وبعد ان كان رمزاً للعار أصبح رمزاً للمجد والفخار والأنتصار.

وفى كلمات موجزة عن الفداء فى ضوء كلمة الله نحاول الاجابة على ثلاثة أسئلة :
(١) ماهو الفداء (٢) لماذا فدانا المسيح (٣) ما هى بركات الفداء.

أولاً – ماهو الفداء ؟

١ – الفداء هو حياة عوضاً عن حياة، أو نفس بدل نفس:

تقول كلمة الله ان "أُجرة الخطية هى موت" (رو٦ : ٢٣) وان "النفس التى تخطئ تموت" (حز١٨ : ٤). وقد سبق ان حذر الله الانسان الأول بأن مخالفة وصيته تؤدى الى موته (تك٣ : ١٧). **فلما خالف الانسان الله وكسر الوصية جلب على نفسه حكم الموت واللعنة والتعب. فكان يتحتم أن يموت الانسان ويهلك حسب عدل الله ليكون الله صادقاً حسب تعبير القديس أثناسيوس الرسولى، او يموت عنه شخص آخر ويفديه.**

واذ علم الله بأن الانسان أخطأ عن ضعف وغش وحسد ابليس فقد أشفق عليه ووعده بالخلاص بأن نسل المرأة (المسيح) سيسحق رأس الحية (الشيطان)، (تك٣ :١٥).

وأعطى الله للانسان عربون الفداء إذ ستر عرى آدم وحواء بأقمصة من جلد (تك٣ : ٢١). وكان ذلك جلد ذبيحة حيث أن دم الذبيحة يكفرّ والجلد يستر.

هكذا تعلم هابيل الدرس من أبيه آدم نقلاً عن الله نفسه الذى رسم له خطة الفداء بالدم. ولذلك قال الرسول بولس أنه "بالايمان قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين" (عب١١ : ٤). والايمان الذى يتحدث عنه الرسول هنا هو الايمان بالمسيح الفادى الذبيح وبسفك دمه.

وبدأ خيط الدم الأحمر يتخلل تاريخ شعب الله من سفر التكوين الى سفر الرؤيا. (راجع مقال عشر فاعليات للدم).

ففى سفر الخروج رأينا قصة خروف الفصح (خر١٢) وكان الدم علامة لحماية شعب الله

من الهلاك " **أرى الدم وأعبر عنكم** " (خر١٢ : ١٣). وأشار الرسول بولس الى ذلك بقوله ' **لأن فصحنا المسيح قد ذبح لأجلنا** " (١كو٥ : ٧). **فالمعنى الأول للفداء اذن هو أن نفساً تموت عن نفس اخرى وتفديها.**

وجاء سفر اللاويين بتفاصيل اكثر عن الذبائح وأوضح الرب حكمتها فى الآية الشهيرة " **ان نفس الجسد هى فى الدم وأنا اعطيتكم اياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم لأن الدم يكفّرعن النفس** " (لا ١٧ : ١١). **ويقول العهد الجديد'وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة'** (عب٩ : ٢٢).

٢ – الفداء هو بار يموت عن خاطئ :

فيجب أن يكون الفادى باراً – وليس مجرد برئ لأن الانسان قد يكون بريئاً فى تهمة ولكنه مذنب فى غيرها – ولما كان البشر خطاة وليس بار ولا واحد الاّ الله، لذلك كان لابد من التجسد الآلهى ليكون وسيلة الفداء وكان لابد أن يفدينا المسيح وحده ولا سواه. " **فإن المسيح تألم مرة واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الاثمة** " (١بط٣ : ١٨ ، رو ٥).

٣ – الفداء خلاص للخاطئ من عبودية الخطية والشيطان والموت : وتوجد مئات الآيات تتحدث عن ذلك يكفى ذكر قليل منها كقول المسيح الفادى نفسه ان ' **ابن الانسان جاء ليبذل نفسه فدية عن كثيرين**' (مت٢٠ : ٢٨)، **وقول الملاك انه' يدعى اسمه يسوع لأنه يُخلّص شعبه من خطاياهم**' (مت ١ :٢١)، وقول الرسول بولس : " اذ قد تشارك الاولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت اى أبليس ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية " (عب ٢ : ١٤). "**لهذا أظهر ابن الله لكى ينقض أعمال ابليس** " (١ يو٣ : ٨). وقدتكررت عبارة فداء لشعبه من عبودية فرعون ومن أرض العبودية بمعنى خلصهم وأنقذهم.

٤ – الفداء بمعنى سداد الدين عن الانسان المدين المفلس:

"واذ لم يكن لهما ما يوفيان سامحهما جميعاً" (لو٧ : ٤١ – ٥٠).

٥ – الفداء بمعنى تبادل الأماكن بين البار والأثيم :

ولعل أفضل الآيات فى شرح هذه الحقيقة قول الرسول بولس ان الله'**جعل الذى لم يعرف خطية – اى المسيح القدوس البار الكامل – خطية (او ذبيحة خطية) لأجلنا، لنصير نحن برّ الله فيه**' (٢كو٥ : ٢١)' **وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا . . . والرب وضع عليه اثم جميعنا**' (أش ٥٣ : ٥). **فأخذ عقوبة خطايانا ومات بها عنا، وأعطانا بره الكامل الذى يبررنا ويؤهلنا للمصالحة مع الآب ويمنحنا امكانية دخول السماء،** فسكان السماء هم المتسربلون بالثياب البيضاء الذين غسلوها وبيضوها فى دم الخروف (رؤ٧ : ١٤).

٦ – الفداء بمعنى الشراء والاسترداد :

فيقول الكتاب " **عالمين انكم افتديتم لا بذهب او فضة ولكن بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح المعروف من قبل تأسيس العالم** " (١بط ١ : ١٨ – ٢٠).

ويقول الرسول بولس : " **لأنكم قد اشتريتم بثمن** فمجدوا الله فى أرواحكم وفى أجسادكم التى هى لله " (١كو٦ : ٢٠).

وبهذا الفداء أشترانا المسيح الذى خلقنا اصلاً بعد أن بعنا انفسنا للشيطان واستردنا مرة اخرى لنفسه.

٧ – والفداء بمعنى التبرير

وإعادة الانسان الى حالة البر او البرارة الأولى السابقة على السقوط ويشرح الرسول بولس ذلك بقوله "**متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالايمان بدمه** " (رو ٣ : ٢٤).

ثانياً – لماذا فدانا المسيح؟

لعل اسباب فداء الرب يسوع لنا كثيرة أهمها الثلاثة أسباب الثالث والسادس والسابع من معانى الفداء التى ذكرها فى الكلمة الأولى تحت عنوان (ماهو الفداء) وهى:

١ – أسترداد الرب لنا

سبق أن ذكرت تحت المعنى السادس للفداء أن الفداء يعنى أسترداد الرب لنا وشرائنا لنفسه. ولتوضيح ذلك أن الله الخالق يمتلك البشرية كلها بل وكل الخليقة كما يقول المزمور "للرب الأرض وملؤها. المسكونة وكل الساكنين فيها" (مز٢٤ : ١). ولما سقط الانسان فى الخطية والعصيان وباع نفسه للشيطان، لم يفرّط الرب الخالق فيه ولكنه عاد فاسترده لنفسه وأشتراه ودفع فيه ثمناً غالياً. وبذلك يعتبر الله انه يمتلك الانسان بالخليقة ثم بالفداء والشراء. **وأليكم هذه القصة** التى تُعبّر عن هذه الحقيقة ثم نذكر بعض آيات الكتاب المقدس التى تشرحها وتوضحها اكثر.

رجل عمل بيديه قارباً كبيراً وجميلاً وكان يجد سروراً عظيماً فى النزول به الى البحر. وفى مرة هبّت عاصفة شديدة وارتفعت الأمواج وقلبت القارب وسحبته الى أعماق البحر ونجا الرجل ولكنه فقد قاربه فى العاصفة.

وبعد مرور فترة من الوقت وبينما كان ذلك الرجل يسير فى أحد شوارع المدينة اذا به يجد قاربه معروضاً للبيع فى فترينة أحد المحلات التجارية الكبرى! دخل الرجل وقال لصاحبه: "هذا القارب ملكى وقد ضاع منى فى عاصفة وأنا صنعته بيدى بدليل وجود إسمى محفوراً فيه، وأراه نقش أسمه فعلاً فى ركن من القارب". ولكن صاحب المحل قال له: أنا أصدقك ولكننى أشتريته بمبلغ كبير. وأنت اذا أردت أن تسترده فعليك أن تشتريه . . .".

تقول القصة أن صاحب القارب أضطر أن يشتريه ويسترده إذ كان غالياً عليه ونظر اليه وقال له: **أنت الآن ملكى مرتين، لأنى صنعتك بيدى ثم لأننى أشتريتك!**.

أليست هذه القصة تُقرب الى أذهاننا ما فعله المسيح معنا؟

انه خلقتنا بيديه ونفخ فينا من روحه وأحيانا، ثم لما سقطنا وسرنا وراء الشيطان وفُقدنا منه، عاد وأشترانا بثمن غال وهو دمه الكريم الذى فدانا به وسدد الدين بالكامل عنا وبذلك يستطيع أن يقول لكل منا بحق:

أنت الآن ملكى مرتين (أو بسببين)، لأنى خلقتك وجبلتك بيدى، ثم لأنى أشتريتك بما هو أغلى من المال!.. أشتريتك بدمى!.

وهذا ما تؤكده لنا كلمة الله فى الآيات التالية:

يقول الرسول بطرس: "**عالمين انكم افتديتم لا بذهب أو فضة ولكن بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح المعروف من قبل تأسيس العالم**" (١بط١ : ١٨-٢٠).

وفى نفس المعنى يقول الرسول بولس: "**لأنكم اشتريتم بثمن فمجدوا الله فى أرواحكم وفى أجسادكم التى هى لله**" (١كو٦: ٢٠).

٢ - افتدانا المسيح ليُخلصنا من لعنة الخطية والموت:

يقول الكتاب أن "أجرة الخطية هى موت" (رو٦ : ٢٣). فالخطية هى كسر وتخطّى لوصايا الله وهى مضادة لطبيعة الله القدوس. وقد حذر الله الانسان منها بأنه يوم أن يفعلها "موتاً يموت" (تك٢ : ١٧)، أى ينفصل عن الله مصدر الحياة الدائمة والمقصود بالموت هنا، الموت بجميع أنواعه أى الموت الجسدى والموت الأدبى او الروحى والموت الأبدى. وهكذا جلبت الخطية على الانسان اللعنة الثلاثية التى نحصد مرارتها حتى الآن فكانت عقوبة الله للمرأة "تكثيراً اكثر أتعاب حبلك بالوجع تلدين أولاداً"، وقال لآدم "ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكاً وحسكاً تُنبت لك وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود الى الأرض التى أُخذت منها لأنك تراب والى تراب تعود" (تك٣ : ١٦-١٩).

وقد تنازل الرب فى محبته وحكمته الأزلية التى تفوق عقول البشر، بالتوفيق بين عدل الله ورحمته فدبّر تصميم الفداء عن طريق التجسُد والصليب. ولذلك عندما بشرت الملائكة بميلاد المسيح قال أحد الملائكة "نبشُركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. وُلد لكم مخلّص هو المسيح الرب" (لو٢ : ١١). وقال ملاك آخر "يُدعى أسمه يسوع لأنه يُخلّص شعبه من خطاياهم" (مت١ : ٢١).

كما فدانا السيد المسيح من عقوبة الخطية التى هى الموت. ومكتوب "إذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم أشترك هو أيضاً فيهما لكى يبيد بالموت ذلك الذى له سلطان الموت أى أبليس"

(عب٢ : ١٤). وأيضاً "من يد الهاوية أفديهم. من الموت أُخلّصهم" (هو١٣ : ١٤). وأيضاً "مبارك ومقدس من له نصيب فى القيامة الاولى. هؤلاء ليس للموت الثانى سلطان عليهم" (رؤ٢٠ : ٦). أن القيامة الأولى هى التوبة أو القيامة من الخطية وهؤلاء الذين آمنوا بالمسيح واعتمدوا وتابوا عن الخطية، ليس للموت الثانى أى الأبدى سلطان عليهم.

٣ – افتدانا المسيح ليحررنا من عبودية الشيطان:

قال رب المجد يسوع "حينما يحفظ القوى داره متسلحاً تكون أمواله فى أمان. ولكن متى جاء من هو أقوى منه فآنه يغلبه وينزع سلاحه الكامل الذى اتكل عليه ويوزع غنائمه" (لو١١ : ٢١ ، مت١٢ : ٢٩). لقد وصف المسيح هنا الشيطان بأنه عدو قوى يسيطر على فريسته بكل أسلحته الشريرة، ولكن متى جاء من هو أقوى منه – الذى هو المسيح – فإنه يغلبه وينزع سلاحه ويوزع غنائمه. ويقول العهد الجديد انه تجسد لكى يبيد بموته على الصليب ذال الذى له سلطان الموت أى ابليس (عب : ١٤)، وأنه جاء لكى ينقض أعمال إبليس" (١يو٣ : ٨). وفى سفر أشعياء يتحدث الوحى عن ذات الحقيقة فيقول: "هل تُسلب من الجبار غنيمة وهل يفلت سبى المنصور؟ فانه هكذا قال الرب حتى سبى الجبار يُسلب وغنيمة العاتى تفلت" (أش٥٩ : ٢٤ ، ٢٥).

بل اننا اذا رجعنا لذات يوم سقوط الانسان نجد أن الرب ينطق بهذه النبوة وهذا الوعد أن نسل المرأة (المسيح) يسحق رأس الحيّة (إبليس) (تك٣ : ١٥). لقد أظهر المسيح سلطانه على الشيطان بأخراجه الشياطين بكلمة وبالأمر، بل وقد أعطى هذا السلطان لرسله واتباعه أن يُخرجوا الشياطين " وأعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيّات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شئ" (لو١٠ : ١٧–١٩).

وفى قصة شفاء الرب يسوع لمجنون كورة الجدريين الذى سكنه لجئون من الشياطين – أى نحو ألفين شيطان – بمجرد ان رأى المسيح "صرخ وخرّ له وقال بصوت عظيم مالى ولك يا يسوع أبن الله العلىّ. أطلب منك أن لا تعذبنى . . . وطلب منه أن لا يأمرهم بالذهاب الى الهاوية" (لو٨ : ٢٦–٣٩). المسيح أفتدانا وحررنا من عبودية أبليس ومازال يحرر كل من يؤمن به ويلتجئ اليه.

٤ – المسيح فدانا من الدينونة ومن نار جهنم:

قال رب المجد ان "الذى يؤمن به لا يُدان والذى لا يؤمن قد دين" (يو٣ : ١٨). وقال أيضاً. الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للأبن . . . من يسمع كلامى فله حياة أبدية ولا يأتى الى دينونة بل قد أنتقل من الموت الى الحياة" (يو٥ : ٢٢–٢٤).

أنه فلك النجاة والطريق الوحيد للخلاص من دينونة جهنم "وليس بأحد غيره الخلاص" (أع٤ : ١٢). ومكتوب "اذاً لا شئ من الدينونة على الذين هم فى المسيح يسوع" (رو٨ : ١). "ومن يد الهاوية أفديهم" (هو١٣ : ١٤).

٥ – وافتدانا المسيح لننال التبنّى والميراث الأبدى السعيد:

يعلمنا العهد الجديد انه "لما جاء ملئ الزمان أرسل الله ابنه من السماء مولوداً من امرأة تحت الناموس ليفتدى الذين هم تحت الناموس لننال التبّنى" (غل٤ : ٤). لقد حوّلنا المسيح بفدائه من عبيد للخطية والشيطان الى أبناء لله وأحرار وورثة للملكوت الأبدى ونشاركه أمجاده السماوية.

كانت هذه هى أمنية قلب الرب التى عبّر عنها فى صلاته الشفاعية الطويلة أيها الآب أُريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا لينظروا مجدى الذى أعطيتنى لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم" (يو١٧ : ٢٤). وقال أيضاً "لا تضطرب قلوبكم . . . فى بيت أبى منازل كثيرة . . . أنا أمضى لأُعد لكم مكاناً ثم آتى وآخذكم اليّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم ايضاً" (يو١٤ : ١-٣). "الروح نفسه يشهد لأرواحنا اننا أولاد الله. فإن كنّا أولاد فإننا ورثة أيضاً. ورثة الله ووارثون مع المسيح" (رو٨: ١٦). ومتى جاء ابن الانسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسى مجده . . . ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعدّ لكم منذ تأسيس العالم" (مت٢٥ : ٣١-٣٤).

ثالثاً – ما هى بركات الفداء؟

إن بركات الفداء هى مجمل كل ما سبق وتتلخص فى هذه الآيات التالية:

١ – **الرجوع الى أحضان الله** "إرجع اليّ لأنى فديتك. قد محوت كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك" (أش٤٤ : ٢٢).

٢ – **التحرر من ألد أعداء البشرية** ممثلّين فى الخطية والموت والشيطان والدينونة والجحيم. لقد ذكرنا آيات كثيرة تؤيد ذلك ونضيف أليها "الذى لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا" (أف١ : ٧ ، كو١ : ١٤).

٣ – **التمتّع بالبنوّة لله** "كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله (يو١ : ١٢ ، رو٨ : ١٥ ، ١٦ ، غل٤ : ٤ ، ٥). وهكذا صرنا ندعو الله أبانا.

٤ – **الحصول على الميراث الأبدى السماوى** "فإن كنا أولاداً فأننا ورثة أيضاً" (رو٨ : ١٧)، "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلكم أنتم الذين بقوة الله محروسون" (١بط١ : ٣-٥).

ولذلك فنحن نمجد الصليب والفداء الذى به نلنا كل هذه المواعيد العظمى والثمينة . . .

أشواك الصليب تُنبت ورود القيامة

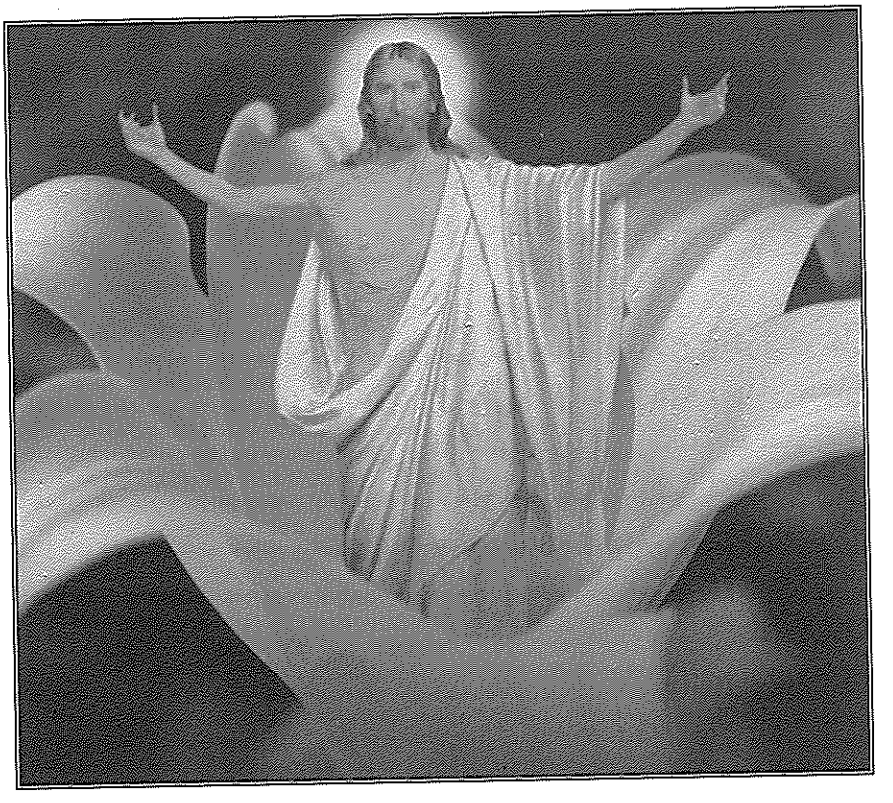

لقد كان لى حظ وبركة زيارة الأراضى المقدسة ثلاث مرات فى السنوات ١٩٦١ ، ١٩٦٢ ، ١٩٦٤ وقد رُسمت شماساً برتبة "أغنسطس" فى كنيسة الأنبا أنطونيوس المجاورة لكنيسة القيامة باورشليم القدس على يد المتنيح الأنبا باسيليوس مطران القدس السابق وشارك فى الرسامة المتنيح الأنبا بنيامين مطران المنوفية الأسبق وذلك فى أبريل ١٩٦١.

وقد لاحظت هناك أمراً مدهشاً، لاشك إنه لاحظه كل من زار جبل الجلجثة وجبل الزيتون والجسمانية، **وهو أن كل منطقة الصليب المقدس والآلام وطريق المراحل ممتلئة بأزهار حمراء جميلة فى داخلها صليب أسود، تشبه أزهار اليانسيه الرائعة الجمال التى أبدع الخالق فى رسمها. ولكن الأمر الملفت للنظر هو رسم هذا الصليب فى داخل كل زهرة حمراء وذلك فى نفس المكان الذى صُلب فيه ابن الله** وارتوى من دمائه منذ ألفى عام!

على تلّة الجلجثة صدمتنا الأشواك فمزقتنا، وبالقرب منها كان بستان القيامة المتلئ بالزهور والزنابق البيضاء التى أحيت فينا ميت الرجاء. ولذلك ملأت صور الزنابق البيضاء كروت معايدات عيد القيامة وصارت رمزاً لها.

تقول قصة قديمة أن الرب يسوع شعر يوماً بالتعب والإرهاق من كثرة الخدمة والمشى فى المدن والقرى يكرز ويشفى، فوجد بستاناً جميلاً ملئ بالأشجار الوارفة الظلال فنام تحت ظل شجرة طلباً لقليل من الراحة وقت حر الظهيرة. فلما استيقظ شكر صاحب البستان وامتدح عنايته به وأوصاه بأن يداوم على ذلك.

ومرت ثلاث سنوات على ذلك ولكن للأسف أهمل الرجل بستانه مما جعل الشوك يطلع فيه وينمو، لدرجة أنه لما قُبض على المسيح وأراد اليهود والرومان أن يعذبوه ويهزأوا به قالوا إنهم لن يجدو أشواكاً حادة طويلة أفضل من أشواك بستان ذلك الإنسان فضفروا منها إكليلاً مزقوا به رأس وجبين المسيح!

لقد وصف الحكيم سليمان هذه الحالة بقوله: "**مررت بحقل الكسلان وبكرم الرجل الناقص الفهم فإذا هو قد علاه كله القريص (الشوك) وغطىّ العوسج وجهه وجدار حجارته إنهدم . . .**" (أم٢٣ : ٣٠). إن نفس البستان الذى وجد المسيح يوماً فيه راحته، قد تدهور حاله بسبب الكسل والإهمال ليصير خراباً مليئاً بالأشواك المؤذية التى صارت سبباً لتعذيبه والآمه. ولذلك يقول الرسول بولس "**كيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره**" (عب٢ : ٣). حقا أن تكاسلنا وإهمالنا فى منتصف طريق "الجهاد الموضوع أمامنا، أو فى نهاية السباق هما فى منتهى الخطورة لأنهما يجعلانا نخسر الجعالة والمكافأة ونضّيع ما عملناه ونفقد الخلاص العظيم الذى تعب فيه المسيح وبدلاً من أن نقدم له قلوبنا وحياتنا "كجنّة ريا" أو "كجنة مغلقة" نصير شوكاً وحسكاً فى يد الشيطان وأداة هزء وتجريح للمسيح وتجديف على اسمه.

أشواك وورود:

هناك تقليد يهودى يقول أن الله أرسل إلى العالم بعد سقوط الخليقة ملاكين، الواحد اسمه ملاك النقمة والثانى ملاك النعمة. فحيثما زرع الأول شوكاً، أنبت الثانى فى الشوك ورداً، وحيثما زمجر الأول فأرعدت السماء وإنهمر المطر، رسم الثانى قوس قزح على صفحة السحاب السوداء . .

كان حكم اللعنة بسبب خطية الإنسان أن "تُنبت له الأرض شوكاً وحسكاً" (تك٣ : ١٨). ويختم سفر التكوين بوصف جنازة يعقوب ومناحته الثقيلة سبعة أيام فى "بيدر أطاد مصرايم" التى معناها (حصاد الشوك) (تك٥٠ : ١٠). وكأن، ذلك يأتى تأكيداً لوصفه الشخصى لحياته بأن "أيامه قليلة ورديئة" (تك٤٧ : ٨) مليئة بأشواك المآسى من موت راحيل المحبوبة ومأساة دينا إبنته وفقدان يوسف وشمعون وبنيامين حتى صرخ "كل هذا جاء على" (تك٤٢ : ٣٦).

أما بولس رسول الجهاد العظيم فقد تأوه وتألم من 'شوكة فى الجسد' قال أن الله سمح لملاك الشيطان أن يلطمه بها وأنه تضرع مراراً أن يشفيه منها فلم يجبه إلى طلبه (٢كو١٢). وما أكثر أشواك أيوب من خسائر مادية وعائلية وصحية. واخيراً جاء إبن الإنسان ليحمل كل أشواكنا على رأسه بما فيها شوكة الموت حتى يستطيع أصغر مؤمن بالمسيح أن يتغنى قائلاً: "أين شوكتك يا موت . . . أين غلبتك يا هاوية" (١كو١٥ : ٥٥).

الأمير وصديقه البلبل الأمين والوردة الحمراء:

هناك قصة خيالية لأسكار وإيلد، خلاصتها أن أميراً مرض فى الشتاء القارص البرد وتمنى أن يحصل على وردة حمراء قيل أن له فيها الشفاء، ولم يكن بالطبع آوان الورد. وكان للأمير صديقاً حميماً هو بلبل جميل ووفى. وإذ عرف البلبل ذلك فقد طار إلى شجرة الورد التى لم تكن تملك سوى الأشواك وبعض الأوراق فقط فى ذلك الوقت. وأخذ العصفور يتوسل إلى الشجرة أن تعطيه وردة حمراء للأمير. واعتذرت الشجرة بأن طلبه مستحيل، ولكن يوجد حلّ وحيد يكلفه حياته وهو أن يأتى فى المساء ويلصق صدره بأحد أشواكها الكبيرة حتى الصباح. وطار البلبل إليها ونفّذ الخطة حتى نفذت الشوكة إلى قلبه وراح يغرد والشوكة منغرسة فى قلبه تمتص منه دماء الحياة. واستمر على هذا النحو حتى بذل آخر قطرة من دمه فسقط جثة هامدة. بينما الشوكة التى تشربت بدمه قد تفتحت عن وردة حمراء يانعة!

أليست هذه صورة مصغرة لما قدمه ربنا الحبيب يسوع للبشرية لينقذها من مرضها المميت بما قدمه على جبل الجلجثة، إذ نفذت شوكة خطايانا إلى قلبه فقتلته، ولكنه قدم لنا بدلا عنها وردة الفداء المباركة؟

العصفور الذبيح والعصفور الحى:

كانت ذبيحة تطهير الأبرص المذكورة فى سفر اللاويين إصحاح ١٤ هى أن يؤخذ للمتطهر عصفوران حيّان طاهران وخشب أرز وقرمز وزوفا، ويأمر الكاهن أن يذبح العصفور الواحد أماّ العصفور الحىّ فيأخذه ويغمسه فى دم العصفور المذبوح وينضح على المتطّهر سبع مرات فيطهره ثم يطلق العصفور الحىّ على وجه الصحراء إلى السماء (لا١٤ : ١-٧).

إن مرض البرص يشير إلى الخطية لأنه مرض مميت ومعدى ويشوّه الإنسان وينجسه ويعزله، والعصفور المذبوح يشير إلى المسيح المصلوب وخشب الأرز الذى لا يشيخ ولا يسوس يشير إلى خشبة الصليب الشامخة عبر الأجيال والعصفور الحىّ يشير إلى المسيح المقام الصاعد إلى السماء متمماً خلاصنا. فما أروع رموز الكتاب المقدس وتدبير الله لخلاصنا . . . ألم يُشبه المسيح فادينا نفسه بالعصفور بقوله "اصطادنى الأعداء كعصفور بلا سبب" (مراثى ٣ : ٥٢ ، يو١٥ : ٢٥)؟

ألم يعمل لنا عملية نقل دم، إذ سفك دمه الطاهر الزكى وسقانا إياه ليُطهر دمائنا الملوثة بالخطية وأمرنا قائلاً: خذوا اشربوا، هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا (مت٢٦ : ٢٨). **أليس دم الأفخارستيا هو امتداد لدم الصليب . . . دم العصفور الذبيح؟** "كأس البركة التى نباركها أليست هى شركة دم المسيح؟".

ورود القيامة وأزهارها

١ – وردة الفداء:

إنها وردة حمراء بلون الدم، لأنها نبتت مرتوية بدم المسيح "الذى لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا" (أف١ : ٧ ، كو١ : ١٤). فما كان يمكن أن نفتدى من الخطية ولعنتها وسلطانها وعبوديتها وعقوبتها الأبدية، بذهب أو فضة، ولكن بدم كريم كما من حمل بلاعيب ولا دنس، دم المسيح المعروف من قبل تأسيس العالم" (١بط١ : ١٨).

٢ – زهور المصالحة والسلام والصفاء:

لقد ازهر الفداء مصالحتنا مع السماء ولذلك عندما قال المسيح "قد أكمل" ومات الإبن بالصليب، إنشق حجاب الهيكل من فوق إلى أسفل أى من ناحية الله فى السماء إلى الأرض معلناً قبول الصلح "عاملاً الصلح بدم صليبه" (كو١ : ٢٠ ، ٢كو٥ : ١٨ – ٢٠)، فمات من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا" (رو٤ : ٢٥)، "وإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله" (رو٥ : ١).

وصفا الجو الملبّد بالغيوم وأشرقت شمس البر وتحققت البركة "يشرق الرب عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً" (عد٦ : ٢٤).

٣ – زنابق القداسة والنقاء:

إن زهور الزنابق البيضاء تشير على الدوام إلى الطهارة والقداسة ونقاوة القلب، وهذه مصدرها ليس قوتنا ولا تقوانا، ولكن ذلك الفادى الإلهى القدوس الذى "صار لنا من الله براً وقداسة وفداء" (١كو١ : ٣٠) .. الذى "أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له "فأخذ صورة العبد وهيئة الإنسان وحمل خطايانا ونجاسات قلوبنا وأعطانا برّه الكامل لنصير نحن برّ الله فيه" (٢كو٥ : ٢١) وبذلك نؤهل "للدخول إلى النعمة التى نحن فيها مقيمون" والتمتع بمحضر الله فى السماء بلا لوم فى المحبة متسربلين بالثياب البيضاء المغسولة بدم الخروف (رؤ٧ : ١٤).

٤ – نرجس العزاء:

إن أشواك الصليب وأمجاد القيامة قد أثمرت لنا أزهار النرجس فقدمت لنا كل تعزيات الروح القدس المعزى فى كل ضيقاتنا وتجاربنا وأحزاننا وأمراضنا. إن طريق الضيق هو الوحيد المؤدى إلى الحياة الأبدية السعيدة. فقد سار حبيبنا المسيح فى وادى الدموع مثلنا وأكثر منا وصار رجل الأوجاع والخبير فى الأحزان، لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها (أش٥٣) "وفيما تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين" وإن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضاً معه" (رو٨ : ١٧).

٥ – سوسنة الرجاء:

لقد تفتحت براعم هذه الزهرة الجميلة بقيامة الرب وصارت عربون قيامتنا، وبظهورها صار لنا رجاء ثابت فى قيامة أفضل وانتصار على الموت والجحيم والتمتع بالعرس الإلهى الأبدى فى السماء مع المسيح الذى هو فينا رجاء المجد" (كو١ : ٢٧).

يحدثنا سفر نشيد الأناشيد عن مجئ المسيح الثانى الذى هو غاية رجاء المؤمنين بقوله: "صوت حبيبى. هوذا آت طافراً على الجبال ... قومى يا حبيبتى يا جميلتى وتعالى لأن الشتاء قد مضى والمطر مرّ وزال. الزهور ظهرت فى الأرض. بلغ آوان القضب وصوت اليمامة سُمع فى أرضنا" (نش٢ : ٨ – ٢١).

وبعد ... فإننا نستطيع أن نلّخص هذه المقالة فى هذه السطور الشعرية الجميلة لقداسة البابا شنوده من قصيدته (هذه الكرمة)

هذه الكرمة يامولاى من غرس يمينك
نبتت من شوكة كانت على طرف جبينك

ورواها دمك القانى وسيلُ من جفونك
ورعاها حبك الصافى وذاقت من حنينك

فنمت فى جنة الإيمان تحيا فى يقينك
ومضت تحمل للأقباط من أثمار دينك

الصليب عَلَم وعلامة

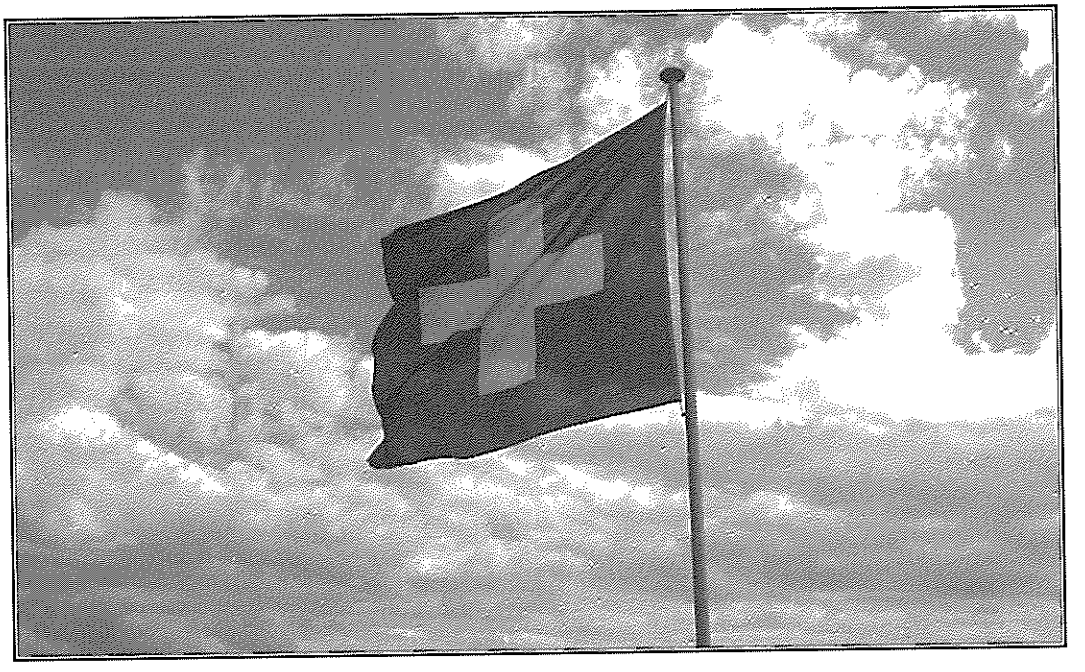

لكل دولة عَلَم يمثلها، فالعلم هو شعار الدولة

يتعجّب البعض لماذا يُمجد المسيحيون الصليب، ولماذا يعظّم الأرثوذكس بالذات الصليب ويفتخرون به ويعطونه كل هذا الآكرام والكرامة ويحتفلون به ويسجدون أمامه ويعيّدون له؟!.

والاجابة ببساطة هى لأن الصليب هو علم المسيحية وعلامتها وشعارها ورمزها وفيه مُلّخص ايمانها ومبادئها وكنوز فضائلها وأمجادها. كما أن الصليب هو حامل المسيح المصلوب لدرجة أن حلّت كلمة الصليب والمصلوب محل أسم المسيح وكأنهما مترادفين فيقول الملاك للمريمات عند القيامة "أنا أعلم انكما تطلبان يسوع المصلوب" (مر١٦: ٦) ويقول الرسول بولس: "عاملاً الصلح بدم صليبه" (كو١ : ٢٠).

فالعلم ليس مجرد قطعة خشبية أو حديد فيه قماش عليه صورة أو رسم، لكنه شعار الدولة يمثّل رئيسها وشعبها وحكومتها وجيشها، فتؤدى له التحية فى المدارس ويتعلم التلاميذ الوطنية والوفاء والولاء للدولة، وتؤدى له التحية العسكرية فى الجيش وتعزف له الموسيقى وتدق له الطبول وتنطلق المدافع فيجدّد له الجنود عهد الوفاءويضع أمامه الرئيس والشعب أيديهم على قلوبهم علامة الخضوع والأخلاص للدولة. فمن يكرم العلم يكرم الدولة، ومن يعتدى على العلم أو يدوس عليه أو يحرقه يعتبر مرتكباً لجريمة وخيانة أو فى حكم أعلان الحرب على الدولة.

وقد أتخذت بعض الدول الصليب علماً وراية لها فعلاً مثل سويسرا – قماشة حمراء وسطها صليب أبيض كبير – كما اتخذت هيئة الصليب الأحمر الدولية أيضاً الصليب علماً أبيض وسطه صليب أحمر رمز السلام والرحمة والخير والخدمة والتضحية وكل المعانى النبيلة، وهو بهذين اللونين الأبيض والأحمر صار رمز الطهارة والفداء كما وصفت عروس النشيد عريسها المسيح السماوى بقولها "حبيبى أبيض وأحمر" (نش٥ : ١٠)، أى قدوس وفاد.

والآن دعونا نتأمل فى المعانى الروحية للصليب كعَلَم وكعلامة..

أولاً – الصليب عَلَم

تقول عروس النشيد عن المسيح حبيبها السماوى "عَلَمه فوقى محبة" (نش٢:٤). وفى نفس السفر يصف الوحى الآلهى كنيسة المسيح بأنها "مرهبة كجيش بألوية" (نش٦ : ١٠)، وألوية الجيش هى راياته وأعلامه.

واماّ أعلام الصليب فتحمل المعانى التالية .

١ – الصليب عَلَم المحبة:

تقول عذراء النشيد صراحة أن "علمه فوقى محبة" (نش٢ : ٤). الصليب هو عمل الله وعلم الله، والله محبة. وقد تحدث الرب يسوع عن الصليب فى هذه الآية التى تعتبر ملخص الانجيل كله فقال: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣ : ١٦). من يستطيع أن يسبر عمق كلمة (هكذا)؟ الى هذه الدرجة التى تفوق عقولنا أحبنا الله ولذلك تساءل النبى أشعياء حين أُعلن له بالروح عن فداء المسيح وموته "من صدّق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب" (أش٥٣ : ١).

وصف الرسول بولس مرة محبة الله هذه بقوله انها "فائقة المعرفة"، وفى مرة اخرى قال أن "الله لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين فكيف لا يهبنا معه كل شئ" (رو٨ : ٣٢). وعبّر السيد المسيح عن عظمة هذه المحبة والتضحية الجبارة بقوله: "ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه عن أحبائه" (يو١٥ : ١٣).

واتخذ المسيح المحبة شعاراً ورمزاً وعلم المسيحية، فقال "بهذا يعرف العالم انكم تلاميذى ان كان لكم حب بعضكم لبعض"، وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا" (يو١٣ : ٣٤ ، ٣٥).

وكما يرتفع العلم فوق أعلى المبانى هكذا جعل المسيح المحبة مرتفعة فوق جميع الفضائل المسيحية وبأنها "رباط الكمال" (كو٣ : ١٤)، والثمرة الأولى من ثمار الروح القدس التسعة "محبة فرح سلام " (غل٥ : ٢٢). واعتبر له المجد الوصية الأولى والعظمى هى محبة الله

من كل القلب والفكر والقدرة، وأن الوصية الثانية هى محبة القريب كالنفس (مت٢٢ : ٢٨). وأذهل المسيح العالم لأول مرة بتعليمة الجديد "أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم أحسنوا الى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم" (مت٥ : ٤٤). ولذلك قيل عن صليب المسيح "قاتلاً العداوة به"، وتُعلم المسيحية باننا لو عملنا المعجزات ولم يكن عندنا هذه المحبة فقد صرنا نحاساً يطن أو صنجاً يرن" (١كو١٣ : ١).

ان الذين يكرهون ويخاصمون وينتقمون لا يعيشون تحت راية المحبة ولا تحت علم الصليب.

٢ - الصليب علَم الخلاص والتبرير:

الصليب هو علم الخلاص كما نقول فى صلاة الساعة السادسة الخاصة بالصليب: "**صنعت خلاصاً فى وسط الآرض كلها أيها المسيح آلهنا عندما بسطت يديك الطاهرتين على خشبة الصليب**. لذلك كل الأمم تصرخ المجد لك يارب". وقال رب المجد نفسه أن "ابن الانسان جاء لا ليُخدم ولكن ليخدم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مت٢٠ : ٢٨). وقد خلّصنا الرب بالصليب من الخطية وسُم الحيّة إبليس كما قال: "وكما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يرفع أبن الانسان لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣ : ١٣ ، عد٢١). "متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه" (رو٣ : ٢٤).

ان هذا الخلاص العظيم الذى دفع فيه مخلصنا الصالح أعلى الأثمان أى دمه الزكى الكريم جعله فى متناول جميع البشر مجاناً كهبة وهدية لكل من يؤمن به ويعتمد بإسمه فيقول الكتاب ان "هبة الله حياة أبدية" (رو٦ : ٢٣) ويقول اكثر من ذلك أن "كل من يدعو باسم الرب يخلص" (رو١٠ : ١٣)، بل عبّر الوحى الآلهى عن عظمة محبة الله فى تسهيل هذا الخلاص فى سفر العدد أصحاح ٢١ بمجرد النظر الى الحيّة النحاسية وهو ما عبّر عنه المسيح أيضاً بلسان أشعياء النبى "التفوا الىّ واخلصوا يا جميع أقاصى الأرض" (أش٤٥ : ٢٢)، وأيضاً من تشبيه الرب يسوع لنعمته المخلّصة فى حديثه مع المرأة السامرية بالماء الذى هو فى متناول أفقر البشر.

وفى السماء رأى الرسول يوحنا جميع المفديين والمخلصين متسربلين بثياب بيضاء غسّلوها فى دم الحمل المصلوب (رؤ٧ : ١٤).

٣ - الصليب علَم الحماية والأمان:

ان فى رمز خروف الفصح المذكور فى سفر الخروج أصحاح ١٢ إشارات دقيقة عجيبة رائعة لذبيحة المسيح المصلوب بجميع تفاصيلها، ولكن الذى يعنينا الآن أن الله جعل علامة خلاص شعبه وحمايته هى رش بيوت بنى اسرائيل بالدم علامة على البيوت التى أنتم فيها "**فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك**" (خر١٢ : ١٣). فكان دم الذبيحة هو الذى حمى أبكار بنى اسرائيل من الهلاك والدينونة.

ونجد نفس الأمر يتكرر عندما طلبت راحاب من يشوع علامة لحمايتها ونجاتها حين يتم

غزو أريحا، **فكانت العلامة هى وضع الحبل القرمزى المصنوع من خيوط القرمز الحمراء** فى النافذة وكان ذلك العهد والعمل هوسبب خلاصها وكل أهل بيتها من الموت (يش٢ : ١٢ ، ١٨ ، ٢١ ، عب١١ : ٣١ ، يع٢ : ٢٥).

ان هذه الرموز والاشارات فى كلمة الله من القديم لم تأت مصادفة أو اعتباطاً لكنها رتبت بحكمة وألهام الروح القدس لتكون رمز لدم المسيح الفادى وتكون علماً وعلامة للخلاص والحماية والأمان.

أليس الرب الذى وعد فى العهد القديم بأن الدم (الرمزى) يكون سبب الخلاص والحماية لشعبه، "هو هو أمساً واليوم والى الأبد" لا يتغير وهو نفسه الذى وعد قائلاً "الحق الحق أقول لكم من يؤمن بى تكون له حياة أبدية ولا يأتى الى دينونة بل قد أنتقل من الموت الى الحياة" (يو٥ : ٢٤) فلماذا لا نصدق الله ودائماً نشك ونخاف ولا نطمئن بأن الله أمين ويحفظ وعوده وأن عدم أمانتنا لا يبطل أمانته (٢تى٢ : ١٣).

تقول قصة قديمة حدثت منذ نحو مائة سنة أن رجلاً كان يتمتع بالجنسية المزدوجة الأنجليزية والأمريكية، وبينما كان يزور أسبانيا قبض عليه بالخطأ ووجهت له تهمة الخيانة العظمى. وبعد محاكمة صورية سريعة باللغة الأسبانية التى لا يعرفها صدر ضده حكم بالاعدام!.

فأرسل الرجل يستنجد بالسفير البريطانى والسفير الأمريكى اللذين حضرا على الفور ودرسا القضية وحاولا كل جهدهما انقاذه والدفاع عنه ولكن دون جدوى اذ قيل لهما ان هذه هى سيادة القانون وأستقلال القضاء!

وفى اليوم المحدد لتنفيذ حكم الأعدام حدثت مفاجأة كبيرة اذ حضر السفيران وقام السفير الأمريكى بلف الرجل فى علم أمريكا وقام السفير البريطانى بلفّه فى علم أنجلترا وقالا لمنفذى الحكم اطلقوا عليه الرصاص الآن إن استطعتم. وارتبكت حكومة اسبانيا وبعد مشاورات كثيرة اضطرت الى أصدار العفو عن الرجل وأطلاق سراحه لأن اطلاق الرصاص عليه فى هذه الحالة يعنى أعلان اسبانيا الحرب على انجلترا وأمريكا!.

هذه صورة مصغرة لما يعمله معنا السيد المسيح ملك الملوك ورب الأرباب عندما يلفّنا فى علمه العظيم، علم الخلاص والحماية والأمان حتى لا يقوى علينا الموت ولا الشيطان ولا كل أبواب الجحيم.

٤ – الصليب هو علَم السماء والرجاء:

ان الذين أغتسلوا فى دم صليب المسيح تمتعوا بالفداء والغفران والبنوّة لله وعربون الميراث الأبدى، ولذلك فهم فرحون فى الرجاء لأنهم صاروا من ابناء الملكوت والدهر الآتى.

قال رب المجد "إفرحوا بالحرى لأن أسماءكم كتبت فى السموات" (لو١٠ : ٢٠). وقال

الرسول بولس "أن جنسيتنا هى فى السموات التى منها ننتظر مخلّصاً هو المسيح الرب" (فى٣ : ٢٠). هو مفتاح الحياة الأبدية وعلم الرجاء لذلك اعتاد المسيحيون منذ فجر المسيحية وحتى الآن يضعونه فوق مقابرهم تأكيداً لهذا المعنى المفرح. وهكذا رأى القديس يوحنا الحبيب الجمع العظيم الذى لا يستطيع أحد أن يعده من سكان السماء متسربلين بالثياب البيضاء ومعهم سعف النخل وهم يترنمون ترنيمة موسى والمسيح حمل الله يحتفلون بالفرح الابدى والانتصار، وقيل له ان هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة وقد غسلوا ثيابهم وبيضوها فى دم الخروف (رؤ٧ : ٩-١٧).

ثانياً - الصليب علامة

قال سمعان الشيخ عندما حمل الطفل يسوع فى الهيكل على ذراعيه بعد ميلاده بأربعين يوماً "الآن تطلق عبدك ياسيد حسب قولك بسلام لأن عينىّ قد أبصرتا خلاصك"، ثم أردف بقوله لأمّه القديسة العذراء مريم "ان هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين **ولعلامة تقاوم**. وأنت أيضاً يجوز فى نفسك سيف" (لو٢ : ٢٨-٣٤). وهذا السيف يشير الى الصليب أيضاً.

وشرح القديسان باسيليوس وكيرلس ذلك بالقول "أما العلامة التى تقاوم فيقصد بها علامة الصليب إذ يقول الحكيم بولس: ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة، وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله" (١كو١ : ١٨).

وقد سبق أن أشرنا **الى تسمية الرب يسوع نفسه للصليب بأنه 'علامة ابن الإنسان'** وأن علامة الصليب هذه ستظهر فى السماء مع مجيئه الثانى وستراها كل عين فى يوم القيامة من بدء الخليقة الى نهايتها (مت٢٤ : ٣٠).

والآن دعونا نتأمل قليلاً فى هذه العلامة .

١ - الصليب علامة تقاوم:

قال الرسول بولس "ان اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة. ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة" (١كو١ :٢٢). **فقد قاوم اليهود واليونانيون والرومان الصليب، وأخيراً قام دين كامل فى القرن السابع هو الاسلام يقاوم الصليب وينكره ويزعم بعد حصول واقعة صلب المسيح تاريخياً باكثر من ٦٥٠ سنة ان اليهود 'ما قتلوه وما صلبوه وأنما شُبّه لهم'!!**

ان سر هذه العداوة وتلك المقاومة يرجع الى وعد الله لآدم وحواء عقب السقوط بأنه دبّر وسيلة لخلاصهما ونسلهما وهى التجسد والفداء بأن نسل المرأة سيسحق رأس الحيّة - إبليس (تك٣ : ١٥ ، رؤ١٢ :٩ ، ٢٠ :٢).

وأدرك الشيطان أن الصليب هو الأداة التى سيسحق الله رأسه بها، فأعلن الحرب على الصليب وعلى كل من يؤمن به وقاوم الصليب بكل الطرق وحاول مرة أن يمنع المسيح منه عن طريق تلميذه بطرس عندما قال للمسيح "حاشاك يارب أن تُصلب" فقال له المسيح "إذهب عنى يا شيطان أنت معثرة لى" (مت١٦ : ٢٢). ومرة اخرى حاول الشيطان – بعد أن عُلّق المسيح على الصليب" – فقال عن طريق اللص اليسار "ان كنت أنت المسيح فخلّص نفسك وأيانا" (لو٢٣ : ٣٩). ومرة ثالثة على لسان اليهود والرومان والمارة يستهزأون به قائلين "يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلّص نفسك وأنزل عن الصليب" (مر١٥ : ٢٩ ، ٣٠).

لقد نجح الشيطان واتباعه فى مقاومة الصليب ليس فى الدول العربية والأسلامية والوثنية فقط، ولكن حتى فى الدول الكبرى المسيحية مثل أيطاليا وفرنسا وروسيا (لمدة سبعين سنة). وامريكا مثل حذف علامة الصليب من ختم ولاية كاليفورنيا بحجة علمانية الدولة وفصل الكنيسة عن الدولة والديمقراطية الى آخر هذه الشعارات السياسية والمنحرفة التطبيق.

٢ – الصليب علامة حرب على الشر والفساد:

يقول القديس بولس الرسول "الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" (غل٥ : ٢٤) ويقول أيضاً "أما أنا فحاشا لى أن أفتخر الاّ بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صُلب العالم لى وأنا للعالم" (غل٦ : ١٤).

وفى الرسال الى روميه يقول "مدفونين معه فى المعمودية" (رو٦ :٤) "ونحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها"، وعندما تحدث رب المجد عن شروط التلمذة له قال: "من لا يحمل صليبه ويأتى ورائى لا يقدر أن يكون لى تلميذاً وأى ملك ان ذهب لمقاتلة ملك آخر فى حرب لا يجلس اولاً ويتشاور " (لو١٤ : ٢٧ ، ٣١). ويقول الرسول بولس "أخيراً يا أخوتى تقووا فى الرب وفى شدة قوته. البسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا ان تثبتوا ضد مكايد ابليس. فان مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء والسلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية " ثم يشرح أسلحة الحرب الروحية مستعيراً أسماءها من الاسلحة الرومانية المعروفة فى أيامه انها "درع البر وترس الايمان وخوذة الخلاص وسيف الروح الذى هو كلمة الله" (أف ٦ : ١٠-٢٠) وفى موضوع آخر يقول: ان أسلحة محاربتنا ليست جسدية ولكنها قادرة بالله على هدم حصون " (٢كو١٠: ٤)، ويوصى تيموثاوس قائلاً: اشترك فى أحتمال المشقّات كجندى صالح ليسوع المسيح" (٢تى٢ : ٣).

وفى سفر الرؤيا أشير الى شاهدين فى هذا الخصوص، الأول يقول: "وهم غلبوه (الشيطان) بدم الخروف (الصليب) وكلمة شهادتهم (الإنجيل) ولم يحبوا حياتهم حتى الموت" (رؤ١٢ : ١١).

والشاهد الثانى يصوّر لنا المسيح فى صورة حربية ويقول "ثم رأيت السماء مفتوحة واذا فرس أبيض والجالس عليه أميناً وصادقاً، وبالعدل يحكم ويحارب. وعيناه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة، وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى أسمه كلمة الله" (رؤ١٩ :١١-١٤).

من كل هذه الآيات يتبين انه كما حارب المسيح الشيطان وسحق رأسه بالصليب، فعلى أتباع المسيح أن يتسلحوا بأسلحة الحرب الروحية بحمل الصليب وحفظ كلمة الله والصلاة والصوم ويحاربوا الخطية والشر والفساد الموجودين فى العالم حتى ينتصروا بنعمة المسيح وقوة صليبه.

ويحدثنا التاريخ أن الامبراطور قسطنطين فى القرن الرابع رأى فى احدى حروبه علامة الصليب فى السماء، وسمع صوتاً يقول له: "بهذه العلامة تغلب". فآمن وحمل الصليب وانتصر وأبطل الوثنية وأصدر منشور التسامح الدينى وأعلن المسيحية ديانة رسمية للأمبراطورية الرومانية. نعم ان الصليب هو علامة النصرة فى أعظم حرب يجتازها كل انسان.

٣ - الصليب علامة التضحية والفداء:

انه علامة البذل والتضحية والفداء كما يقول الانجيل "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد." (يو٣ : ١٦). وكما قال السيد نفسه ان "ابن الإنسان آتى لا يُخدم بل ليخدم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مت٢٠ : ٢٨ ، يو ١٥ : ١٣).

تضحية بالذات وحتى الدم من أجل من نحب، ومن باب أولى تضحية بكل ما هو أقل مثل الكرامة والوقت والجهد والمال حتى انه يقول "قبلتم سلب أموالكم بفرح" (عب١٠ : ٣٤).

٤ - الصليب علامة الألم والضيق:

لقد تألم السيد المسيح على الصليب آلاماً رهيبة، جسدية ونفسية وكفارية. تألم من الناس، ومع الناس، ومن أجل الناس. وقيل عنه انه "تعلم الطاعة مما تألم به" (عب٥ : ٨). وقال عنه الرسول بطرس "فإذ تألم المسيح لأجلنا بالجسد، تسلّحوا انتم أيضاً بهذه النية" (١بط٤ : ١). فعلينا أن نواجه آلاماً متنوعة من أمراض وأحزان وأضطهادات وضيقات، فإن "الخليقة تئن وتتمخّض معاً" (رو٨ : ٢٢)، ومع ذلك فلأولاد الله المؤمنين نصيباً مضاعفاً من هذه الالام. فاننا نضطهد من الأشرار لأننا نتبع المسيح ونسلك بمبادئه وتعاليمه ولا نجارى العالم فى شروره ولأن المسيحى نور للعالم والظلمة تبغض النور، والعيون الرمداء لا تحتمل النور ولا تطيقه.

ويسمح الرب بالألم لأولاده لينقيّهم ليأتوا بثمر كثير (يو١٥ : ٢ ، ٣). انه لم يعدنا بالراحة والرفاهية فى هذا العالم بل بالعكس قال "فى العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم" (يو ١٦ : ٣٣). كما قال أنه يسمح لنا بالألم لكى نشترك معه فى قداسته ويؤدبنا كأب لأبنائه (عب١٢). ومع أن باب الملكوت ضيّق وطريقه كرب ولا سبيل الى دخول السماء إلا

بحمل صليب الألم "بضيقات كثيرة ينبغى ان ندخل ملكوت الله" (أع١٤ : ٢٢). فقد شجعنا بوعوده أن "آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا" (رو٨ : ١٨) وأن "خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدى، وأننا أن كنا نتألم معه – بحمل صليبنا بصبر وشكر – فسوف نتمجد أيضاً معه" (رو٨ : ١٧).

٥ – الصليب علامة قوّة وحكمة:

يقول الرسول بولس أن "كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، أمّا عندنا نحن المخلصين فهو قوة الله وحكمة الله" (١كو١ : ١٨ ، ٢٤).

انه علامة قوّة لأنه سحق الشيطان الذى اذل البشرية ولأن الشيطان يرتعب منه، ومجرد رشم علامة الصليب على مريض يسكنه الشيطان يكفى لطرده فيخرج صارخاً. انه قوّة ضد الخطية والعالم والضعف والخوف ويمنح السلام والأمان والأطمئنان فى نفوس المؤمنين به.

والصليب هو علامة الحكمة لأنه وفّق بين عدل الله ورحمته فى خلاص الإنسان. واذا كان الأشرار يعتبرونه جهالة وضعف، فقد رد عليهم القديس بولس الرسول بقوله ان "ضعف الله – ان جاز التعبير – هو أقوى من الناس، وجهالة الله أحكم من الناس" (١كو١ : ٢٥).

٦ – الصليب علامة الفرح والفخر والأنتصار الأبدى:

ليس الصليب علامة ألم وحزن وضيق فقط، ولكنه أيضاً علامة الفرح والفخر والمجد والأنتصار الأبدى. وقد أحسن الرسول بولس تصوير هذه الحقيقة التى تبدو متناقضة بقوله: "كحزانى ونحن دائماً فرحون"، بل وصوّر المسيح نفسه فى عمق آلامه بقوله: "**من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزى فجلس فى يمين عرش الله**" (عب١٢ : ٢).

ويحدثنا الرسول بطرس عن "الآلام والأمجاد التى بعدها"، فبعد الصليب تأتى القيامة بكل أمجادها وأفراحها وأنتصارتها الدائمة الأبدية. ولذلك تحوّل الصليب من الهوان والعار الى المجد والفخار والأنتصار. وهكذا نضع الصليب على منارات الكنائس ونرصّع به تيجان الملوك ويتزين به النساء على صدورهن ويعلّقه ملايين المسيحيين حول العالم فى جميع الأجيال على جدران بيوتهم ويرسمونه على أيديهم ويتباركون به، ويرشمون علامته فى كل صلاة وفى خروجهم ودخولهم (راجع مقال أشارة الصليب).

عشرة أعمال أساسية لدم المسيح

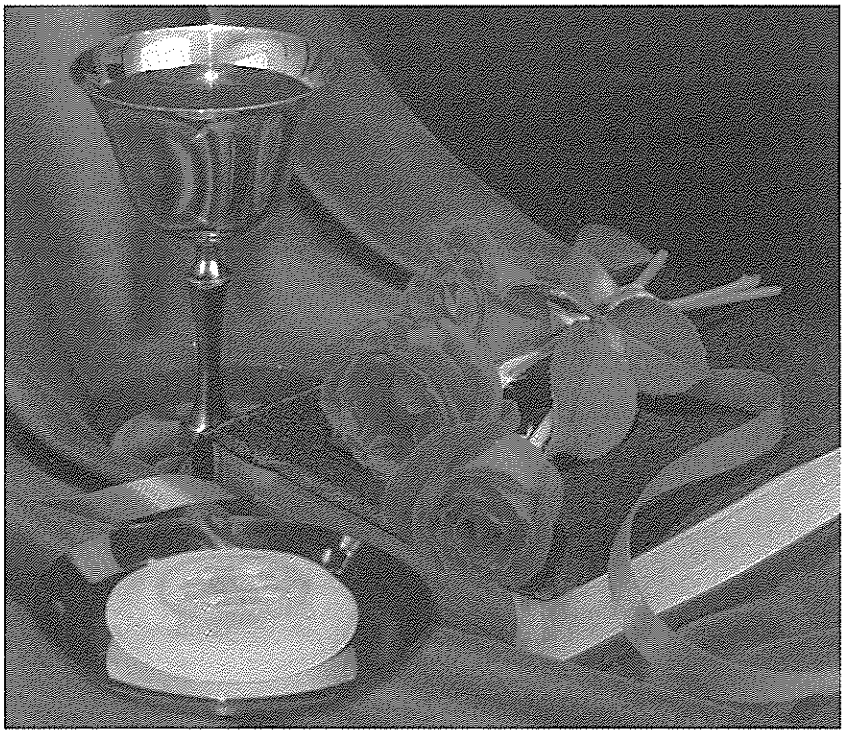

بالرغم من تمجيدنا وتكريمنا للصليب وافتخارنا به، الاّ أننا غالباً ما ننظر الى صليب المسيح نظرة عاطفية فقط دون أن ندرك مفاعيل وتفاصيل أعمال دم المسيح الذى سال على خشبة الصليب وأثرها فى حياتنا الروحية وخلاصنا الأبدى، مع أن سفك دم المسيح هو الذى أعطى للصليب كل هذه القيمة الخالدة. ولذلك كان الكتاب المقدس أحياناً يستعمل كلمة الدم وكلمة الصليب كمترادفين فيقول مثلاً "صانعاً الصلح بدم صليبه" (كو١ : ٢٠)، وهنا ينسب الرسول بولس الدم الى الصليب وليس للمسيح، مع أن المقصود طبعاً هو أن المسيح هو الذى صنع المصالحة بدمه الذى سفك على الصليب.

لذلك أريد أن نبحث فى هذا المقال عن أهم الأعمال التى ذكرها الكتاب المقدس عن فاعلية دم المسيح والخصها فى هذه العشرة أعمال التالية:

أولاً – الفداء بدم المسيح:

كرر الرسول بولس هذه الآية مرتين فى رسائله بقوله: "**الذى لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا** (أف١ : ٧ ، كو١ : ١٤). **وقال أيضاً: "متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدّمه الله كفّارة بالايمان بدمه"** (رو٣ : ٢٤ ، ٢٥).

وتحدث الرسول بطرس أيضاً عن الفداء بدم المسيح بقوله: "**عالمين انكم افتديتم** لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب ... **بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم**" (١بط١ : ١٨-٢٠). وقال رب المجد نفسه "أن ابن الانسان **أتى ليبذل نفسه فدية عن كثيرين**" (مت٢٠ : ٢٨). هذا وقد أفردنا فصلاً فى هذا الكتاب عن الصليب والفداء يمكن الرجوع اليه من أجل تفاصيل أكثر فى هذا الخصوص.

ثانياً - الغفران بدم المسيح:

قال الرب يسوع المسيح "**هذا هو دمى** الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين **لمغفرة الخطايا**" (مت٢٦ : ٢٨). وكذلك قال الرسول بولس مراراً وتكراراً فى آيات كثيرة "الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا"، "كفّارة بالايمان بدمه **من أجل الصفح عن الخطايا السالفة**" (أف١ : ٧ ، كو١ : ١٤ ، رو٣ : ٢٥).

ويقول الرسول يوحنا الحبيب أيضاً: "**ودم يسوع المسيح ابنه يُطهرّنا من كل خطية**" (١يو١ : ٧). وقال أيضاً فى مقدمة سفر الرؤيا "**الذى أحبنا وقد غسّلنا من خطايانا بدمه**" (رؤ١ : ٦).

إذا قدم المسيح الزكى يغفر خطايانا، ولم تكن هناك أية وسيلة اخرى للغفران سوى دم "حمل الله الذى يرفع خطية العالم" (يو١ : ٢٩)، ولذلك يقول الكتاب انه "**بدون سفك دم لا تحصل مغفرة**" (عب٩ : ٢٢).

وكلمة "غفر" مأخوذة من الكلمة العبرية "كفار"، وبالانجليزية Cover أى غطىّ وستر فيقول داود النبى "طوبى لمن **غُفر إثمه وسُترت خطيته**. طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية" (مز٣٢ : ١).

والغفران فى المسيحية ليس مجرد تغطية وستر للخطية ولكنه أقوى من ذلك انه محو وازالة للخطية وجعلها كأن لم تكن. وفى هذا يقول الرب "قد محوت كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك. ارجع الىّ لأنى فديتك" (أش ٤٤ : ٢٢). أى كما تنقشع السحابة وتزول تماماً وتصفو السماء هكذا تمحى الخطية وتزول وتغفر بدم المسيح وكأنها لم تكن.

وهكذا يستعمل الكتاب تعبيرات جميلة ومعزية تصف هذا الغفران الآلهى العجيب كما فى هذه الآيات:

(١) عندما تحدث الوحى الآلهى بروح النبوة عن العهد الجديد بدم المسيح فى سر الافخارستيا قال: "لأنى أصفح عن إثمهم **ولا أذكر خطيتهم بعد**" (أر٣١ : ٣١-٣٤).

(٢) وتحدث الرسول فى العبرانيين عن شرح النبوة السابقة بقوله "لأنى أكون **صفوحاً عن آثامهم ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم فى ما بعد**" (عب٨ : ٨-١٢).

(٣) وأكد رب المجد يسوع المسيح ذلك فى تأسيسه لسر التناول "وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً **إشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا**" (مت٢٦ : ٢٨).

(٤) وجاء فى أقوال اليهو الصديق الرابع لأيوب وهو يتحدث بروح النبوّة عن فداء المسيح وعظمة غفرانه "يتراءف عليه ويقول أطلقه عن الهبوط الى الحفرة قد وجدت فدية ... يغنى بين الناس فيقول قد **أخطأت وعوّجت المستقيم ولم أجاز عليه. فدى نفسى من العبور الى الحفرة فترى حياتى النور**" (أى٣٣ : ٢٤-٢٨).

(٥) ويقول ميخا النبى: "من هو اله مثلك غافر الاثم وصافح عن الذنب يعود يرحمنا يدوس آثامنا **وتطرح فى أعماق البحر جميع خطاياهم**" (مى٧ : ١٩).

ثالثاً - دم المسيح يغسل ويُطّهر من كل خطية:

توجد آيات كثيرة تتحدث عن عمل دم المسيح فى غسل وتطهير المؤمنين به من الخطايا والذنوب ... فيقول الرسول يوحنا "**ودم يسوع المسيح ابنه يطهرّنا من كل خطية**" (١يو١ : ٧). ويقول أيضاً "الذى غسّلنا من خطايانا بدمه" (رؤ١ : ٦). ووصف لنا الرائى منظر المفديين فى السماء بقوله: "بعد هذا نظرت واذا جمع كثير لم يستطيع أحد أن يعدّه من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة واقفون أمام العرش وأمام الحَمل متسربلين بثياب بيض ... وأجاب واحد من الشيوخ قائلاً لى "**المتسربلون بالثياب البيضاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة وقد غسّلوا ثيابهم وبيّضوا ثيابهم فى دم الخروف (المسيح)**" (رؤ٧ : ١٣ ، ١٤).

رابعاً - المصالحة مع الله بدم المسيح:

تحدث الرسول بولس عن حلول كل ملئ اللاهوت فى شخص المسيح وقال ان الله الآب قد "سُرّ أن يصالح به الكل لنفسه **عاملاً الصلح بدم صليبه**" (كو١ : ٢٠). وقال أيضاً أن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم، وأضاف "لأنه جعل الذى لم يعرف خطية، خطية لأجلنا لنصير نحن برّ الله فيه" (٢كو٥ : ٢١). والمقصود بأن المسيح الذى لم يعرف خطية، قد صار ذبيحة خطية وحاملاً لخطايا البشرية كنائب عنا ودفع أجرة خطايانا بموته فصالحنا مع الله الآب والعدل الآلهى.

وأضاف الرسول بولس الى ذلك قوله: "لأنه أن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه (وهذا هو سفك دمه) فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته" (رو٥ : ١٠).

خامساً – النصرة على الشيطان بدم المسيح:

يخبرنا سفر الرؤيا فى صدد قصة سقوط ابليس المدعو التنين والحية القديمة والشيطان والمشتكى على إخوتنا وطرحه من السماء الى الأرض، أن المؤمنين "**وهم غلبوه بدم الخروف** وبكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت" (رؤ١٢ : ١١). ان الصليب المخضب بدم المسيح كان هو الوسيلة الذى سحق به الله رأس الحيّة ابليس، ولذلك يفزع الشيطان من الصليب ويرتعب من دم المسيح. إن مجرد رسم علامة الصليب تطرد الشياطين وترعبهم (تراجع أقوال الآباء عن اشارة الصليب فى هذا الكتاب).

سادساً – تبريرنا بدم المسيح:

إن الآية الذهبية التى تشرح هذه الحقيقة موجودة فى رسالة رومية ٣ : ٢٤ وتقول: "**متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالايمان بدمه** لإظهار برّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة".

ويقول الرسول أيضاً "ولكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا. **فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص** به من الغضب" (رو٥ : ٨ ، ٩). وفى الرسالة الى العبرانيين يقول: "بل قد أتيتم الى جبل صهيون والى مدينة الله الحىّ اورشليم السماوية . . . وكنيسة أبكار مكتوبين فى السموات والى الله ديّان الجميع **والى أرواح أبرار مُكملّين** والى وسيط العهد الجديد يسوع **والى دم رَشّ يتكلم أفضل من هابيل**" (عب١٢ : ٢٢-٢٤). كان دم هابيل يصرخ الى الله من الأرض طالباً النقمة من أخيه قايين الذى قتله غدراً وظلماً، **بينما دم المسيح بررنا وصالحنا فهو يطلب لنا الخير والرحمة والغفران والحماية والخلاص من الدينونة.**

سابعاً – غلبه العالم بدم الصليب:

يقول الرسول بولس "أما من جهتى فحاشا لى أن أفتخر **إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صُلب العالم لى وأنا للعالم**" (غل٦ : ١٤). لقد أشار السيد المسيح الى الصليب ضمنا بقوله: "وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب الىّ الجميع" (يو١٢ : ٣٢).

ومؤدى هذا أن جاذبية الصليب تفوق جاذبية العالم أو الأرض، والمسيحى الذى اختبر جاذبية الصليب يحتقر بطلان العالم وأضواءه الزائفة فيصير ميّتاً بالنسبة لمحبة العالم ويصير العالم "الموضوع فى الشرير" ميّتاً بالنسبة له، بل تصير محبة العالم زنى وعداوة لله (يع٤ : ٤).

ثامناً – تقديسنا بدم المسيح:

تقول رسالة العبرانيين "وليس بدم تيوس وعجول **بل بدم نفسه دخل مرة واحدة الى الأقداس فوجد فداء ابدياً**. لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس الى طهارة الجسد. **فكم بالحرى يكون دم المسيح الذى بروح أزلى قدّم نفسه**

لله بلا عيب يطهر ضمائركم ." (عب٩ : ١٢-١٤). ويقول أيضاً فى نفس الرسالة "**فبهذه المشيئة نحن مقدسُون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة**" (عب١٠ : ١٠)، ويقول "**لأنه بقربان واحد قد أكمل الى الأبد المقدسين**" (عب ١٠ : ١٤). وأيضاً "**لنا ثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع**" (عب١٠ : ١٩).

تاسعاً - النجاة من الدينونة بدم المسيح:

إن دم خروف الفصح المرشوش على العتبة العليا والقائمتين على بيوت بنى اسرائيل - كمثال الصليب - كان سبباً فى حمايتهم ونجاتهم من الدينونة. فيقول الرب لهم: "**ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها. فأرى الدم وأعبر عنكم. فلا يكون عليكم ضربة للهلاك**" (خر١٢). ويشرح القديس بولس الرسول ذلك بقوله: "**لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا**" (١كو٥ : ٧). ان الذى وعد فى القديم بأنه يرى دم خروف الفصح على أبواب شعبه فيعبر عنهم ملاك الدينونة والهلاك، **هو نفسه الذى وعد بأن من يؤمن به تكون له حياة أبدية ولا يأتى دينونة بل قد أنتقل من الموت الى الحياة**" (يو٥ : ٢٤). ولذلك يُطمئن الرسول بولس المؤمنين بأنه "**لاشئ من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع.** السالكين حسب الروح وليس حسب الجسد" (رو٨ : ١). فالمسيح بالنسبة للمؤمنين به هو بمثابة فلك نوح الوسيلة الوحيدة المضمونة للنجاة من طوفان غضب الله ودينونته العادلة. وقد شهد لخلاصنا ونجاتنا فى السماء الآب والكلمة والروح، وشهد فى الأرض أيضاً الروح والماء والدم (١يو٥ : ٦-٨). وقال رب المجد: "من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير" (يو٦ : ٥٤).

عاشراً - حق دخول السماء بدم المسيح:

رأينا سابقاً أن **الذين دخلوا السماء ووقفوا أمام عرش الله فرحين مسبحين بالثياب البيضاء هم اولئك الذين غسلوا ثيابهم فى دم المسيح** (رؤ٧ : ١٣). ويقول الرسول بولس "**فإذ لنا ثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع**، طريقاً كرّسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أى جسده وكاهن عظيم على بيت الله، لنتقدم بقلب صادق فى يقين الايمان . . . لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذى وعد هو أمين" (عب١٠ : ١٩-٣٧).

لعل هذه العشرة أعمال لدم المسيح فى خلاصنا هى أهم الأعمال التى كلما تذكرناها وحفظناها، كلما تمتعنا بفرح الرجاء والنمو فى النعمة وكل فهم روحى وسلام المسيح الذى يفوق كل عقل.

رموز وظلال الصليب فى العهد القديم

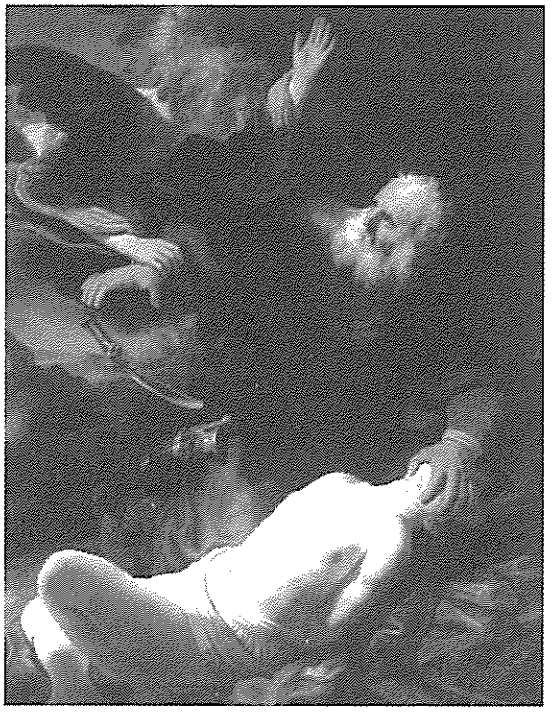

امتلأ العهد القديم بالاشارات الكثيرة الى المسيح والتى اتخذت ثلاثة أشكال رئيسية هى

(١) النبوات (٢) الرموز (٣) ظهورات المسيح قبل التجسد.

وعندما ظهر رب المجد يسوع المسيح بعد قيامته الى تلميذى عمواس "**ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسّر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب**" (لو٢٤ : ٢٧). ولما ظهر للاثنى عشر رسولاً بعد القيامة أيضاً قال لهم "**لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير. حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتبَ** (لو٢٤ : ٤٤ ، ٤٥).

وقد تكلمنا فى مقال سابق عن النبوات وخاصة التى تمّت وتحققت حول الصليب فى الأربعة وعشرين ساعة الأخيرة من حياة المسيح. **ونقتصر هنا على الرموز الخاصة بالصليب، وهذه الرموز بدورها تتخذ ثلاثة أشكال**

(١) أشخاص (٢) أشياء (٣) أحداث.

+ ومن الرموز للصليب عن طريق الأشخاص على سبيل المثال رمز يونان النبى، وقد أشار السيد المسيح نفسه الى هذا الرمز بقوله: "كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة ايام وثلاثة ليال هكذا يكون ابن الانسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال" (مت١٢ : ٤٠).

+ ومن الرموز للصليب عن طريق الأشياء، الحية النحاسية المذكورة فى سفر العدد أصحاح ٢١ وقد فسر السيد المسيح هذا الرمز وطبقة على نفسه فقال: "كما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يرفع ابن الانسان (على الصليب) لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية (يو٣ : ١٤).

+ ومن أحداث العهد القديم التى ترمز للصليب ذبيحة اسحق (تك٢٢) وسوف نشير الى هذه كلها فى حينه . . . .

ولنبدأ فى ذكر هذه الرموز بإيجاز على التوالى:

أولاً – سفر التكوين

١ – أقمصة الجلد:

عندما أخطأ آدم وحواء انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر (تك٣ : ٧). ولكن محاولتهما ستر عريهما لم تفلح اذ جفت أوراق التين وتساقطت وعادا عريانين. "فصنع الرب لهما أقمصة من جلد وألبسهما" (تك٣ : ٢١). فمن أين أتى بالجلد؟. أنه جلد ذبيحة، ومن هذا يتضح أن الرب هو الذى وضع مبدأ الذبيحة فدم الذبيحة يكفّر والجلد يستر.

٢ – ذبيحة هابيل:

قال الرسول بولس فى أصحاح الايمان برسالة العبرانيين "بالايمان قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين. فبه شهد له انه بار إذ شهد الله لقرابيته. وبه وان مات يتكلم بعد" (عب١١ : ٤). فلماذا كانت ذبيحة هابيل أفضل من قرابين قايين؟

كانت قرابين قايين من ثمار الأرض التى لعنها الرب، وأما تقدمة هابيل فكانت ذبيحة دموية لأنها ترمز لذبيحة المسيح على الصليب، وكانت بالايمان بالمسيح الفادى الآتى، وكان هابيل قد تعلّم الدرس من أبويه نقلاً عن الله نفسه فى ذبيحة أقمصة الجلد، ولذلك كانت ذبيحته مقبوله وأفضل من تقدمة قايين. وهذا بالاضافة الى أن هابيل كان باراً بينما كان قايين شريراً، والله لا ينظر فقط الى الذبيحة ولكن أيضاً الى مقدمها (تك٤ : ٤).

٣ – ذبائح محرقات نوح:

حدث انه عقب انتهاء الطوفان وخروج نوح من الفلك انه بنى مذبحاً للرب وأصعد محرقات للرب على المذبح من البهائم والطيور الطاهرة (تك٨ : ٢٠). ان الذبائح والمحرقات الحيوانية الدموية هى رموز لذبيحة المسيح على الصليب.

٤ – قوس قزح:

أقام الرب عهد ميثاق مع نوح وبنيه ونسله من بعده فلا يخرب الأرض بطوفان مرة أخرى. وقال الله "هذه علامة الميثاق الذى أنا واضعه بينى وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحيّة الى أجيال الدهر. وضعت قوسى فى السحاب فتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض. فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض وتظهر القوس فى السحاب انى أذكر ميثاقى الذى بينى وبينكم.. فلا تكون أيضاً المياه طوفاناً لتهلك كل ذى جسد" (تك٩ : ٩-١٧).

وكان قوس قزح رمزاً لصليب المسيح كعهد ميثاق أن كل من يؤمن به ويغتسل بدمه لا يهلك بل ينجو من الدينونة والغضب وتكون له الحياة الأبدية (يو٣ : ١٤-١٦).

٥ – ذبائح أبراهيم وأيوب:

كان المذبح جزء هام من حياة ابراهيم فنقرأ انه كان يقيم مذبحاً للرب حيثما ذهب وانه كان يقدم عليه ذبائح دموية (تك١٢ : ٧ ، ٨ ، ١٣ : ١٨ ، ١٥ : ٩). والذبائح الدموية ترمز لصليب المسيح والى ذبيحته العظمى.

وهكذا أيضاً كانت محرقات أيوب المعاصر لابراهيم (أى١ : ٥).

٦ – تقدمة ملكى صادق الخبز والخمر لابراهيم (تك١٤ : ١٨)

يخبرنا سفر التكوين هنا أن ملكى صادق كاهن الله العلىّ وهو ملك شاليم (السلام) بارك ابراهيم وأعطاه خبزاً وخمراً (تك١٤ : ١٨). وملكى صادق هذا كان رمزاً للمسيح حسبما شرح الرسول بولس ذلك فى رسالة العبرانيين الأصحاح السابع بالتفصيل، وحسبما قال داود النبى فى مزمور١١٠ : ٤ "أقسم الرب ولن يندم إنك كاهن الى الأبد على رتبة ملكى صادق". ورتبة ملكى صادق أو طقسه هو الخبز والخمر.

٧ – ذبيحة اسحق:

فى الأصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين طلب الرب من أبراهيم أن يقدم أبنه الوحيد (الشرعى من زوجته سارة) اسحق محرقة على جبل المُريّا. أطاع أبراهيم وقام فى الصباح الباكر وأخذ أبنه اسحق وحمّله الحطب وسار ثلاثة أيام حتى وصل الى الموقع ووضعه على الحطب ورفع السكين ليذبحه، ولكن ملاك الرب ناداه من السماء وقال له لا تمد يدك الى الغلام لأنى علمت انك خائف الله ولم تمسك أبنك وحيداً عنى.

وباركه الرب ووعده بأنه فى نسله تتبارك كل أُمم الأرض. وعاد اسحق حياً بعد ثلاثة أيام.

كان الأبن الوحيد المحبوب اسحق هنا رمزاً للمسيح فيسوع هو ابن الله الحبيب الوحيد وكما حمل اسحق حطب المحرقة حمل المسيح خشبة الصليب، وكان جبل المرايا هو الاسم القديم لجبل الجلجثة الذى صلب عليه المسيح فعلاً.

وكما عاد اسحق حياً بعد ثلاثة ايام، هكذا قام المسيح من الأموات فى اليوم الثالث. وكان نسل ابراهيم الذى تتبارك فيه كل أمم الأرض هو المسيح (غل٣ : ١٦ ، ٢٩).

ان ذبيحة اسحق كانت رمزاً وصورة مصغرة للصليب ووصفاً للآية الذهبية "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد حتى لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣ : ١٦). وقد علّق الرسول بولس على قصة اسحق وقال انها كانت مثالاً لما حدث على الصليب (عب١١ : ٢٠).

٨ – بركة يعقوب لحفيديه ابنىّ يوسف:

أراد يوسف أن يقوم يعقوب أباه، وهو على فراش الموت وقد بلغ من العمر ١٤٧ سنة وكان قد كفّ بصره عن النظر، أن يبارك إبنيه منسىّ وافرايم قبل رحيله. ولتسهيل الأمر على أبيه أوقف منسىّ البكر أمام يد يعقوب اليمنى وافرايم الصغير أمام يده اليسرى.

ولكن حدث أمر عجيب أدهش يوسف وهو أن أباه وضع يديه بالعكس على رأسىّ الغلامين – على شكل علامة الصليب – فوضع يده اليمنى على رأس افرايم الصغير ووضع يده اليسرى على رأس منسىّ الكبير. فساء ذلك فى عينى يوسف وظن أن اباه تصرف بالخطأ لأنه فقد بصره فأراد تغيير وضع يدى أبيه وقال له ليس هكذا يا أبى فمنسىّ هو البكر. ولكن يعقوب رفض وقال له بإصرار "علمت يا ابنى علمت" ويقول الكتاب أن يعقوب فعل ذلك بفطنة أى بوعى كامل وقصد وحكمة (تك٤٨ :)، وكما حدث مع يعقوب نفسه عندما نال بركة اسحق أبيه وهو الأصغر دون عيسو، هكذا نال أفرايم الصغير بركة أعظم من منسىّ الكبير. وكانت بركة الآباء تعتمد من الله وتبين مصير كل واحد. ويُعلق المفسرون هنا بأن البكورية التى تنال بركة الرب كما فى هذين المثالين، هى بكورية الروح وليست بكورية الجسد

ولكن الذى يهمنا فى هذا المجال هو بركة الصليب ووضع يعقوب يديه متقاطعتين – وهو لايبصر – بإلهام آلهى على مثال الصليب وهكذا كانت بركة يعقوب لابنىّ يوسف رمزاً للصليب ونبوءة عن الصليب وهى تقترن بقوله "لخلاصك انتظرت يارب" (تك٤٩ : ١٥).

ثانياً – رموز الصليب فى سفر الخروج

٩ – خروف الفصح:

خروف الفصح ورش دمه على العتبة العليا والقائمتين وأكل لحمه مشوياً بالنار على أعشاب مُرّة، هو من أقوى وأشهر وأوضح الرموز لصليب المسيح. والى هذا قد أشار العهد الجديد بقوله "لأن فصحنا المسيح قد ذبح لأجلنا" (١كو٥ : ٧).

ولوأننا عقدنا مقارنة بين الرمز والمرموز اليه فى العهدين القديم والجديد لوجدنا الآتى:

أ ـ العهد القديم	ب ـ العهد الجديد
(١) يكون خروفاً ذكراً صحيحاً بلا عيب (خر١٢ : ٥).	(١) المسيح هو حمل الله الكامل الذي يرفع خطية العالم (يو١ : ٢٩).
(٢) يبقى تحت الحفظ من يوم ١٠ نيسان الى ١٤ (خر١٢ : ٦)، ثم يذبحه كل جمهور جماعة اسرائيل.	(٢) دخل المسيح اورشليم فى أحد الشعانين ومكث هذه الأربعة أيام وفى اليوم الخامس (الجمعة) صلبه كل جماعة اسرائيل.
(٣) خروف الفصح الذى خلص بنى اسرائيل من الدينونة كان يجب أن يذبح ويرش دمه على ابواب بيوتهم.	(٣) لم أعزم ان أعرف بينكم إلا يسوع المسيح واياه مصلوباً (١كو٢ : ٢، ١بط١ : ١٨ ، ١٩).
(٤) الرب قال يكون لكم الدم علامة فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك (خر١٢ : ١٣).	(٤) هذا هو دمى الذى يسفك عنكم لمغفرة الخطايا (مت٢٦ : ٢٨). ... أتيتم الى دم رش يتكلم أفضل من هابيل (عب١٢ : ٢٤).
(٥) تأكلونه مشوياً بالنار مع فطير على أعشاب مُرّة (خر١٢ : ٨).	(٥) لقد حمل المسيح نار الدينونة عنا والفطير الخالى من الخمير يشير للنقاء والخلاص من الشر والأعشاب المرّة تشير الى العبودية والندم على الخطية.
(٦) تأكلونه باستعداد للخروج وأحقاءكم مشدودة وأحذيتكم فى أرجلكم وعصيّكم فى أيديكم (خر١٢ : ١١).	(٦) الاستعداد لازم قبل التناول من الفصح المسيحى (١كو١١ : ٢٣).
(٧) لا يأكل من خروف الفصح إلا كل مختون (خر١٢ : ٤٤ ، ٤٨).	(٧) لا يتناول من جسد الرب إلا كل من أعتمد فالختان كان رمز للمعمودية (كو٢ : ١١).
(٨) عظم منه لايكسر (خر١٢ : ٤٦).	(٨) وأما يسوع فلما جاءوا اليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات (يو١٩ : ٣٣).

١٠ – شجرة مارّة التى حوّلت المياه المُرة الى عذبة (خر١٥ : ٢٢-٣٣).

عندما ارتحل بنو اسرائيل من البحر الأحمر الى برّية شور "ساروا ثلاثة أيام فى البرية ولم يجدوا ماء فجاءوا الى مارّة ولم يقدروا أن يشربوا ماء من مارّة لانه كان مُرّ فتذمر الشعب على موسى قائلين ماذا نشرب. فصرخ موسى الى الرب فأراه الرب شجرة فطرحها فى الماء فصار عذباً . . . ثم جاءوا الى ايليم وهناك اثنى عشر عين ماء وسبعون نخلة فنزلوا هناك" (خر١٥ : ٢٢-٢٧).

ان هذه الشجرة الخضراء التى حوّلت مياه مارة المُرّة الى مياه عذبة بأمر الرب، كانت رمزاً لصليب يسوع المسيح المصنوع من خشب الشجر. فمارّة تشير الى هذا العالم الملئ بمرارة التجارب والضيقات والأمراض والموت والأحزان، والعلاج الآلهى هو فى صليب المسيح الذى يزيل هذه المرارة ويحولها الى حلاوة وعذوبة بموته وقيامته وانتصاره. ولذلك نقرأ هذا الفصل فى عيد الصليب، ونعمل هذا الرمز عندما ينتقل أحد المؤمنين فيصلى الكاهن فى بيته فى اليوم الثالث – وهو يوم قيامة المسيح ويوم اكتشاف شجرة مارة – ويصلى على نبات اخضر وماء "فى مراع خضر وعلى مياه الراحة" (مز٢٣) للتذكير برمز الصليب المعزى وتحويل الحزن على الفراق الى عزاء ورجاء. ولم تأت ارقام الـ ١٢ عين ماء عذب، و٧٠ نخلة اعتباطاً وانما رمزاً معزياً للاثنى عشر رسولاً والسبعين تلميذاً الذين رووا عطش العالم واشبعوا جوعه ببشارة الانجيل بالمسيح خبز الحياة وماء الحياة.

١١ – ضرب موسى الصخرة وخروج ماء منها (خر١٧ : ٦)

يحدثنا سفر الخروج عن هذه الواقعة والمعجزة بأن بنى اسرائيل وصلوا الى منطقة رفيديم فى الصحراء وعطشوا ولم يجدوا ماء فتذمروا على موسى فصرخ موسى الى الرب فقال له الرب "خذ عصاك التى ضربت بها النهر فى يدك وها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة فى حوريب فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب. ففعل موسى هكذا أمام عيون شيوخ اسرائيل" (خر١٧ : ٥ ، ٦).

وقد فسّر الروح القدس هذه الحادثة على لسان الرسول بولس بقوله: "فانى لست اريد أيها الاخوة ان تجهلوا ان آباءنا جميعهم . . . أكلوا طعاماً واحداً روحياً (المن)، وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً، لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح" (١كو١٠ : ١)

كان الصخر من ضمن أسماء المسيح وألقابه أنه "صخر الدهور" (أش٢٦ : ٤)، وذلك لقوّته وثباته ودوامه وعدم تغيّره وهو الذى قال "على هذه الصخرة أبنى كنيستى وأبواب الجحيم لاتقوى عليها" (مت١٦ : ١٨) وكان يقصد صخرة الاعتراف بأنه هو ابن الله الحى حسبما أعلن الآب السماوى للرسول بطرس. كما قال له المجد أنه يُشبه من يسمع كلامه ويعمل به يكون كالعاقل الذى بنى بيته على الصخر (مت٧ : ٢٤).

فاذا كانت الصخرة هى المسيح فيكون ضرب الصخرة هو طعن جنب المسيح بالحربة وهو على الصليب. وفى هذا يخبرنا الرسول يوحنا "**لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء**. والذى عايش شهد وشهادته حق" (يو١٩ : ٣٤ ، ٣٥). الدم يشير الى التبرير والماء الى التقديس.

١٢ – رفع يدّى موسى على مثال الصليب المانح النصرة (خر١٧ : ٨)

عقب الواقعة السابقة مباشرة فى نفس الاصحاح (خر١٧)، نقرأ أن شعباً يُدعى عماليق أتى وحارب بنى اسرائيل فكلّف موسى تلميذه يشوع بمحاربتهم (ويلاحظ انها حرب دفاعية بدأ بها عماليق) وأما موسى فساهم فى النصرة بالوقوف على رأس التلّة ورفع يديه للصلاة على مثال الصليب. فكان اذا رفع موسى يديه أن اسرائيل يغلب واذا خفض يده فإن عماليق يغلب. فلما صارت يدا موسى ثقيلتين دعّم هارون وحور يديه فكانت يداه ثابتتين الى غروب الشمس فهزم يشوع عماليق وقومه (خر١٦ : ٨–١٦). أن عماليق هو حفيد عيسو (تك٣٦ : ١٢) الذى احتقر البركة وباع البكورية بأكلة عدس وقد أصطلح على انه يمثل أحد اعدائنا الروحيين وهو الجسد. وهذه القصة ترينا أسلحة النصرة الروحية على الجسد مثل الصلاة والصليب كما تعلمنا ضرورة الجهاد الروحى مع النعمة للتمتع بالخلاص التام فحرب يشوع تمثل الجهاد بينما صلاة موسى تمثل النعمة. ونلاحظ هنا ان الانتصار لم يتحقق بحرب يشوع وحدها ولا بصلاة موسى وحدها ولكن بالأثنين معاً. ولذلك يوصينا الكتاب "تمموا خلاصكم بخوف ورعدة" (فى٢ : ١٢). ويقول ايضاً "فلنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا ناظرين الى رئيس الايمان ومكمله يسوع ..." (عب١٢ : ١)، "والذى يصبر الى المنتهى فهذا يخلص" (مر١٣ : ١٣).

١٣ – نقرة الصخرة (خروج٣٣ : ١٨–٢٣)

أراد موسى أن يرى مجد الرب، فقال له الرب "لاتقدر أن ترى وجهى لأن الانسان لا يرانى ويعيش. وقال الرب هوذا عندى مكان فتقف على الصخرة. ويكون متى اجتاز مجدى انى أضعك فى نقرة من الصخرة وأسترك بيدى حتى أجتاز. ثم أرفع يدى فتنظر ورائى. وأما وجهى فلا يُرى" (خر٣٣ : ٢١). وكما ذكرنا سابقاً أن المسيح هو الصخرة (١كو١٠ : ٤)، وبذلك تكون نقرة الصخرة هى جنب المسيح المطعون على الصليب، وهذ هو المكان الرائع الذى نرى فيه عظمة محبة الله ومجده الذى ظهر فى صليب المسيح (وقد أفردنا فصلاً لذلك نرجو الرجوع إليه).

١٤ – مذبح النحاس فى خيمة الاجتماع (خر٢٧)

ان مذبح النحاس الذى يعتبر أول قطعة تُصادف الداخل الى خيمة الاجتماع، هو رمز لصليب المسيح إذ كانت تُقدم الذبائح الحيوانية الدموية عليه للتكفير عن الخطايا. وكان الرب يقبل هذه الذبائح بصفة مؤقتة "لوقت الاصلاح" لحين مجئ المسيح الفادى المرموز اليه الذى بذبيحة نفسه وجد فداءاً أبدياً (عب٩ : ١٢).

وكان مذبح النحاس – رمز الجلجثة – مربعاً لبيان قوة وكفاية دم المسيح لخلاص كل من يؤمن به فى كل العالم من الجهات الأربعة الشمال والجنوب والشرق والغرب. ولذلك قال الرب يسوع المسيح "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣ : ١٦)، ويقول الرسول يوحنا "ودم يسوع المسيح أبنه يطهرنا من كل خطية" (١يو١ : ٧)، وأيضاً يقول "وان أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفّارة لخطايانا، وليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً" (١يو٢ : ١ ، ٢).

١٥ – الحجاب فى خيمة الأجتماع (خر٢٦ : ٣١)

كان هذا الحجاب مصنوعاً من أربعة أقمشة ذات الألوان الاسمانجونى والأرجوان والقرمز والبوص ومبرومة معاً بمهارة وعليها رسم كاروبيم، وكان هذا الحجاب يفصل بين القدس وقدس الأقداس (خر٢٦ : ٣١–٣٥).

وكانت هذه المكونات جميعها ترمز الى المسيح وفدائه وجسده المزق على الصليب. فاللون الاسمانجونى هو اللون الأزرق ويشير الى لاهوت المسيح والى انه سماوى وانه أتى من السماء (يو٣ : ١٣ ، ٣١ ، ٨ : ٢٣).

واللون القرمزى هو اللون الأحمر لون الدم ويشير الى ناسوت المسيح ودم المسيح المسفوك على الصليب. وأما اللون الارجوانى فله معنيان الأول هو عبارة عن اتحاد اللونين الأزرق والأحمر معاً أى اتحاد لاهوت المسيح مع ناسوته فى التجسد، وهذا ما تفيده كلمة "مبروم" وهذا ما نعبّر عنه لاهوتياً بقولنا فى صلاة القداس ان "لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولاطرفة عين" وحكمة هذا الأتحاد الوثيق "المبروم" إن لاهوت المسيح غير المحدود هو الذى اعطى لموت المسيح بالجسد البعد غير المحدود فيشمل فداؤه كل الأزمنة من بداية الخليقة الى نهاية العالم. والمعنى الثانى للون الارجوانى هو أن المسيح هو ملك ملوك، فالارجوان هو لبس الأباطرة ويقال عن أحد انه لبس الارجوان أى أعتلى عرش الامبراطورية.

ولون البوص هو الكتان الأبيض الذى يشير الى نقاوة المسيح وطهارته وقداسته وخلوه من الخطية. وقد أخبرنا الرسول بولس فى الرسالة الى العبرانيين صراحة أن "الحجاب أى جسده" (عب١٠ : ٢٠) ولذلك ففى اللحظة التى مات فيها المسيح على الصليب انشق حجاب الهيكل الى اثنين من فوق الى أسفل" (مت٢٧ : ٥١). ومعنى هذا أن موت المسيح وكسر جسده على الصليب هو الذى فتح طريق النعمة والمصالحة بين السماء والأرض.

وأما الكاروبيم المرسوم على الحجاب فيذكرنا بالكاروبيم الذى كان يحرس شجرة الحياة عقب سقوط الانسان فى جنة عدن حتى لا يأكل منها الانسان ويحيا الى الأبد وهو تحت حكم اللعنة. ولذلك كان معنى رسم الكاروبيم على الحجاب – سواء فى خيمة الأجتماع أو فى الهيكل – يعنى منع الانسان من الدخول الى قدس الأقداس فى محضر الله.

ولم يكن أحد يستطيع الدخول سوى رئيس الكهنة وحده مرة واحدة فى السنة وعلى يده دم الذبيحة للتكفير على خطاياه وجهالات الشعب و إلا يموت وذلك فى يوم الكفارة العظيم على التفاصيل المذكورة فى سفر اللاويين الأصحاح ١٦.

فلما أنشق حجاب الهيكل لحظة موت المسيح على الصليب صار الكاروبيم على الجانبين يرحبون بالانسان المفدى وقد اخبرنا رب المجد يسوع "انه يكون فرح السماء بخاطئ واحد يتوب . . ." (لو١٥ : ٧).

ج – رموز الصليب فى سفر اللاويين

١٦ – الأربع ذبائح (لا ١ – ٧)

حدثنا سفر التكوين عن سقوط الانسان، وسفر الخروج عن الفداء والخلاص العظيم، وأما سفر اللاويين فموضوعه الطريقة التى يتقرّب بها الانسان الى الله وتكون له معه شركة من جديد. وهو يركز على قداسة الله و القداسة التى بدونها لا يقدر أحد أن يعاين الله، وقد تكررت فيه الآية والوصية ثلاث مرات "كونوا قديسين لأنى أنا الرب آلاهكم قدوس" (لا١١ : ٤٤ ، ١٩ : ٢ ، ٢٠ : ٢٦).

ويظهر لنا سفر اللاويين بشاعة الخطية، وفشل الانسان، وقداسة الله، وكيفية التقرب الى الله من خلال الذبيحة الدموية بأنواعها وهى التى ترمز الى صليب المسيح والطريق الوحيدة للكفارة والفداء والخلاص. أن الخطية هى أغلى شئ فى الوجود سواء كانت مغفورة أو غير مغفورة، فإن غُفرت كان ثمنها دم المسيح، وإن كانت غير مغفورة كان ثمنها جهنم الأبدية.

وتقسّم الذبائح الى قسمين رئيسيين: ذبائح لأرضاء الله وتكون رائحة سرور طيبة للرب وأشهرها المحرقات، وذبائح التكفير وأشهرها ذبيحة الخطية. وليس هذا مجال شرح كل ذبيحة بالتفصيل ولكن يكفى هنا الاشارة الى قول العهد الجديد عن المسيح "ولكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه" (عب٩ : ٢٦). والآية الذهبية فى سفر اللاويين ١٧ : ١١ وتقول: "نفس الجسد هى فى الدم وأنا أعطيكم اياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم لأن الدم يُكفرُ عن النفس".

١٧ – ذبيحة تطهير الأبرص (لاويين١٤)

ان مرض البرص يرمز الى الخطية باعتبار ان كل منهما يُنجس الانسان ويفصله عن الله القدوس، وكلاهما مُعدى ومميت ويشوّه الانسان. وقضت شريعة تطهير الأبرص أن يخرج الكاهن الى مريض البرص خارج المحلّة فى عزله ومنفاه. ويأمر الكاهن أن يؤخذ للتطهير عصفوران حيّان طاهران وخشب أرز وقرمز وزوفا. ويأمر الكاهن أن يُذبح

العصفور الواحد فى إناء خزف على ماء حىّ. أما العصفور الحىّ فيأخذه مع خشب الأرز والقرمز والزوفا ويغمسها مع العصفور الحىّ فى دم العصفور المذبوح وينضح على المتطهر من البرص سبع مرات فيطهره ثم يطلق العصفور الحىّ على وجه الصحراء" (لا١٤ : ١-٧).

ان العصفور المذبوح يشير الى المسيح المصلوب والعصفور الآخر الحى الذى يُغمس فى دم العصفور المذبوح (يعنى امتداد حياة العصفور المذبوح وكأنه قام من الأموات) يشير الى المسيح المقام من الاموات والصاعد الى السموات. فالعصفوران يرمزان الى هاتين الحقيقتين ان يسوع المسيح "أُسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا" (رو٤ : ٢٥).

١٨ - يوم الكفّارة العظيم (لاويين١٦)

كان هذا هو أهم يوم فى السنة عند اليهود ويشير الى الجلجثة، وكان يحتفل به مرة واحدة فى السنة "فالمسيح قُدّم مرة لكى يحمل البخور خطايا كثرين" (عب٩ :٢٨) ولا تكرار لعمله الفدائى. كان رئيس الكهنة يحمل فى مجمرته الذهبية ويأخذ من دم الثور ويدخل الى قدس الأقداس ويصنع كفارة عن نفسه وأهل بيته.

أما الكفارة عن الأُمة فكانت تيسين من الماعز يقترع عليهما أيهما يكون للرب. والتيس الذى تصيبه القرعة يُذبح، ويأخذ رئيس الكهنة من دمه ويدخل الى قدس الأقداس ويرشّه على غطاء التابوت المسمّى "كرسى الرحمة"، ويرش أمامه سبع مرات. وأما التيس الآخر فيضع عليه رئيس الكهنة خطايا الأمة - بأن يعترف بها على رأسه ويسلمه لرجل يطلقه فى الصحراء "هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم" (يو١ : ٢٩) "والرب وضع عليه إثم جميعنا" (أش٥٣ : ٦).

التيّسان المشار إليهما فى هذا الموضع هما تقدمة واحدة: التيس المذبوح رمز للمسيح المصلوب والذى أنجز الكفارة أمام الله عن الشعب، والتيس الحى الذى يدعى تيس عزازيل يشير الى أن الله قبل الكفارة وغفر للشعب خطاياهم، وكونه يُبعد فى الصحراء انه عزّل بعيداً وأن الله أبعد عنا خطايانا ولا يعود يذكرها لنا. وكان كل ذلك رمزاً للصليب لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا" (عب١٠ : ٤). "لأنه إن كان دم ثيران وتيوس مرشوش على المنجسين يُقدّس الى طهارة الجسد، فكم بالحرى يكون دم المسيح الذى بروح أزلى قدّم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم" (عب٩ : ١٤). ومكتوب أيضاً "كذلك يسوع أيضاً لكى يقدس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب. فلنخرج اذاً اليه خارج المحلة حاملين عاره" (عب١٣ : ١٢ ، ١٣).

د – رموز الصليب فى سفر العدد

١٩ – ماء النجاسة ودم البقرة الحمراء (عدد ١٩ : ١–١٠)

وردت قصة هذا الماء فى عدد ١٩ لتطهير شعب الله من النجاسات اليومية. وترجع قوة تأثير ذلك الماء فى التطهير من النجاسة الى الدم. وآية ذلك كان يؤتى ببقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها ولم يعل عليها نير، وتذبح وتحرق وترش دماؤها فى ذلك الماء. وهذا رمز لدم المسيح الذى خرج من جنبه مصحوباً بالماء للتطهير والفداء (عد١٩ ، يو١٩ : ٢٤).

٢٠ – الحية النحاسية (عدد٢١)

يخبرنا هذا الفصل الكتابى بأنه عند إرتحال بنى اسرائيل حول ارض أدوم خليج العقبة انهم تذمّروا على الرب وعلى موسى قائلين لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت فى البرّية لأنه لا خبز ولا ماء وقد كرهت أنفسنا هذا الطعام السخيف (يقصدون المن والسلوى!) فأرسل الرب على الشعب الحيّات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون. فأتى الشعب الى موسى وقالوا قد أخطأنا اذ تكلمنا على الرب وعليك فصلّ الى الرب ليرفع عنا الحيّات. فصلى موسى لأجل الشعب. فقال الرب لموسى "إصنع حيّة من نحاس وضعها على الراية فكان متى لدغت حيّة انساناً ونظر إلي حية النحاس يحيّا" (عد٢١ : ٤–٩).

قال الرب يسوع صراحة ان الحيّة النحاسية تشير اليه "وكما رفع موسى الحيّة فى البرية هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الانسان (على الصليب) لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣ : ١٤). أن نظرة الآيمان الى صليب المسيح تكفى لايقاف مفعول سُم الحيّة القديمة أبليس وتشفى وتخلص من الموت، ولذلك يقول "التفتوا اليّ واخلصوا يا جميع اقاصى الأرض" (أش٤٥ : ٢٢)، وبموته أباد من له سلطان الموت أى ابليس (عب٢ : ١٤).

هـ – رمز الدم والصليب فى سفر يشوع

٢١ – حبل القرمز فى قصة رحاب (يش٢)

يخبرنا الاصحاح الثانى من سفر يشوع أن سبب خلاص رحاب الزانية وأُسرتها عند سقوط اريحا كان سببه العهد الذى قطعة الجاسوسان معها بربط حبل أحمر من خيوط القرمز فى نافذتها (يش٢ : ١٨ ، ٢١ ، عب١١ : ٣٠ ، ٣١ ، يع٢ : ٢٥). وكان ذلك مثل رش الدم على بيوت بنى اسرائيل ليلة الفصح حتى لا تكون عليهم ضربة للهلاك. وكان هذا وذاك رمزان لدم المسيح المسفوك على الصليب لخلاص وحماية كل من يؤمن به ونجاته من الدينونة.

و – رمز الصليب فى سفر ملوك الثانى

٢٢ – الخشب الغاطس والحديد العائم (٢مل٦)

هذا رمز جميل من رموز الصليب وعمله، فعندما ذهب اليشع النبى مع بنى الأنبياء لبناء مكاناً أوسع لمدرستهم عن نهر الأُردن، وبينما كان واحد منهم يقطع خشباً طار حديد الفأس وسقط منه فى مياه الأُردن "فصرخ وقال آه يا سيدى انه عارية (أى مستعار أو سلفة) فسأله رجل الله أين سقط فأراه الموضع فقطع عوداً وألقاه هناك فطفا الحديد. فقال أرفعه لنفسك فمدّ يده وأخذه" (٢مل٦ : ٦).

ان هذه الرمز يشكل معجزة فالفأس المستعار تشير الى النفس البشرية أو الروح التى أخذها من الله على سبيل الاستعارة أو الوديعة التى سوف يستردها مرة أخرى عند الموت. وان الانسان يضيعها ويفقدها بإهمالة وعدم احتراسه فتسقط فى الأوحال وتتلطخ بالخطايا. وكان الحل لخلاصها واستردادها هو الاعتراف بسبب ومكان السقوط. اما قطع عود الخشب الذى ألقاه اليشع النبى فى مياة الآدن فيشير الى الصليب. ومع أن قوانين الطبيعة تقول ان الخشب يعوم والحديد يغطس، إلا انه حدث العكس فى هذه المعجزة إذ غطس الخشب فى أعماق مياه الأردن وان هذه جعل الحديد يطفو ويعوم حتى أمكن استرداده!.

لقد نزل المسيح الى الجحيم من قبل الصليب وأنقذ النفوس الغارقة الهالكة وجعلها تتحدى جاذبية العالم وترتفع فوقه. والمعروف ان نهر الأُردن هو نهر المعمودية (مت٣). وأن المعمودية تستمد قوتها من الصليب ولذلك يقول الرسول بولس أننا متنا مع المسيح ودفنّا معه فى المعمودية (رو٦ : ٤–٦). وقمنا مع المسيح فى جدّة الحياة.

٢٣ – الحجر المقطوع بغير يدين الذى سحق تمثال الممالك والأزمنة (دانيال٢)

يخبرنا سفر دانيال فى الأصحاح الثانى أن نبوخذ نصر ملك بابل رأى حلماً أزعجه وأطار نومه وعجز الحكماء والسحرة والمنجمون عن معرفة الحلم أو تفسيره ... ولكن كشف الله السرّ لدنيال فأخبره بما يكون فى الأيام الأخيرة. وقال دانيال للملك: "أنت أيها الملك كنت تنظر واذا بتمثال عظيم وبهىّ جداً وقف قبالتك. رأس التمثال مثال من ذهب. وصدره وذراعاه من فضة بطنه وفخذاه من نحاس. ساقاه من حديد. قدماه بعضها من حديد وبعضها من خزف. **الى أن قُطع حجر بغير يدين فضرب التمثال هلى قدميه فسحقهما. فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً وصارت كعصافة البيدر فى الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان. أما الحجر الذى ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها** وقد فسرّ دانيال هذا الحلم بإرشاد الروح القدس بأن الحجر المقطوع بغير يدين هو المسيح (الذى ولد من عذراء بدون زرع بشر) وأقام مملكته الأبدية التى لن تنقرض ولن تزول والتى سحقت ممالك بابل ومادى وفارس واليونان والرومان، وحلّت محلّها وملأت الأرض كلها (دا٢ : ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٤ ، ٤٥).

ان هذا الحجر المقطوع هو المسيح المصلوب ، والذى قال عنه دانيال نفسه فى الأصحاح ٩ : ٢٤-٢٦ "ان المسيح الرئيس قدوس القدوسين والبر الأبدى وكفارة الاثم سيأتى ويُقطع وليس لهُ أى ان يصلب وليس له ذنب ولكن من أجل خلاص العالم.

رمز الصليب فى سفر يونان

٢٤ - مكوث يونان النبى فى بطن الحوت ثلاثة أيام وخروجه حياً

لقد أشار الرب يسوع المسيح صراحة الى رمز وآية (معجزة) يونان النبى بقوله: "كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاثة ليال. هكذا يكون ابن الانسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاثة ليال" (مت١٢ : ٤٠).

لعل هذه الرموز الأربعة والعشرين هي أشهر الرموز فى العهد القديم لموت المسيح وصليبه وهى تبين أن الصليب والفداء لم يكن حادثة عادية وانما تدبيراً آلهياً عجيباً وصفه الرسول بولس بأنه "السر المكتوم منذ الدهور" (أف٣ : ٩)، وقال عنه الرسول بطرس "عالمين انكم افتديتم بدم كريم ... دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم" (١بط١ : ١٨-٢٠).

وهذه الرموز عبارة عن صور مصغرة ونبوّات فى صورة وقائع وتكملتها مئات النبوات الصريحة فى العهد القديم بصورة مذهلة (يراجع فصل نبوات الصليب).

معجزات الجلجثة السبع

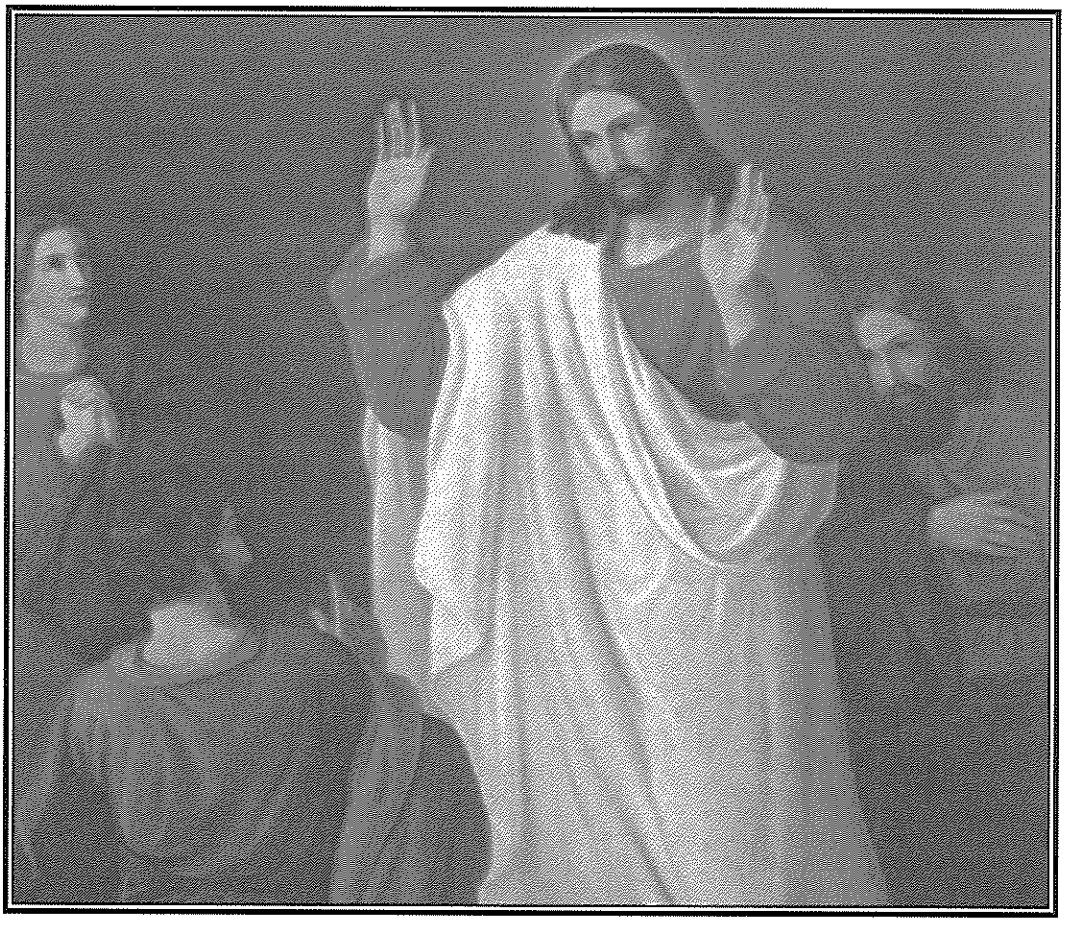

ان اظلام الشمس فى وقت الظهيرة والرب معلّق على الصليب كان أول هذه المعجزات التى أحاطت بالصليب وبدأت الموكب السماوى من سلسلة العجائب التى مجّدت موت رب المجد يسوع المسيح الفدائى.

وكانت المعجزة الثانية هى شقّ حجاب الهيكل من فوق الى اسفل. وكانت الثالثة هى الزلزال الذى شقّ الصخور، بينما كانت المعجزة الرابعة هى فتح القبور وقيام كثير من أجساد القديسين. وكانت المعجزة الخامسة هى خروج دم وماء من جنب المسيح على اثر طعنه بالحربة بعد موته.

وكانت المعجزة السادسة هى القيامة والقبر الفارغ بعد ثلاثة أيام، والمعجزة السابعة هى وجود الأكفان مرتبة والمنديل بالقبر الفارغ بعد قيامة السيد المسيح وبنفس الترتيب! والآن لنتناول كل منها بشئ من الإيجاز . . .

المعجزة الأولى – الظلمة المعجزية

تقول الأناجيل الثلاثة الأولى "وكان نحو الساعة السادسة ظلمة على الأرض كلها الى الساعة التاسعة وأظلمت الشمس" (مت٢٧ : ٤٥ ، مر١٥ : ٣٣ ، لو٢٣ : ٤٤ ، ٤٥).

إن إظلام الشمس فى الظهيرة وتغطية الأرض كلها بظلام دامس لمدة ثلاث ساعات عقب موت المسيح، كان أول معجزة فى هذه الحلقة المرتبطة مباشرة بموت سيد الخليقة كلها.

بعض هذه المعجزات حدث فى السماء والبعض حدث على الأرض وبعضها حدث تحت الأرض. ولكن العجيب أن كلها كوّنت سلسلة مدهشة فريدة من المعجزات. وكان كل منها يرتبط بعمل المسيح الخلاصى على الصليب، وكل من هذه المعجزات يعكس معنى وهدف لعمق آلام المُخلص.

وكلها معاً أحاطت بموت المسيح وأوضحت بعناية الحق فى خلاصنا بدمه المسفوك على الصليب.

وصف المشهد:

فى الوقت الذى حلّت الظلمة على الأرض كلها، كان يسوع قد صُلب وقضى على الصليب ثلاث ساعات. فيخبرنا القديس مرقس فى انجيله "**وكانت الساعة الثالثة فصلبوه**" (مر١٥ : ٢٥). والساعة الثالثة بالتوقيت اليهودى تقابل الساعة التاسعة صباحاً بالتوقيت الحالى. **ويقول البشيرون الثلاثة الأوائل أن الظلمة حدثت على كل الأرض من الساعة السادسة الى التاسعة، أى من الساعة ١٢ ظهراً الى الساعة الثالثة بعد الظهر**. ويلاحظ أن هذه الظلمة كانت معجزية ومن طبيعة خاصة استثنائية في كل شئ.

فأولا – أنها غطّت الأرض كلها! ان ما يحدث عادة حسب قوانين الطبيعة ان الشمس تغيب فتظلم نصف الكرة الأرضية فقط بينما تشرق فى النصف الآخر من الأرض. ان الله قادر على كل شئ، فهذا الظلام يختلف عن ضربة الظلام الذى ضرب به الرب أرض مصر فى الضربة التاسعة، بينما كان لبنى اسرائيل فى ارض جوشان نوراً (خر١٠ : ٢١-٢٣). أما هذه فيقول البشيرون انها كانت على الأرض كلها. تلك استمرت ثلاثة أيام، وهذه استمرت ثلاث ساعات حتى مات الفادى على الصليب!

وعلى كل حال، فقد غطّت الظلمة أرض اليهودية كلها لمدة ثلاث ساعات فى كل البلاد المحيطة بالجلجثة حيث صُلب المسيح.

ثانيا – لم يكن ظلام الشمس وقت الظهر كسوفاً، بل كان خارقاً للطبيعة، فربما يخطر بالبال أن كسوفاً كلياً قد حدث للشمس مصادفة وقت صلب المسيح (ظاهرة طبيعة تحدث كل ٩٠عام تقريباً وهى مرور القمر بين الأرض والشمس فيكون الثلاثة على محور واحد وهو ثلاث أنواع، كسوف كلى وكسوف جزئى وكسوف حلـقى).

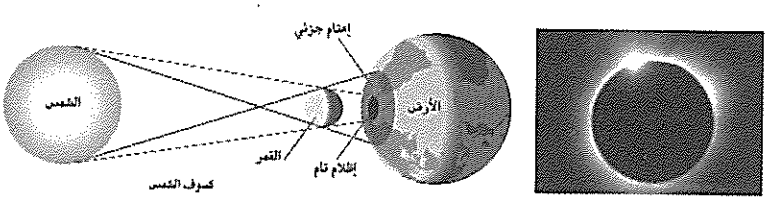

ولكن يدحض هذا الخاطر ويستبعده تماماً أن الظلام الذى حدث وقت الظهيرة قد استمر بدون انقطاع، ليس لمدة دقيقة أو دقيقتين، وانما لمدة ثلاث ساعات متواصلة! وهذا يلغى ويزيل تماماً احتمال أن تكون هذه ظاهرة كسوف كلى للشمس نظراً لأن مدة هذه الظاهرة الطبيعية (الكسوف) لا تستمر أكثر من دقائق معدودة وهذا معروف ومؤكد علمياً.

ثالثا – ان هذه الظلمة حدثت فى وقت الاحتفال بالفصح (١٤ نيسان أبريل) الذى يحتفل به دائماً فى هذا الوقت والذى يكون فيه القمر كاملاً ويكون فيه كسوف الشمس مستحيلاً. اذاً فقد كان هذا الظلام غير طبيعى ومخالف لكل المبررات الفلكية والجغرافية والتاريخية ولم يكن هذا الظلام نتيجة غروب الشمس عن نصف الكرة الأرضية لتشرق على نصف الكرة الآخر، لأنه كان فى وقت الساعة ١٢ ظهراً (بالتوقيت الحالى) أى كانت الشمس فى كل قوتها!.

ان الظلام هو عكس النور ويحل عادة عند إنسحاب النور بالتدريج، ولكن يفهم من وصف الانجيليين هنا أن الظلمة حلّت بالجلجثة فجأة من الساعة السادسة الى الساعة التاسعة، أى بدأت فجأة مرة واحدة وانتهت فجأة مرة واحدة. لقد صاحبت الظلمة أحلك ساعات آلام المسيح الكفارية على الصليب.

وهكذا شهدت الطبيعة لخالقها واحتجت شمس الطبيعة لتظهر فداء "شمس البر" وتسجيل ساعة الصفر المنتظرة منذ بدء الخليقة التى فيها سحق نسل المرأة رأس الحيّة (تك٣ : ١٥ ، عب٢ : ١٤).

لقد لبست الطبيعة ثياب الحداد على باريها وغطّت وجهها خجلاً واحتراماً لخالقها وفاديها، وأيضاً استنكاراً لشرور الانسان وقساوة قلبه وجريمته.

رابعاً – انه مما يثبت ان هذه الظلمة لم تكن طبيعية ولا فلكية بل معجزية، انها كانت محل نبوة واعلان آلهى قبل حدوثها بمئات السنين، فقد سبق وأعلن الله بالروح القدس للنبى

عاموس ذلك فقال "**ويكون فى ذلك اليوم يقول السيد الرب انى أُغيّب الشمس فى الظهر وأُقتم الأرض فى يوم نور**" (عا٨ : ٩). لقد حدثت الظلمة "وقت دينونة هذا العالم"، وساعة "رفع – حمل – الله خطية العالم" (يو١ : ٢٩)، الساعة التى صرخ فيها الفادى كنائب عن البشرية وحامل لخطاياها" "آلهى آلهى لماذا تركتنى" (مت٢٧ : ٤٦)، "ولكن هذه ساعتكم وسلطان الظلمة" (لو٢٢ : ٥٣) . . .

لقد شهدت الطبيعة، والشمس لالوهية المسيح ولفداء المسيح وآلامه الكفارية إذ ارتبطت بالصليب وكانت اقوى منبه ومحذر للغافلين، حيث اختتم البشيرون هذا المشهد بفهم وايمان وتصريح قائد المئة ومن معه انهم "خافوا جداً وقالوا حقاً كان هذا ابن الله" (مت٢٧ : ٥٤). وقيل عنه والجموع لما أبصروا ما كان رجعوا وهم يقرعون صدورهم" (لو٢٣ : ٤٨).

تاريخية هذه الظلمة

أشار الى هذه الظلمة المعجزية المؤرخون والمنجمون الوثنيون واليهود والمسيحيون الأوائل. فقال فليكون المنجم الرومانى "انه فى السنة الرابعة عشر من ملك طيباريوس قيصر، **مات يسوع الناصرى، وصاحب موته أعظم كسوف عُرف عند المنجمين، لأن النهار تحول الى ليل وظلمة دامسة فظهرت النجوم فى كل أرض اليهودية وما جاورها**، وامتداد الظلمة لم يعرف الى أى مكان وصل، **ودامت الظلمة ثلاث ساعات وأنتهت عند موتهُ**.

وتحدث عن هذه الظلمة المؤرخون غير المسيحيين مثل كلسوس عدو المسيحية الشهير فى القرن الثالث. وفى اواخر القرن الثانى قال العلامة ترتليان انه "**فى لحظة موت المسيح فارق النور الشمس وأظلمت الأرض فى وسط النهار حسب سجلات خصوم المسيحية والتى حفظت الى اليوم**". وكتب القديس يعقوب السروجى مقالات طويلة فى هذا الخصوص أكتفى ببعض الاقتباسات منها" رفع السيد المسيح صوت التأوه وأعلن انه يترك روحه فى يد أبيه فتحركت الخلائق لتبكى الوحيد. **ارتعبت الأرض وأرتعشت المسكونة، وناحت الصخور، وذابت الحجارة . . . أظلمت الشمس وأنتهى الشعاع، ولبس الجو لوناً قاتماً مكمداً بألم عظيم. هرب النهار ودخل الليل وقام فى وسط الظهر** ليستر الملك الذى عراّه الصالبون . . . **صعد الى العلو وأطفأ كل الأضواء ونزل الى الهاوية وأصعد الأموات من الهلاكْ**.

فماذا اذاً تعلمنا معجزة الظلمة؟

(١) انها تعلمنا أن يسوع هو نور العالم كما قال مراراً فاذا مات انطفأ النور فى الحال.

(٢) كما تعلمنا ان المسيح هو ابن الله كما فهم قائد المئة الرومانى والذين حوله.

(٣) وتعلمنا معجزة الظلمة كذلك أن الخطية ظلمة، ولما حمل المسيح خطايا البشرية أظلمت

الدنيا فى وسط النهار، وأن هذه الظلمة تبين مصير غير المؤمنين الأبدى فى الظلمة الخارجية.

(٤) لقد طلب الفريسيون من المسيح آية من السماء ليؤمنوا به، وأعثروا من تصريحه بأنه ابن الله وحسبوه تجديفاً وارادوا رجمه بالحجارة. والآن عند الصليب أعلنت السماء آيتها وأثبتت انه ابن الله ونطقت الحجارة عندما تشققت الصخور وتفتحت القبور لتعلن عن الفداء بالصليب والقيامة والنصرة الأبدية.

(٥) انها تعلن جلال موت المسيح وتسليط الضوء على هدف موته الفدائى وهو لخلاصنا من خطايانا وحمله الآمنا وأوجاعنا (أش٥٣ : ٣).

(٦) هذه الظلمة المصاحبة للصليب تعلن أن المصلوب حمل لعنة خطايا البشرية وحمل غضب الدينونة عنا" استيقظ يا سيف وأضرب راعيّ ورجل رفقتى" (زك١٣ : ٧).

(٧) عندما انقشعت الظلمة وانتهت في الساعة التاسعة بعد أن جاز فيها المسيح، قال "قد أُكمل" (يو١٩ : ٣٠)، أى ان الفداء قد أُكمل وتم ثم صرخ بصوت عظيم فلق الصخور "يا أبتاه فى يدك أستودع روحى" (لو٢٣ : ٤٦).

المعجزة الثانية – إنشقاق حجاب الهيكل

"فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح. واذا حجاب الهيكل قد انشق الى اثنين من فوق الى أسفل . . ." (مت٢٧ : ٥٠ ، ٥١).

المعجزة الأُولى التى حدثت وقت الصليب فى الجلجثة كانت الظلمة فى الظهيرة. والمعجزة الثانية التى حدثت بعد الظلمة وموت المسيح الفادى مباشرة هى إنشقاق حجاب الهيكل الى اثنين.

بعض الناس يظنون أن الزلزال الذى حدث كان هو سبب شقّ حجاب الهيكل. ولكن هذا غير صحيح وغير محتمل أبداً إذ كان الحجاب مصنوعاً من الأقمشة الكتانية المبرومة السميكة التى ربما يستطيع الزلزال أن يسقطها ولكنه لا يشقها أبداً من الوسط بالطول من فوق الى أسفل الى نصفين. وهذا بالإضافة الى مخالفة ذلك الأفتراض لأقوال الأناجيل والترتيب الذى ذكرت به. فيقول البشير متى "**فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح. واذا حجاب الهيكل قد انشق الى اثنين من فوق الى أسفل، والأرض تزلزلت والصخور تشققت**" (مت٢٧ : ٥٠).

ولو تتبعنا هذا الترتيب نجد أن شق حجاب الهيكل كان حدثاً مستقلاً عن الزلزال وأنه

حدث قبل الزلزال. ويتضح لنا أن شق حجاب الهيكل كان نتيجة مباشرة لصرخة المسيح الثانية على الصليب، وكانت هذه هى آخر وأعلى صرخة للمصلوب، وان هذه الصرخة التى شقت الحجاب هى نفسها التى أحدثت الزلزال.

ما الذى أحدث الزلزال ؟

يبدو بوضوح ان شق حجاب الهيكل والزلزال كانا توأمين من النتائج لصيحة المسيح القوية الأخيرة، وأن تلك الصرخة نفسها هى التى شقّت الصخور – أو بتعبير السيد المسيح نفسه فى مناسبة اخرى – جعلت الحجارة تصرخ! (لو١٩ : ٤٠).

هذه الحقيقة ظاهرة من وصف البشير متى فى انجيله ويعززها أيضاً انجيل مرقس وبالرغم من ذكر البشير مرقس لواقعة شق حجاب الهيكل وصرخة المسيح الأخيرة، إلا انه لم يذكر الزلزال مطلقاً! ومعنى هذا أن **القديس مرقس اعتبر أن شق حجاب الهيكل أهم من الزلزال، ومن ناحية اخرى ربطه بصرخة المسيح. واتفق مع البشير متى فى تسجيل تأثير ظلمة الظهيرة وصرخة المسيح** وشق حجاب الهيكل على "قائد المئة والحراس الذين معه انهم خافوا جداً وصرخوا حقاً كان هذا ابن الله" (مت٢٧ : ٥٤ ، مر١٥ : ٣٩).

فاعلية صرخة المسيح المدوية

قبل ذلك فى حياة المسيح لاحظنا قوة صرخته فى إنتهار الرياح والبحر فصار هدوء عظيم (مت٨ : ٢٦)، وصرخته فى انتهاره للشياطين فكانت تخرج من المرضى صارخة فأخرسهم (لو٤ : ٤١)، وصرخته بصوت عظيم "لعازر هلم خارجاً" فقام فى الحال (يو١١ : ٤٤) ولذلك نجد أن هناك ارتباطاً وثيقاً لا ينفصم بين صرخة المسيح ساعة موته التى وصفتها الاناجيل بأنها "بصوت عظيم" وبين شق حجاب الهيكل والزلزلة.

ونلاحظ أيضاً بالمثل اتحاد اللاهوت بالناسوت فى هذه الصرخة المدوية لأنه من أين يأتى الشخص المحتضر الذى يموت بمثل هذه القوة غير الطبيعية التى يستطيع بها أن يصرخ "بصوت عظيم"؟!

معنى الحجاب

كان هذا الحجاب موجوداً فى خيمة الاجتماع حسب المثال الذى أراه الرب لموسى فى الجبل (خر٢٥ : ٩) وكان أيضاً فى الهيكل – سواء فى هيكل سليمان أو هيكل زروبابل بعد العودة من السبى، أو هيكل هيرودس بعد أن تداعى الهيكل الأخير – وكان هيكل هيرودس هذا هو الذى دخله السيد المسيح وعلّم فيه ... **فما هى حكمة الاصرار على وجود هذا الحجاب؟** عندما سقط الانسان صنعت الخطية حجاباً فاصلاً بينه وبين الله القدوس، ولذلك يقول الكتاب "آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين آلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم" (أش٥٩ : ٢). وهذا

هو سبب وضع الله للكاروبيم بسيف لهيب نار متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة حتى لايأكل منها الانسان ويحيا الى الأبد تحت اللعنة فيكون مثل الشيطان (تك٣ : ٢٤).

وكان على الانسان أن ينتظر حتى تتجسد شجرة الحياة فى شخص المسيح الذى سيصنع الفداء والكفارة بدمه ويكمل المصالحة بين الله والانسان. ولكن الى أن يتم هذا "فى ملئ الزمان" كان لابد من وضع هذا **الحجاب بيت القدس وقدس الأقداس، وهو مكون من ستارة سميكة مبرومة من أقمشة كتانية زرقاء وحمراء قرمزية وأرجوانية ومشغول عليها رسم الكاروبيم** (خر٢٦ : ٣١)، ليعيد الى الأذهان قصة السقوط وما حدث فى جنة عدن، أى انه يمتنع على الانسان الخاطئ الدخول الى محضر الله القدوس. فكان لايجوز الأنسان أن يخترق هذا الحجاب ويدخل الى الأقداس وإلا يموت فى الحال.

وكانت الطريقة الوحيدة التى وضعها الله هى دخول رئيس الكهنة مرة واحدة فى السنة، يوم الكفارة العظيم الى قدس الأقداس وعلى يده دم الذبيحة والبخور تكفيراً عن خطاياه وجهالات الشعب (لاويين اصحاح ١٦). اذاً فقد كان الغرض من وضع هذا الحجاب هو منع رؤية ما وراءه (أى تابوت العهد الذى يمثل محضر الله) ومنع التقدم أى خطوة وراء هذا الحد أو هذا الحاجز الذى هو الحجاب.

إنتهاء عمل الحجاب بموت المسيح وفدائه

عندما نعيد الآن قراءة وصف الانجيل الدقيق "فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح واذا حجاب الهيكل قد إنشق الى اثنين من فوق الى أسفل" (مت٢٧ : ٥٠ ، ٥١)، نفهم أن هذا الحجاب قد تمزّق وإنشق من وسطه أى الى نصفين (لو٢٣ : ٤٥) وسقط على الأرض فى مكانه! وبذلك يكون فتحه أو إزالته قد أظهرت ما وراءه وكشفت (فتح) قدس الأقداس لأول مرة فى التاريخ وهو ما صُنع الحجاب أصلاً لحجبه عن الأنظار.

ويلاحظ أن شقّ حجاب الهيكل قد حدث ٰ من فوق الى أسفلَ، فهو لم يتمزق ولكنه قطع قطعاً مستقيماً كاملاً بالطول من فوق أى من ناحية السماء الى الأرض كما لو كان بمقص ترزى ماهر أو مشرط حاد أو بعمل البرق الخاطف، وهذا يشير الى تدخل آلهى معجزى يفوق الطبيعة يعلن انه بتمام الفداء والكفارة قد تمت المصالحة من السماء ٰمن فوقَ، من ناحية الله، الى الانسان المفدى الذى يستطيع الآن أن يدخل الى الأقداس والسماء ويقترب من محضر الله بدون خوف.

اذاً فلم يكن شقّ حجاب الهيكل بهذه الصورة وفى هذا التوقيت الدقيق بالذات مجرد صدفة، ولكنه حدث بحكمة وقصد آلهى عجيب فى لحظة موت المسيح على الصليب. ويفسر لنا الرسول بولس ذلك بأن جسد الرب يسوع المسيح كان بمثابة الحجاب الذى بشقه وموته على الصليب قد فتح لنا طريق الأقداس وصار لنا قبول فى السماء وترحيب

من الآب السماوى. فيقول فى الرسالة الى العبرانيين "فإذ لنا أيها الاخوة ثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرّسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أى جسده، وكاهن عظيم على بيت الله، لنتقدم بقلب صادق فى يقين الايمان . . . لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذى وعد هو أمين" (عب١٠ : ١٩).

صيحة النصرة

انه مما يستحق الملاحظة أن نذكر أن حجاب الهيكل قد أنشق فوراً بيد غير منظورة عقب صيحة المسيح المصلوب مباشرة! لقد ذكرت الأناجيل الأربعة صيحتين قويتين مرتفعتين للمسيح على الصليب. الصيحة الأولى حدثت مباشرة قبل أنتهاء الظلمة، والثانية جاءت بعد انتهاء الظلمة.

الصيحة الأولى كانت صرخة ألم الهجران "آلهى آلهى لماذا تركتنى" بينما الصيحة الثانية كانت هتاف الفرح والنصرة "قد أكمل" (يو١٩ : ٣٠).

الصيحة الأولى كانت صرخة من انسحق بالألم غير المحتمل بحمله خطايا العالم كله التى عبّرت عنها الظلمة المخيفة.

والصيحة الثانية فرحة إتمام وتكميل الخلاص للبشرية واسترداده للشركة والصداقة للانسان مع أبيه السماوى الصالح. لقد أكمل الفادى الآلهى الخلاص والتحرير للانسان الخاطئ من قبضة الشيطان والهلاك والدينونة وزال عنه ثقل الخطية المخيف، ولذلك كانت الصرخة القوية الثانية هى زئير الأسد الخارج من سبط يهوذا الذى غلب وانتصر (رؤ٥ : ٥).

وكان دليل انتصاره ظاهراً فى القوة غير الطبيعية التى استطاع أن يصرخ بها عالية مدوية فى لحظة موته! ولعل هذا ما جعل الرسول بولس يصفه بأنه "**من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب** مستهيناً بالخزى فجلس فى يمين عرش الله" (عب١٢ : ٢).

دلالة إنشقاق حجاب الهيكل فى الساعة التاسعة

لقد صاحب شقّ حجاب الهيكل موت المسيح على الصليب فى الساعة التاسعة (الثالثة بعد الظهر)، **وكان ذلك هو بالتحديد وقت تقديم الذبيحة المسائية، والتى كانت تتطلب وجود الكهنة (اليهود) فى القدس أمام هذا الحجاب بالذات**. ولذلك كانت معجزة شق حجاب الهيكل وكشف قدس الأقداس أمامهم أمراً مرعباً ومحيراً رأوه لأول مرة فى حياتهم!

ولابد أن تأثير هذا الحدث على الكهنة كان مزلزلاً لنفوسهم وكيانهم وهو ما قاد الكثيرين منهم للايمان بالمسيح فيما بعد فى يوم الخمسين وما بعده حتى أننا نقرأ "**وكان جمهور كثير من الكهنة يطيعون الايمان**" (أع٦ : ٧).

كما كان انشقاق حجاب هيكل اليهود، مع شق رئيس الكهنة ثيابه أثناء محاكمة المسيح متهماً اياه بالتجديف لأنه قال انه ابن الله (مت٢٦ : ٦٥)، كل هذا يبين مصير هيكل اليهود نفسه الذى سيخرب وينتهى بعد قليل كنبوّة السيد المسيح بأنه "هوذا بيتكم يترك لكم خراباً" وانه لا يترك فيه حجر على حجر لا يُنقض" (مت٢٣ : ٣٨ ، ٢٤ : ٢). وقد تحقق خراب الهيكل فعلاً فى سنة ٧٠ م على يد تيطس الرومانى بعد صعود المسيح بأربعين سنة.

على ماذا يبرهن شقّ حجاب الهيكل؟

(١) ان شق حجاب الهيكل يجعل من المستحيل على رئيس الكهنة أن يستمر يدخل الى قدس الأقداس حاملاً دم ذبائح حيوانية للتكفير.

(٢) ان سرية قدس الأقداس التى استمرت ١٥٠٠ (ألف وخمسمائة سنة) من أيام موسى النبى قد انتهت، وان أعمق أسراره قد أصبحت منظورة ومفهومة.

(٣) أصبح للناس الذين كانوا فى الدار الخارجية، وللكهنة الذين كانوا يخدمون فى القدس، امكانية الدخول الى قدس الأقداس والى محضر الله القدوس حيث فتح لنا المسيح طريق الأقداس ودخل الى ما وراء الحجاب كسابق لنا . . .

(٤) وكما أن شقّ هذا الحجاب قد أزال العداوة بين الله والانسان، فقد أزال أيضاً العداوة بين اليهود والأمم ونقض حائط السياج المتوسط (أف٢ : ١٣-١٩).

(٥) ان ألوان الحجاب الرمزية لها معانى لاهوتية فالأزرق يشير الى أن المسيح سماوى، والأحمر الذى يشير الى تجسده وصورته كإنسان وسفك دمه، واللون الأرجوانى هو اتحاد الأزرق مع الأحمر والذى يعنى ان لاهوته لم يفارق ناسوته وان ذلك هو ما أعطى موت الناسوت البُعد غير المحدود الذى يكفّر عن خطايا جميع البشر وكل من يؤمن به، ورسم الكاروبيم (الشاروبيم) على الحجاب . . . كل هذه المعانى اللاهوتية العميقة تنكشف بحصول المصالحة وزوال العداوة والأنفصال، والى ان الكاروبيم الذين كانوا يمنعوننا من الاقتراب والاكل من شجرة الحياة قبلاً بعد السقوط، فبشطر الحجاب وحصول الصلح والغفران والسلام يكون الكاروبيم قد إنشقوا على الجانبين ووقفوا يرحبون بالإنسان المفدى "لأنه يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب" (لو١٥ : ١٠).

(٦) ان مجد لاهوت المسيح المخلّص كان مخفياً وراء حجاب جسده الانسانى اذ أخلى نفسه آخذاً صورة عبد واذ وُجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب" (فى٢ : ٥-١٠)، ولذلك كان لابد من شق حجاب جسده حتى ينكشف مجده ونستطيع أن ندرك السرّ المكتوم منذ الدهور.

المعجزة الثالثة – الزلزال المعجزى

" والأرض تزلزلت والصخور تشققت ..." (مت٢٧ : ٥١). هذه الثالثة من معجزات الجلجثة لها معنى أيضاً كحلقة فى سلسلة العجائب المصاحبة لصليب المسيح. لأنها لم تكن فقط السبب فيما تبعها – فتح القبور – ولكنها كانت علامة ومعجزة لها وزن كبير من القوة فى حد ذاتها. ومثل "إظلام الظهيرة" وشقّ الحجاب الى نصفين وفتح قدس الأقداس، كان لهذه أيضاً علامة تعجب بها أعلن الله أهمية موت المسيح والمعنى الحقيقى الذى وراءه.

أُنظر الى الوقائع متصلة معاً

يقول الانجيل "فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح. واذا حجاب الهيكل قد إنشقّ الى اثنين من فوق الى أسفل. والأرض تزلزلت والصخور تشققت" (مت٢٧ : ٥٠ ، ٥١). لقد حدث الزلزال فى اللحظة التى صرخ فيها المسيح صرخة النصر العظمى الأخيرة عند موته. كان هذا الموت هو ظفر وقد أيّد الزلزال قوة هذه الحقيقة وشهد لها.

قوّة الهزّة الأرضية

لم تكن قوة هذا الزلزال عادية أو بسيطة، ولكنها كانت قوة شديدة أدت الى تشقق الصخور وتكسيرها، بل وأدت الى فتح القبور التى كانت تحت الأرض! ويكفى لبيان شدّة الزلزال وارتباطه ومعاصرته للصلب والظلام المفاجئ فى الظهيرة مع صرخة المسيح القوية، أن الجنود الرومان الأشداء الذين "جمعوا عليه كل الكتيبة وكانوا يستهزئون به" ويلعبون الزهر ويلقون القرعة على ثياب المسيح، قيل عنهم "**وأما قائد المئة والذين معه يحرسون يسوع فلما رأوا الزلزلة وما كان، خافوا جداً وقالوا حقاً كان هذا ابن الله**" (مت٢٧ : ٢٧ ، ٤٥). نعم ان قوة الزلزال وتوقيته الدقيق كان أنسب رد يبين قوة موت المسيح ودلالته العظمى.

دلالة التوقيت الزمنى

لماذا نقول أن هذا الزلزال كان معجزياً وغير عادى؟ الا تحدث الزلازل من حين لآخر حول العالم؟ نعم، ولكن الزلازل علمياً تحدث نتيجة مسبباتها المعروفة، ولكن هذا الزلزال المعاصر للصلب كان بتدخل آلهى خاص وليس لأسباب الزلازل الجيولوجية الطبيعية، وهذا ما يستفاد من توقيته الزمنى والذى لا يعقل أن يكون مجرد صدفة ... فهل يعقل أن تتزامن كل هذه الأحداث الضخمة الجبارة كلها بالصدفة؟

(١) أن يحدث هذا الزلزال الكبير فى نفس لحظة موت المسيح بالصدفة؟

(٢) وأن تحدث ظلمة الشمس فى قلب الظهر لمدة ثلاث ساعات مع الزلزال فى لحظة موت المسيح، وفى نفس لحظة الزلزال، وفى وقت الظلمة غير العادية وعقب صرخة المسيح ... هل كل هذه صدف؟

(٣) وهل يعقل أن ينشق حجاب الهيكل الى نصفين من فوق الى أسفل فى نفس لحظة موت المسيح، وفى نفس لحظة الزلزال، وفى وقت الظلمة غير العادية وعقب صرخة المسيح . . . هل كل هذه صدف؟

(٤) أم أن الأقرب الى العقل السليم أن الطبيعة والخليقة تخضع لحكمة خالقها وتخدم هدفه فى خلاص الانسان وتعلن عن حقيقة مجده.

أن هذا الذى يموت بين لصّين ليس شخصاً عادياً أو أنساناً خاطئاً ولكنه الآله المتجسد الذى به كان كل شئ وبغيره لم يكن شئ مما كان، وانه هو الذى خلق أعين للمولود أعمى وأقام لعازر من الأموات، وهو الذى أنتهر البحر الهائج والريح العاصفة فأطاعاه وصار هدوء عظيم، وانه هو شمس البر مانح الشفاء (ملا٤ : ٢)، وانه هو الجالس على كرة الأرض وسكانها كالجندب "وأن كل الامم أمامه كنقطة من دلو وكغبار الميزان تُحسب" (أش٤٠ : ١٥ ، ٢٢). أليس هذا الذى صرخ على الصليب بصوت عظيم قائلاً قبيل موته مباشرة "قد أُكمل"، هو نفسه الذى قال للآب ليلة صلبه "العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته. والآن مجّدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم" (يو١٧ : ٤ ، ٥).

أن من قال 'بذلت ظهرى للضاربين وخدّى للناتفين. وجهى لم أستر عن العار والبصقْ، هو نفسه الذى قال فى نفس الموضع 'هل قصرت يدى عن الفداء، وهل ليس فىّ قدرة على الانقاذ. هوذا بزجرتى أُنشّف البحر. أجعل الأنهار قفراً وألبس السموات ظلاماً (أش٥٠ : ٢ ، ٣ ، ٦).

إذاً ظاهر لكل ذى عقل وتمييز أن هذه الأحداث الجبارة الرهيبة والمتزامنة من الخليقة غير العاقلة لم تكن سلسلة مصادفات عمياء ولكنها كلها عظّمت ومجّدت فداء خالقها وصاحت بفصاحة أعظم من أى لسان بشرى أو قوة منطقية بأن هذا هو بالحقيقة ابن الله وانه ليس بأحد غيره الخلاص.

هل كان عند الزلزال عقلاً يُميز؟

لعل المؤمن الفطن يلاحظ أن هذا الزلزال الشديد الذى شقّ الصخور لم يهزّ صليب المسيح ولم يُسقطه أو يكسره! كما أن الزلزال الذى شق الصخور وفتحّ القبور لم يفتح كل القبور ولكن فقط قبور القديسين! فهل كان عند الزلزال تمييز، أم أن يد الله الضابط الكل هى التى تتحكم فى كل الخليقة بدقة مذهلة؟! أليس هذا المصلوب بارادته هو المكتوب عنه "الحامل كل الأشياء بكلمة قدرته" (عب١ : ٣). أليست الخليقة الصمّاء تمجد الله أحياناً أكثر من الخليقة العاقلة؟ أليس مكتوباً أن أنتظار الخليقة يتوقع أستعلان أبناء الله إذ أُخضعت الخليقة للبُطل وأن الخليقة نفسها (التى لعنت بسبب خطية الإنسان) ستُعتق من عبودية الفساد الى حرية مجد أولاد الله، وأن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً الى الآن" (رو٨ : ١٩-٢٢).

نعم كأن الزلزال له عقل يُميز ويدرك مالم يدركه اليهود فى أيام المسيح، وكأنه كان يمهد الطريق ويعد الأذهان لقيامة رب المجد يسوع بعد ثلاثة أيام ... لأنه لما فتح قبور القديسين الراقدين، قام هؤلاء القديسون من الموت وظهروا لكثيرين فى المدينة المقدسة أورشليم بعد قيامة المسيح مباشرة (مت٢٧ : ٥٢) ليكون المسيح باكورة الراقدين" (١كو١٥ : ٢٠).

الجلجثة تمتص غضب سيناء

منذ ١٥٠٠ سنة قبل المسيح نزل الناموس والوصايا العشر المكتوبة بأصبع الله وظهر الرب للشعب وسط نار متقدة كالأتون ورعود وبروق وسحاب ثقيل وصوت بوق شديد جداً وكان كل جبل سيناء يدخن ويرتجف بشدة (خر١٩ : ١٦-١٩). وقصد الرب بذلك أن يغرس مخافته فى قلوب شعبه فيحفظوا وصاياه ويحذروا من كل ما يبغضه أو يغضبه.

وكان جبل سيناء بمثابة إعداد الطريق لجبل الجلجثة. فلما قال بنو اسرائيل أنهم لا يستطيعون رؤية هذه النار العظيمة والزلزلة، استجاب الرب طلبتهم وطمأنهم بأنه سيقيم لهم من وسط أخوتهم نبياً مثل موسى ويضع أسمه وروحه فيه ومن لا يسمع له يُقطع من الشعب (تث١٨ : ١٥-١٨).

وكان الرب يتحدث عن مجئ المسيا، مشتهى كل الأمم، ليس فى الصورة النارية المخيفة التى ظهرت فى جبل سيناء لدرجة أن موسى النبى نفسه قال'انى مرتعد ومرتعبٌ ... ولكن سيأتى فى صورة أبن الانسان الوديع المتواضع القلب مريح التعابى وفادى الخطاة ورب الخلاص والنعمة. فيقول الرسول بولس "ولما جاء ملئ الزمان أرسل الله أبنه مولوداً من امرأة تحت الناموس ليفتدى الذين هم تحت الناموس لننال التبنى" (غل٤ : ٤).

وقال أيضاً فى نفس المعنى "**لأنكم لم تأتوا الى جبل ملموس مضطرم بالنار والى ضباب وظلام وزوبعة وهتاف بوق ... وكان المنظر مخيفاً حتى قال موسى أنا مرتعب ومرتعد. بل قد أتيتم الى جبل صهيون ... والى وسيط العهد الجديد يسوع والى دم رش يتكلم أفضل من دم هابيلَ** (عب١٢ : ١٨-٢٤).

لقد أطفأت الجلجثة نيران سيناء وحررنا الابن من حرفية الناموس الى حرية روح الرب وكمال المحبة والنعمة والشفاء. أعفانا المسيح من لعنة الناموس اذ أكمل الناموس عنا وحمل خطايانا فى جسده على الخشبة وصار لعنة بدلاً منا لأنه مكتوب "ملعون كل من عُلق على خشبة (غل٣: ١٣). وهكذا تحققت نبوة المزمور "الرحمة والحق ألتقيا. البر والسلام تلاثما" (مز٨٥ : ١٠).

المعجزة الرابعة - فتح القبور وقيامة كثير من أجساد القديسين

"والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين" (مت٢٧ : ٥٢).

إن رابع معجزات الجلجثة هى تفتّح القبور، ولعلها تعتبر أهم وأقوى المعجزات السابقة لأنها تعتبر فريدة فى نوعها ولم تحدث منذ بدء الخليقة. لقد سبق حدوث زلازل وكسوف كلى للشمس – وان لم يكن بهذه المدة الطويلة ولم يحدثا معاً – ولكن لم يحدث أبداً أن تفتحت القبور وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور ... والأعجب من ذلك أن تحدث هذه المعجزات الأربع معاً وفى نفس لحظة صرخة المسيح الأخيرة وموته على الصليب!

لقد كان تشقق الصخور وتحطيمها دليل القوة بينما كان تفتُّح القبور هو دليل التخطيط والتعليم. الزلزال وتشقق الصخور لا يعنى فى ذاته شيئاً ولكنه يلفت النظر الى موت المصلوب، أما تفتح القبور فله معنى تعليمى ونبوى ويعتبر بمثابة البراعم الأُولى لمجد القيامة القريبة التى هى رجاء البشرية. فيقول الرسول بولس "ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين" (١كو١٥ : ٢٠). وهذا ما يلفت النظر بكل وضوح انه فى اللحظة التى مات فيها المسيح تفتحت القبور، وكانت قيامة كثير من أجساد القديسين الراقدين وخروجهم من القبور بعد قيامته.

قبور من هذه التى فُتحت؟

يجيب الانجيل بكل وضوح انها كانت فقط "قبور القديسين"، من أولاد الله وشعب المسيح المختارين. لقد انفتحت القبور من يوم الجمعة بعد الظهر وظلت مفتوحة الى يوم الأحد صباحاً. وكانت ظاهرة لآلوف المشاهدين والمارة والمتفرجين. ولم تحصل أية محاولات لغلقها ثانية بسبب دخول السبت المقدس إذ لم يكن مسموحاً العمل فيه وخاصة لمس قبور الموتى بالذات فى السبت.

ولماذا قبور القديسين بالذات هى التى فُتحت، ولماذا أجساد القديسين بالذات هى التى قامت؟ ولماذا بعد قيامتها دخلت المدينة المقدسة أورشليم بالذات؟ ولماذا حرص الانجيل على ان يُبين أن هذه القيامة قد حدثت بعد قيامة المسيح؟ أليس لهذه كلها مفاهيم روحية ونبوية خاصة رائعة؟

والاجابة على هذه الأسئلة ظاهرة وهى انه يوجد إرتباط وثيق بين قيامة المسيح وقيامة الأموات فلو لم يقم المسيح لما كانت قيامة أموات. وفى القيامة تكون الأولوية للقديسين "كل واحد فى رتبته" (١كو١٥ : ٢٢). واماّ دخول المدينة المقدسة فهو رجاء المؤمنين وهو ما عبّر عنه الكتاب بقوله "لينالوا قيامة أفضل" (عب١١ : ٣٥). لأنهم "كانوا ينتظرون المدينة التى لها الأساسات التى صانعها وبارئها الله" (عب١١ : ٩). وكانت هذه صورة مصغرة لقيامة المؤمنين فى مجئ المسيح الثانى ودخولهم الى اورشليم السماوية.

ولكن لماذا تشققت الصخور وفُتحت القبور؟.

عندما قام المسيح دخل العليّة والأبواب مغلقة لأن الحوائط والأبواب لا تمنع الجسد الممجد من الدخول. ولكن قيامة المسيح بالجسد الممجد كانت من طبيعة اخرى خاصة به ولن نحصل على مثيلتها إلا فى القيامة العامة، اما هذه القيامة فالمفهوم انها كانت قيامة بالجسد الترابى كما تقول الآية "وقام كثير من أجساد القديسين" (مت٢٧ : ٢٥). ولذلك كان يجب أن تنفتح القبور لهذه الأجساد لتقوم كما حدث بالنسبة لعازر ولذلك قال السيد المسيح وقتئذ "أرفعوا الحجر" (يو١١ : ٣٩).

وأما قيامة المسيح فقد حدثت والحجر المختوم على القبر باق كما هو. وكان دحرجة الملاك للحجر هو لآعلان وكشف حقيقة قيامته وليس لإقامة المسيح. **وهكذا لن تحتاج قيامتنا الأخيرة الى فتح القبور لأن هذه ستكون بالأجساد الممجدة التى على صورة قيامة المسيح ولا تستطيع الجدران والصناديق وأقفال القبور أن تمنعها.** وبقول الكتاب "الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليصير على صورة جسد مجده حسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شئ" (فى٣ : ٢١).

أما قيامة بعض أجساد القديسين الراقدين فى لحظة موت المسيح ودخولهم المدينة المقدسة وظهورهم لكثيرين، فهى قيامة خاصة وقتية كرمز للقيامة العامة وعربون للقيامة وانتصار الصليب واكمال الفداء وخلاص البشرية وصورة مصغرة لما هو عتيد أن يحدث فى المستقبل وفى مجئ المسيح الثانى.

القديسون ليسوا الآن فى الهاوية

فى ضوء الانتصار العظيم الذى أحرزه المسيح بموته على الصليب، على الموت والشيطان والجحيم، فإن قديسى العَلَىّ لن يدخلوا فيما بعد الى الهاوية، هذا المكان الذى سبق أن عزى الرب قديسى العهد القديم مرة بأنه لن يتركهم فيه "لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية .. جسدى أيضاً يسكن مطمئناً على الرجاء" (مز١٦ : ١٩ ، أع٢ : ٢٦-٣٢). منذ قيامة المسيح وصعوده فقد أصعدهم معه والى نفسه فوق جميع السموات حسبما أخبرنا الرسول المغبوط بولس "**وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السمويات فى المسيح يسوعَ (أف٢ : ٦)، وأن هذا الذى نزل الى الهاوية أو الجحيم وأقسام الأرض السفلى هو الذى صعد فوق جميع السموات لكى يملأ الكل** (أف٤ : ٩ ، ١٠).

ما أروع هذه الأسرار المكنونة فى تلك الرموز الرائعة والمدهشة بأن تتزلزل الأرض وتتشقق الصخور وتتفتح القبور وتظهر بواكير القيامة. وبكلمات اخرى أن أنتصار موت المُخلّص وثماره قد وصلت الى أعماق الهاوية وقلب الأرض (مت١٢ : ٤٠) وأزالت أبواب الجحيم، وكان من آثار الانتصار على "قلب الأرض" هو الذى جعل الأرض تهتز وترتعد وترتعش وتشق الصخور، الأمر الذى يرمز لثورة الفرح التى أنجزت لقديسى العهد القديم فى الهاوية.

ما الذى لايزال القديسون ينتظرونه؟

إن ما تمّ انجازه فى خلاص الأرواح ممثلاً فى فتح القبور، قد أصبح اختباراً مباركاً لهؤلاء الذين رقدوا فى المسيح. وفى نفس الوقت أن الذى تمّ لأجل الجسد مرموز إليه بفتح القبور، مازال قديسو العهد القديم والعهد الجديد ينتظرونه. لقد تم انجازه واكتسابه بالفعل وأصبح حقيقة واقعة. ان كل عقبة فى طريق قيامة الروح والجسد معاً قد زالت ونحن كمؤمنين ننتظر فقط الموعد المحدد فى علم الله كما نعلن فى ختام قانون ايماننا "**وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى. آمين**". نعم إننا ننتظر أن فادينا المبارك يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات وننتظر أن الأموات فى المسيح يقومون أولاً عديمى فساد ونحن الأحياء الباقين نتغير ونخطف جميعاً معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب" (١تس٤ : ١٦ ، ١٧).

المعجزة الخامسة – خروج دم وماء من جنب المسيح بعد موته

" وأما يسوع فلما جاءوا أليه لم يكسرو ساقيه لأنهم رأوه قد مات. لكن واحد من العسكر طعن جنبه بحربه وللوقت خرج دم وماء. والذى عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم انه يقول الحق لتؤمنوا أنتم. لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يُكسر منه. وأيضاً يقول كتاب آخر سنظرون الى الذين طعنوه" (يو١٩ : ٣٣-٣٧).

أتمام أربع نبوات فى هذه الساعة الأخيرة

هذه هى المعجزة الخامسة من معجزات الصليب، وكانت إتماماً لنبوة رابعة من النبوات التى تمت فى الساعة الأخيرة من حياة رب المجد يسوع المسيح. ونحن اذا تتبعنا الوقائع والنبوات بالترتيب وجدناها كالآتى:

(١) يقول القديس يوحنا فى انجيله "بعد هذا رأى يسوع ان كل شئ قد كمل فلكى يتم الكتاب قال أنا عطشان. وكان اناء موضوعاً مملواً خلاً .... ألخ" (يو١٩ : ٢٨). وكان ذلك أتماماً لنبوة المزمور ٦٩ : ٢١ "وفى عطشى يسقوننى خلاً"

(٢) فلما أخذ يسوع الخل قال قد أُكمل. ونكس رأسه وأسلم الروح" (يو١٩ : ٣٠). وهنا يضيف البشير لوقا كلمة أخرى من كلمات المصلوب وهى "نادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه فى يديك استودع روحى" (لو٢٣ : ٤٦). ولعل القديس لوقا قد استقى معلوماته هذه نقلاً عن السيدة العذراء مريم التى كانت واقفة تحت الصليب أيضاً، وكانت اتماماً لنبوة مزمور ٣١ : ٥ "فى يدك استودع روحى".

(٣) وكان من عادة اليهود أن يُعجلّوا بموت المحكوم عليهم بالأعدام بكسر ساقيهم حتى لا تبقى الى غروب الشمس ولا يدخل عليها السَبت المقدس. فكسروا ساقىّ اللصين ولما جاءوا الى يسوع لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات. لأن هذا كان ليتمم نبوة الكتاب "عظم لا يكسر منه" (عدد٩ : ١٢).

(٤) لكن واحد من العسكر أراد أن يتأكد من موت المسيح فطعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء" (يو١٩ : ٣٤). ولم يكن يدرى الجندى الرومانى الذى طعنه انه ينفذ نبوة رآها زكريا النبى منذ نحو خمسمائة سنة قبل الصليب وهى قوله: سينظرون اليّ الذى طعنوه وينوحون عليه . . . ." (زك١٢ : ١٠).

دلالة الدم والماء

قيلت آراء ودراسات كثيرة علمية وطبية ولاهوتية وروحية فى تفسير خروج الدم والماء من جنب المسيح بعد موته. ويمكن تلخيصها فى الآتى:

١ – انها معجزة وظاهرة غريبة إذ يقول الطب أن الميت لا يدمى فالدم يتجمّد فى عروقه بالموت. ولكن المسيح كان عجيباً فى كل شئ كما تقول النبوة الخاصة باسمه " **ويدعى اسمه عجيباً**، مشيراً الهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام" (أش٩ : ٦). فكان عجيباً فى ميلاده وفى موته وفى صفاته ومحبته ووداعته وتعاليمه وقيامته وصعوده . . . . .

٢ – أكدّ البشير يوحنا على أن هذه معجزة بقوله: "والذى عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم انه يقول الحق لتؤمنوا أنتم" (يو١٩ : ٣٤ ، ٣٥).

٣ – حاول أحد كبار الأطباء تفسير هذه المعجزة على أساس علمى وهو الاستاذ درموند ربنسون فى كتابه الصادر فى سنة ١٩٢٧ فقال: "يموت المصلوب عادة فى مدة تتراوح بين ٢٤ ، ٢٨ ساعة، ولكن موت المسيح كان غير عادى لأنه أسلم الروح بعد أن قضى ست ساعات على الصليب، من الساعة ٩ صباحاً الى الساعة ٣ بعد الظهر. ومن المعلوم أن المصلوبين يموتون عادة نتيجة هبوط تدريجى فى الجسم، لكن موت المسيح لم يكن تدريجى: لأن فادينا نادى بصوت عظيم قبيل تسليمه الروح (لو٢٣ : ٤٦). انه مات متأثراً بانفجار فجائى فى جدران القلب نتيجة ضغط الآلام النفسية عليه وهذا يتفق مع نبوة المزمور "العار كسر قلبى فمرضت" (مز٦٩ : ٢٠). وقال انه عندما ينفجر جدران القلب ينساب الدم ويتحول الى خثارة حمراء دموية ومصل مائى، ولكن الطبيعى أن تتجمد السوائل فى لحظة الموت.

٤ – ويُعلق الرسول يوحنا على هذا فى رسالته الأُولى أيضاً بقوله: "**هذا هو الذى أتى بماء ودم يسوع المسيح لا بالماء فقط بل بالماء والدم**" (١يو٥ : ٦). أما عن الدم فيقول الكتاب "بدون سفك دم لاتحصل مغفرة" (عب٩ : ٢٢). واما الماء فيشير الى المعمودية والاغتسال والتقديس وتجديد الروح القدس (تيطس٣ : ٥).

٥ – **ان خروج الدم والماء من جنب المسيح بعد موته يشيران الى لاهوت المسيح وناسوته**، أما لاهوته فيظهر فى خروج الدم والماء من جسده بعد موته وهذا محال، الأمر الذى يفيد أنه حى وميت فى نفس الوقت "مماتاً فى الجسد ومحى فى الروح" (١بط٣ : ١٨). اذاً فالذى مات هو الجسد أى الناسوت ولكن اللاهوت لايموت وهو الذى أجرى هذه المعجزة.

٦ – **ويشير الدم والماء أيضاً الى التبرير والتقديس فى المسيح**، التبرير بالدم، فيقول الكتاب "متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى قدمه المسيح كفارة بالايمان بدمه" (رو٣ : ٢٤ ، ٥ : ٩). واما الماء فيشير الى التطهير والتقديس والتجديد والولادة الجديدة والمعمودية "بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس" (يو٣ : ٥ ، تى٣ : ٥).

٧ – أن الدم والماء يشيران الى سرىّ المعمودية والتناول اللازمين لخلاصنا وما جمعه الله لا يفرّقه انسان . . .

المعجزة السادسة – قيامة المسيح

تعتبر قيامة المسيح أيضاً من معجزات الجلجثة إذ يخبرنا يوحنا البشير والتلميذ الحبيب انه "كان فى الموضع الذى صلب فيه المسيح بستان وفى البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط. فهناك وضعا يسوع لأن القبر كان قريباً" (يو١٩ : ٤١).

وتحدثنا الأصحاحات الأخيرة من الأناجيل الأربعة وأصحاح ١٥ من رسالة بولس الرسول الأولى الى كورنثوس عن تفاصيل كثيرة عن هذه القيامة المجيدة التى هى رجاء البشرية كلها.

وقيامة الرب يسوع المسيح تعتبر، بالنسبة لأهميتها فى خلاصنا، معجزة المعجزات لأنه لولاها لما كانت للبشر قيامة ولتساوى الانسان مع الحيوان فى الفناء، بل لصار الانسان فى حالة أسوأ من الحيوان لأن الحيوان يفنى وينتهى، أما الانسان الخاطئ فيهلك فى جهنم بمعنى انه يظل حياً خالداً فى عذاب أبدى لا ينتهى. وما أتعسه مصير مظلم رهيب وصفه السيد المسيح عند حديثه عن يهوذا الخائن – وكل من يخون المسيح – بأنه "كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد" (مت٢٦ : ٢٤).

أهمية قيامة المسيح

قيامة المسيح تعتبر معجزة جبارة وفريدة فى نوعها ولا مثيل لها فى التاريخ لأنها حدثت بإرادة المسيح وسلطانه الذاتى ولم يقمه أحد. فقد أعلن عنها رب المجد مراراً وتكراراً ومن أمثلة ذلك:

١ – عندما قام بتطهير الهيكل سأله اليهود "أيّة آية ترينا حتى تفعل هذا. فاجاب يسوع وقال **أنقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام** أقيمه . . . وكان يقول عن هيكل جسده" (يو٢ : ١٨).

٢ – فى موضع ومجال آخر سأله الكتبة والفرسيون قائلين يا مُعلم نريد أن نرى منك آية. فأجاب وقال لهم جيل فاسق وشرير يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى. **لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال** هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاثة ليال" (مت١٢ : ٣٨–٤٠).

٣ – وفى أنجيل متى أيضاً ١٦ : ١–٤ سأله الصدوقيون أن يريهم آية وأجابهم بنفس الأجابة أن أعظم آية لذلك الجيل هى آية يونان النبى، ويقصد انه كما مكث يونان ثلاثة أيام فى بطن الحوت وخرج حياً، فهكذا سيموت ابن الإنسان ويدفن ويبقى فى قلب الأرض ثلاثة أيام وفى اليوم الثالث يقوم.

٤ – متى ١٦ : ٢١ "من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه انه ينبغى أن يذهب الى اورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة **ويُقتل وفى اليوم الثالث يقوم**"

٥ – وبعد معجزة التجلى على الجبل مع موسى وايليا، أوصى يسوع تلاميذه قائلاً: "لا تُعلموا أحداً بما رأيتم حتى يقوم ابن الانسان من الأموات" (مت١٧ : ٩).

٦ – "وفيما هم يترددون فى الجليل قال لهم يسوع ابن الإنسان سوف يُسلم الى أيدى الناس فيقتلونه وفى اليوم الثالث يقوم" (مت١٧ : ٢٣).

٧ – "ها نحن صاعدون الى اورشليم وابن الإنسان يُسلم الى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه الى الأمم لكى يهزأوا به **ويجلدونه ويصلبوه وفى اليوم الثالث** يقوم" (مت٢٠ : ١٨ ، ١٩).

٨ – وتكرر أعلان السيد عن قتله وصلبه وموته ثم قيامته بعد ثلاثة أيام فى الأناجيل الآخرى (أنظر مرقس ٨ : ٣٢ ، ٩ : ٩ ، ٣٠ ، ١٠ : ٣٤ ، لوقا ١١ : ٣٠).

٩ – "لهذا يحبنى الآب لأنى أضع نفسى لآخذها – أى يضحى ويبذل نفسه – **ليس أحد يأخذها منى بل أضعها أنا من ذاتى. لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها أيضاً** (يو١٠ : ١٧ ، ١٨).

ماذا تعنى قيامة المسيح لنا ؟

١ – ان معجزة قيامة المسيح من الأموات هى أساس لمعجزة قيامتنا الجسدية بعد أن تحول جسدنا الى تراب ورماد (١كو١٥).

٢ – وقيامة المسيح هى أساس معجزة قيامتنا الروحية من قبور الخطية والعادات الشريرة ومن عبودية الشيطان، ولذلك يقول رب المجد "تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون" (يو٥ :٢٥) وقد قصد الرب بكلمة "وهى الآن" أى فى كل وقت ينادى فيه بكلمة المسيح ان الاموات بالذنوب والخطايا يحيون. فهو الذى قال "الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة" (يو٦ : ٦٣). وفى نفس المعنى قال الرسول يوحنا فى رؤياه "**مبارك ومقدس من له نصيب فى القيامة الأولى. هؤلاء ليس للموت الثانى سلطان عليهم**" (رؤ٢٠:٦).

القيامة الأولى هى القيامة الروحية بالتوبة والقيامة الثانية هى قيامة الجسد. بينما

الموت الأول هو الموت الجسدى والموت الثانى هو الهلاك الأبدى فى جهنم. لهذا يقول الرسول بولس "إن كنتم قد قمتم مع المسيح فأطلبوا ما فوق" (كو٣ : ١).

٣ – **إن قيامة المسيح تثبت ألوهيته لأنه لا يستطيع انسان ان يقوم من الموت بإرادته وسلطانه. فالمسيح قام لأنه آله. وهو آله لأنه قام بسلطانه.** ولماذا لا يستطيع الإنسان أن يقيم ذاته؟ الأجابة هى لأنه خاطئ وأجرة الخطية موت والنفس التى تخطئ تموت. وأما المسيح فهو كامل ومعصوم وقدوس وبلا خطية ولذلك استطاع أن يقوم بإختياره كما مات بإختياره. ولذلك يقول الكتاب المقدس "وتعين (تبرهن) ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات" (رو١ : ٤).

٤ – **والقيامة تثبت موت المسيح الفدائى وصلبه**، ليس فقط بشهادته الشخصية، ولكن أيضاً بشهادة مئات من شهود الصليب والقيامة. وأيضاً بآثار المسامير فى يديه وقدميه وآثار طعنة الحربة فى جنبه.

٥ – **وقيامة المسيح تثبت صحة وصدق كلمة الله** والنبوات والكتاب المقدس اذ تمت جميع النبوات والرموز فى شخصه.

٦ – **ان قيامة المسيح تثبت إتمام خلاصنا وتبريرنا**، فقد مات من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا" (رو٤ : ٢٥). ومعنى هذا أن قيامة المسيح تثبت قبول الآب السماوى لذبيحة المسيح الكفارية على الصليب.

٧ – **ان أسرار الكنيسة الخلاصية كالمعمودية والتناول تستمد قوّتها وفاعليتها من قيامة المسيح.** ففى المعمودية نحن نموت مع المسيح وندفن معه ونقوم معه فى جدّة الحياة. وان كنا قد اتحدنا مع المسيح بشبه موته فإننا نتحد أيضاً معه فى قيامته (رو٦).

وفى سر التناول نأكل جسد الرب المحيى ونشرب دمه المحيى أيضاً الذى به نغلب الموت، ولذلك قال الرب "من يأكل جسدى ويشرب دمى تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير" (يو٦ : ٥٤). فنحن إذ نتحد بجسد الرب ودمه نأخذ به عربون القيامة والحياة الأبدية.

المعجزة السابعة – الأكفان المرتبة والمنديل الملفوف بالقبر الفارغ

" وكان الاثنان – بطرس ويوحنا – يركضان معاً فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولاً الى القبر وانحنى فنظر الأكفان موضوعة، ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر الأكفان موضوعة والمنديل الذى كان على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان بل ملفوفاً فى موضع وحده . . . فرأى وآمن" (يو٢٠ : ٤–٨).

هذه الكلمات التى يعبرّ الناس عليها مرور الكرام دون إدراك لمعانيها، تتضمن معجزة

عجيبة تثبت قيامة الرب يسوع المسيح من الموت بالجسد المجّد. **فعندما قام رب المجد قام بجسد آخر متغيّر ذى طبيعة جديدة خاصة وصفه الرسول بولس بأنه 'جسد مجده** وقال اننا نحن المؤمنون أيضاً سنقوم بأجساد مماثلة تتفق مع الحياة الأبدية فى السماء مع الرب، فقال انه "سيغيّر شكل جسد تواضعنا ليصير على صورة جسد مجده" (فى٣ : ٢١). ووصف هذا الجسد فى الآيات التالية انه توجد "أجسام سماوية وأجسام أرضية ... هكذا أيضاً فى قيامة الأموات. يزرع فى فساد ويُقام فى عدم **فساد**. يزرع فى هوان **ويقام فى مجد**. يزرع فى ضعف **ويقام فى قوة**. يزرع جسماً حيوانياً. **ويقام جسماً روحانياً** ... وكما لبسنا صورة الترابى **سنلبس أيضاً صورة السماوى** ... لأن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ..." وأضاف انه عند البوق الأخير يقام الأموات عديمى فساد" (١كو١٥ : ٤٠-٥٢). **وهذا الجسد الممجد ليس مادياً ولكنه كأجساد الملائكة له طبيعة نورانية روحانية أثيرية غير كثيفة ولذلك استطاع السيد المسيح بها أن يخرج من الأكفان التى كانت تحيط بجسده وظلت الأكفان محتفظة بلفاتها، وكل ما هنالك أنها هبطت على 'المنامة' التى كان الجسد راقداً عليها. وكذلك المنديل الذى كان ملفوفاً ومستديراً حول رأسه أيضاً، استمر ملفوفاً كما هو وموضوعاً فى نفس مكانه!** وهكذا خرج المسيح بجسده المجّد، ليس من الأكفان فقط، بل ومن القبر أيضاً والحجر الضخم الثقيل المختوم بخاتم الدولة الرومانية لا يزال كما هو فى مكانه الى أن جاء الملاك ودحرج الحجر ليكشف عن القيامة المجيدة ويبشر النسوة الحاضرات بأخبار القيامة المفرحة "لا تخافا أنتما فانى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب. ليس هو ههنا لأنه قام كما قال. هلما انظرا الموضع الذى كان الرب مضطجعاً فيه. وذهبا سريعاً قولا لتلاميذه انه قد قام من الأموات. ها هو يسبقكم الى الجليل وهناك ترونه" (مت٢٨ : ٥-٧).

أما وجه المعجزة فى الأكفان المرتّبة والمنديل الملفوف وحده مكان الرأس فتظهر فى خروج جسد المسيح المقام المجّد منها وهى كما هى بذات لفّاتها وفى مكانها. وهى بذلك تشهد لقوة ومجد وجلال هذه القيامة المعجزية العجيبة **ولذلك قال الأنجيل ان يوحنا عندما رآها آمن. كما انها تشرح لنا نوعية قيامتنا نحن أيضاً عند مجئ المسيح الثانى اذ سنخرج من القبور والأكفان ولا تستطيع هذه ولا تلك أن تمسكنا.**

إن وضع الأكفان والمنديل هنا يختلف عن وضعهما عندما اقام السيد المسيح لعازر من الأموات لأن لعازر قام بذات جسده الأرضى الترابى ولذلك يقول الكتاب "فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل. فقال لهم يسوع حلّوه ودعوه يذهب" (يو١١ : ٤٤). لأنه لو لم يحلوه من هذه الأكفان لأختنق لعازر ولما استطاع أن يتحرك!

ويلاحظ أيضاً انه عندما يقوم انسان عادى من نومه ويجد نفسه مربوطاً بكل هذه الأربطة فلابد أن يحلها أولاً وبذلك يتغير منظرها ونظامها. وكذلك يتغير مكان الرأس والمنديل الذى سيحاول أن يفكه وينزعه من حول رأسه ومن على عينيه. وأما أن **يخرج جسد يسوع من**

وسط الأكفان وتبقى هذه بذات لفّاتها وترتيبها ويبقى المنديل ملفوفاً كما هو فى مكان رأس المسيح وهونائم، فهذه فى حد ذاتها معجزة وتشهد عن معجزة اعظم هى معجزة القيامة المجيدة.

الأكفان المرتبة والمنديل تهدم الأدعاء بسرقة الجسد

لقد تآمر رؤساء كهنة اليهود وشيوخهم على إنكار معجزة القيامة فأعطوا الحراس الرومان رشوة وأوصوهم بالاّ يذيعوا أخبار القيامة ولقّنوهم الأكذوبة بأن يقولوا أن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوا جسد المسيح وهم نيام!

أن أضعف الناس عقلاً لا يصدق هذه الاكذوبة الساذجة المردود عليها بالكثير من الأدلة الدامغة ومنها الأكفان المرتبة، وغيرها على سبيل المثال بإختصار:

١ – **أن القبر كان يحرسه عدد ضخم من الحراس الرومان واليهود** والفريسين الذين عددهم يتراوح بين ٧٠ ومائة ولا يعقل أن يناموا جميعاً.

٢ – **لا يعقل أن ينام الكل معاً ولا سيما فى اليوم الثالث** الذى كان عندهم معلومات بأن المسيح أعلن مقدماً انه سيقوم فيه وطلبوا لذلك من بيلاطس حراسة خاصة مشددة وأجاب طلبهم (مت٢٧ : ٦٢-٦٦).

٣ – **من غير المعقول انه حتى لو فرضنا جدلاً المستحيل بأن جميع الحراس ناموا، أن يعترفوا على أنفسهم بأنهم ناموا وكانت عقوبة** الجندى الذى ينام اثناء نوبة حراسته هى الاعدام (أع١٢ : ١٩ ، ١٦ : ٢٧).

٤ – **كيف عرف الحراس النائمون ان تلاميذ المسيح هم الذين سرقوه؟** وكيف تقبل شهادة شهود زور مفضوحة الكذب يعترف فيها أصحابها بأنهم كانوا نياماً؟!

٥ – **من أين أتت الشجاعة للتلاميذ** العزّل الذين هربوا عند القبض على معلمهم بأن يقتحموا صفوف الحراس المسلحين ويسرقوا الجسد دون ان يستيقظ الحراس ويقبضوا عليهم؟!

٦ – **كيف أمكن للتلاميذ أن يدحرجوا الحجر الضخم ويكسروا أختام الدولة الرومانية عليه دون أن يسقط الحجر الضخم على رأس النائمين فيسحقهم أو يوقظهم؟!**

٧ – **ما مصلحة التلاميذ فى سرقة جسد أو جثة ميتة** والمناداة كذباً بأن صاحبها قد قام، طالما أن هذا لا يكسبهم نفعاً بمال أو مركز بل على العكس عرّضهم للحبس والقتل والتعذيب؟!

٨ – **هل كانت أخلاق التلاميذ، الذين علموا العالم أروع فضائل المحبة والطهارة والصدق والأمانة، تتفق مع ادعاءات اليهود السخيفة بإتهامهم بالسرقة والكذب والغش والعنف؟!**

٩ – **لماذا لم يُحاكم التلاميذ، فى مثل هذه الحالة والقضية الكبيرة التى أثارت الرأى العام** (٢ مليون يهودى كانوا فى اورشليم لحضور الفصح والرومان)، **بتهمة نبش القبور وسرقة جسد المسيح وفض أختام الدولة** الرومانية بغرض إثارة فتنة كبرى بين الشعب.

١٠ – **أين هو جسم الجريمة؟** ولماذا لم يفتش اليهود والرومان عن جسد المسيح المزعوم بسرقته واورشليم مدينة صغيرة ولم يكن هناك طائرات ولا قطارات ولا سيارات فى ذلك الزمان؟! لاشك أنهم حاولوا البحث والتفتيش فى كل مكان ولم يجدوا شيئاً مما يثبت معجزة القيامة، وإلا فأين وضع التلاميذ الجسد المسروق المزعوم؟!

١١ – **كيف نُعلل الشجاعة والقوة والفرح الذى نادى به تلاميذ المسيح بالقيامة فى كل مكان بسبعة عشر لغة** (أع٢ : ٥–١٢)، بعد أن كانوا ضعفاء خائفين وحزانى ثم تغيّر الحال فجأة فى يوم أحد القيامة؟!

١٢ – **وكيف حل الروح القدس على التلاميذ وملأهم بالقوة وايدهم بالمعجزات واللغات لو كانوا كاذبين؟!**

١٣ – كيف نُعلل تركيز التلاميذ كرازتهم على كلمتين هما "**يسوع والقيامة**" (أع١٧ : ١٨).

١٤ – **كيف نُعلل تغيير يوم الرب المقدس بعد ٤٠٠٠ سنة من السبت اليهودى الى الأحد المسيحى وهو يوم قيامة الرب يسوع المسيح** من الأموات، بل وقد صار عيداً اسبوعياً لكنيسة المسيح منذ ذلك اليوم والى الآن بل والى الأبد حيث يرنم فيه ملايين المسيحيين "هذا هو اليوم الذى صنعه الرب فلنبتهج ونفرح فيه" (مز١١٨ : ٢٤).

١٥ – **ولو فرضنا جدلاً أيضاً بأن التلاميذ كانوا كاذبين وسارقين، فكيف نُعلل مصاحبة تبشيرهم بقيامة المسيح بعجائب وقوات ومعجزات** آلهية جبارة أيدهم الرب بها مثل إقامة الموتى وشفاء المرضى ومعرفة الغيب بما يحفل به سفر أعمال الرسل (أع٣ ، ٤ ، ٥ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦)؟

١٦ – **وكيف صارت تحية المسيحيين لبعضهم منذ ذلك اليوم الى الآن 'إخرستوس أنستى . . . أليسوس آنستىَ . . . المسيح قام . . . بالحقيقة قام'؟!** وكيف انتشرت المسيحية بقوة البشارة المفرحة بقيامة المسيح التى فتحت للبشرية باب رجاء الخلاص والحياة الأبدية، بدون استعمال سلاح ولا سيف ولا شهوات (كما هو الحال بالنسبة للأسلام مثلاً)؟

١٧ – **ان الأكفان المرتبة والمنديل الملفوف فى مكان الرأس بالقبر الفارغ تعتبر من أقوى الأدلة على نفى الأفتراء السخيف بسرقة التلاميذ لجسد المسيح**، لأنه لو صح ذلك لحملوا الجسد كما هو بالأكفان والكتان الملفوف حوله – **ولا يعقل بداهة أن يكونوا قد حلّوا هذه الأكفان ثم سرقوا الجسد عارياً وعادوا ولفّوها ورتبوها ثانية** ووضعوها فى مكانها ووضعوا المنديل وحده فى مكان الرأس ولفّوه . . . ألخ.

أليس ذلك إدعاءاً مضحكاً أقرب الى الهزل منه الى الجد؟ وهل يرتب اللصوص الحجرة والسرير بعد أن يسرقوا وقبل أن ينصرفوا، وخاصة اذا كان الموضع يموج بالحراس والجنود المسلحين؟!!

الساكن فى السموات يضحك

لقد كان داود النبى والملك محقاً حين قال فى المزمور الثانى " لماذا أرتجّت الأمم وتفكرت الشعوب بالباطل. قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه قائلين لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما. الساكن فى السموات يضحك. الرب يستهزئ بهم. حينئذ يتكلم بغضبه ويرجفهم بغيظه. أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى . . . الرب قال لى أنت أبنى. أنا اليوم ولدتك. أسألنى فاعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصى الأرض ملكاً لك. تحطمهم بقضيب من حديد ومثل آنية الفخار تسحقهم. فالآن يا أيها الملوك تعقلوا. تأدبوا ياقضاة الأرض. أعبدوا الرب بخوف وأهتفوا برعدة. قبّلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق لأنه عن قليل يتقد غضبه. طوبى لجميع المتكلين عليه" (مز٢).

١٨ – **أضف الى ذلك نبوات أنبياء العهد القديم عن قيامة المسيح** (مز١٦ ، ٢٤ ، مت١٢ : ٤٠).

١٩ – **شهادة رسل المسيح وشهود العيان الذين رأوا المسيح بعد قيامته وعددهم يزيد عن ستمائه شاهد** – أكثر من أى عدد شهود فى أى قضية من قضايا التاريخ (على النحو الذى شرحناه بالتفصيل فى كتاب قضية القيامة).

٢٠ – **بقى أن أشير الى ان معجزات الجلجثة المذكورة هذه كلها كانت حقيقية** ورمزية معاً وكلها تشير الى معانى روحية ونبوية معا وهى تشير الى خلاصنا ومصالحتنا وقيامتنا.

من كل ذلك يتبين ان معجزات الجلجثة فى موت المسيح الفدائى لخلاصنا لا تقل فى قيمتها وقوّتها عن المعجزات التى قام بها له المجد فى حياته على الأرض . . . ولذلك قال "وأنا أن أرتفعت عن الأرض (الى الصليب) أجذب اليّ الجميع" قال هذا مشيراً الى أيّة ميتة كان مزمعاً أن يموت" (يو١٢ : ٣٢ ، ٣٣).

حقاً أن جاذبية الصليب هى جاذبية الحب والفداء والحق والتضحية والخلاص والرجاء والحياة الأبدية، التى لا يستطيع أن يقف فى وجهها انسان ولا شيطان . . .

أبعاد الصليب

المسافة بين عرش الله فى الأعالى وبين أعماق الجحيم

"حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة" (أف٣ : ١٨)

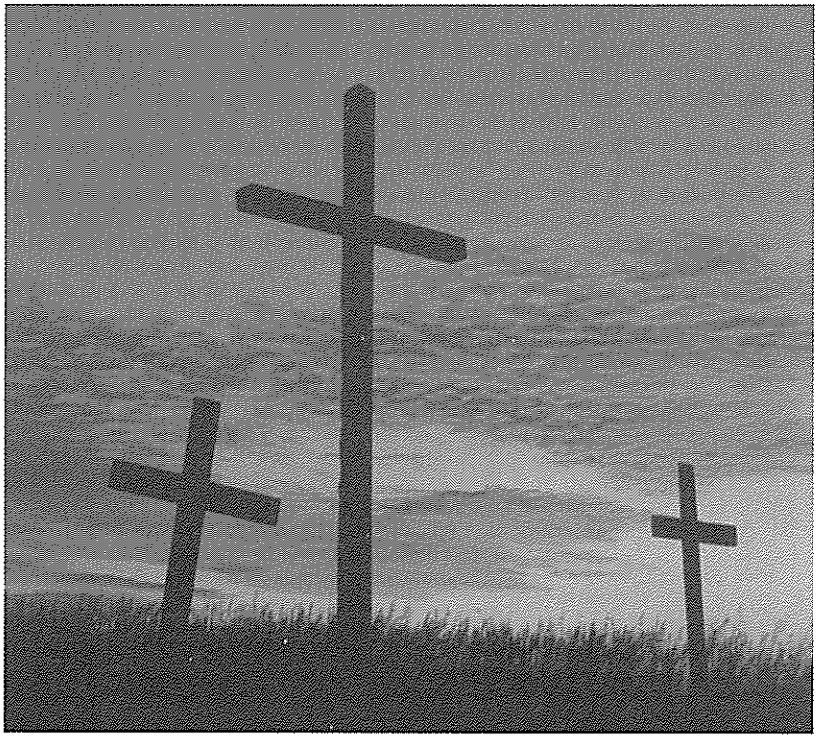

إن هذه المحبة اللانهائية التى ملأت قلب الرب يسوع المسيح له المجد من نحونا والتى سمّرته على الصليب، تليق بآله غير محدود . . .

لقد حاول رسول المحبة، التلميذ الذى كان يسوع يحبه يوحنا، أن يصف هذه المحبة الآلهية فلم يجد أفضل من هذه الكلمة "**هكذا** . . ."! أى بهذه الصورة وبهذه التضحية التى تفوق العقل فقال "**هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية**" (يو٣ : ١٦).

قيل عن أب أنه تلقى مكالمة تليفونية من مستشفى بأن ابنه الوحيد قد دهسته سيارة وأنه فى غرفة العناية المركزة فى حالة خطيرة. فإندفع الأب الى المستشفى وهناك أخبره طبيب الـ ICU أن أبنه مات ويمكنه أن يدخل ليلقى نظرة الوداع على الجثمان!

قال الأب أن الصدمة كانت أعظم من ان أحتمل وأظلمت الدنيا فى وجهى وصارت حياتى بائسة وخالية بلا معنى لمدة، الى أن عزانى الرب بهذه الآية التى هى ملخص الأنجيل كله يوحنا (٣ : ١٦)، وشعرت بعظمة محبة الله وتضحيته الجبارة لخلاصنا ومنحنا الحياة الأبدية التى لم نكن نستحقها أو أن نحلم بها، والتى سألتقى فيها مع المسيح ومع ابنى وجهاً لوجه فى أرض جديدة وسماء جديدة يسكن فيها البر والفرح والأمان بلا كدر الى الأبد.

يخطئ بعض الوعاظ عندما يفسّرون ويطبّقون الآية التى تقول: مالم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على بال انسان ما أعدّه الله للذين يحبونه" (١كو٢ : ٩)، فى مجال الحديث عن السماء. لاشك انها تصلح لذلك ولكننا لو رجعنا الى سياق الحديث لوجدنا الرسول بولس يتحدث عن الصليب إذ قال: "**لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد. بل كما هو مكتوب مالم تر عين ولم تسمع اذن** . . . ألخ، اى أنه لم تر عين أو تسمع اذن أو يخطر على بال أى انسان أن يحبنا الله بهذا المقدار حتى يسمح بصلب المسيح من أجل خلاصنا!

أبعاد الصليب

قال الرسول بولس "حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة" (أف٣ : ١٨). لقد أشار الرسول الطوباوى هنا الى أربعة أبعاد فما هى؟

١ - **العرض:** انها محبة مذهلة غطّت عرض الأرض وشملت جميع أجناس البشر وألوانهم ومعتقداتهم، وصفها داود النبى بقوله: "كبعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصينا" (مز١٠٣ : ١٢)

٢ - **الطول:** وشملت هذه المحبة الآلهية طول الأرض من القطب الشمالى الى القطب الجنوبى. وقال أحد أصحاب أيوب "أإلى عمق الله تتصل أم الى نهاية القدير تنتهى. هو اعلى من السموات فماذا عساك أن تفعل. اعمق من الهاوية فماذا تدرى أطول من الأرض طوله وأعرض من البحر" (أى١٠ : ٧-٩).

٣ - **والعمق:** لقد نزل المسيح الى الجحيم من قبل الصليب، وقيل عنه أنه "نزل الى أقسام الأرض السفلى". لقد أنتزع أسرى الشيطان من أعماق الهاوية والجحيم وحطّم رأس الحيّة القديمة ابليس بالصليب وحرر أسراه الذين ماتوا على الرجاء وأدخلهم الى الفردوس.

وقد وصف الرسول بطرس هذه الحقيقة وصفاً رائعاً بقوله "أن المسيح تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة لكى يقربنا الى الله **مُماتاً فى الجسد ولكن مُحيى فى الروح الذى فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن** . . ." (١بط٣ : ١٨-٢١). وقال أيضاً أنه "لأجل هذا بُشّر الموتى" (١بط٤ : ٦).

٤ – **العلو:** لقد نزلت هذه المحبة الآلهية من السماء وجاء المسيح من فوق، وهو الذى قال لليهود "**أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم، أما أنا فلست من هذا العالم**" (يو٨ : ٢٣). ووصف القديس يوحنا المعمدان أن الرب يسوع "الذى يأتى من فوق هو فوق الجميع . . . الذى يأتى من السماء هو فوق الجميع" (يو٣ : ٣١). وقال المرنم "**مثل أرتفاع السموات فوق الأرض قويت رحمته على خائفيه**" (مز١٠٣ : ١١).

وفى رسالته الى فيلبى قال الرسول بولس عن هذه الأبعاد أيضاً "فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس وإذ وُجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفعه الله (الآب) وأعطاه إسماً فوق كل اسم لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان بأن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (فى٢ : ٥-١١) وبعبارة اخرى يقول أن هذا الآله الذى أحبنا قد تخلّى بإرادته مؤقتاً عن أمجاده ونزل من السماء الى عالمنا ليفدينا ويموت على الصليب وقد مجّده الآب وعظّمه لتسجد له كل ركبة من الملائكة (فى السماء) والبشر (على الأرض) والشياطين (تحت الأرض) ويعترف كل لسان بربوبيته.

البعد الخامس: ولكن هناك بُعد خامس – خلاف العرض والطول والعمق والعلو – **وهو بُعد الزمن.** ففى تجسد السيد المسيح اتّحد اللاهوت مع الناسوت بغير اختلاط ولا أمتزاج ولا تغيير ولكن بسرّ آلهى. وكما قال القديس كيرلس الكبير بابا الأسكندرية العشرون أن المسيح بعد التجسد أصبح غير منقسم الى طبيعتين ولكن صارت له طبيعة واحدة جديدة للأبن الكلمة المتجسد. ولم يفارق لاهوته ناسوته فى تجسده لحظة واحدة ولا طرفة عين.

وترجع أهمية هذه العقيدة الأرثوذكسية العميقة الى أن اتحاد اللاهوت مع الناسوت فى شخص المسيح هو الذى أعطى فداءه البُعد الزمنى غير المحدود. فإنسان محدود لا يستطيع أن يفدى انساناً مثله. وفى هذا يقول المزمور "الأخ لن يفدى الانسان فداء ولا يعطى الله كفّارة عنه" (مز٤٩ : ٧). **ولكن بإتحاد لاهوت المسيح مع ناسوته أعطاه القدرة بأن يشمل فداءه الخليقة كلها عبر الزمن من آدم الى آخر بنى آدم فى العالم لأن الفادى الآلهى غير محدود فيكون فداؤه أيضاً غير محدود ليشمل جميع البشر** من البداية الى النهاية، وفى نفس الوقت يعطى فداء غير محدود.

داود النبى يتحدّث عن أبعاد اخرى للصليب

رأينا المرنم فى مزمور ١٠٣ يقول:'**مثل ارتفاع السموات فوق الأرض قويت رحمته على خائفيه. كبُعد المشرق من المغرب أبعد عنا معاصينا وهذه أبعاد شاسعة ومتقاطعة على شكل صليب فالسماء والأرض بُعد رأسى بينما المشرق والمغرب بُعد أفقى. ولكنه يضيف أبعاد أخرى عاطفية فيقول:'كما يتراءف الأب على البنين يترأف الرب على خائفيه'**

(مز١٠٣ : ١٢). ثم يتحدّث عن أبعاد اخرى للصليب يتعلق بصفات الله الآلهية الكاملة كالرحمة والعدل فيقول: "أما رحمة الله فإلى الدهر والأبد على خائفيه، وعدله على بنى البنين لحافظى عهده وذاكرى وصاياهُ (مز١٠٣ : ١٧). وفى مزمور ٨٥ يتحدث داود النبى بروح النبوة عن الحق (أو العدل) والرحمة وكيف ألتقيا وتعانقا وقبّل أحداهما الآخر فى الصليب فقال: "الرحمة والحق ألتقيا، والبر والسلام تلاثما" (مز٨٥ : ١٠).

العدل يقول أن أجرة الخطية هى موت" (رو٦ : ٢٣)، والرحمة تقول "الرب رحيم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة لا يحاكم الى الأبد ولا يحقد الى الدهر. لم يصنع معنا حسب خطايانا ولم يجازنا حسب آثامنا ... لأنه يعرف جبلتنا، يذكر اننا تراب نحن" (مز١٠٣). ويقول الرب أيضاً "محبة أبدية أحببتك لذلك أدمت لك الرحمة" (أرميا ٣١ : ٣).

وهكذا دبّرت حكمة الله الأزلية أن يدفع هو نفسه أجرة خطايانا ويموت عوضاً عنا ويقوم لتبريرنا (رو٤ : ٢٥). **ولذلك قال أحدهم "ان الخطية هى اغلى شئ فى الوجود سواء كانت مغفورة أوغير مغفورة. فلو كانت مغفورة فثمنها هو دم المسيح وأن كانت غير مغفورة فثمنها هو نار جهنم الى الأبد.** اذاً فالمسافة بين عرش الله فى الأعالى وبين أعماق الجحيم هى أبعاد الصليب ...

جـ
كاز
فى ط
رأينا
فى ال
(لو٢

جاذبية الصليب

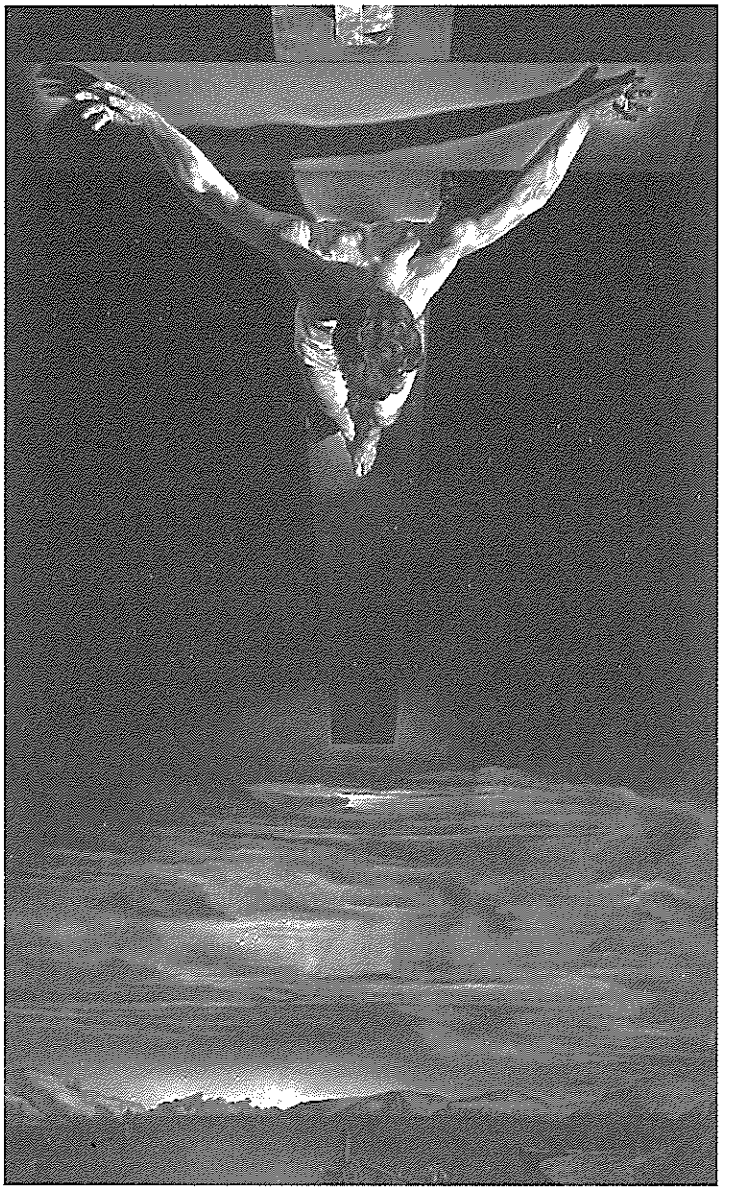

جاذبية المسيح فى حياته

كان رب المجد يسوع المسيح جذاباً جداً فى حياته بصورة لا مثيل لها فى التاريخ، حتى أنه فى طفولته جاءه ملوك وحكماء المجوس من المشرق وقالوا "أين هو المولود ملك اليهود فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له" (مت٢ : ٢). وفى سن ١٢ وجدته أمه والقديس يوسف فى الهيكل جالساً وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم وكل الذين سمعوه بُهتوا من فهمه وأجوبته" (لو٢ : ٤٦ ، ٤٧).

وبعد انتهائه من الموعظة على الجبل قيل عنه "بُهتت الجموع من تعليمه لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة" (مت٧ : ٢٨ ، ٢٩). وبعد قراءته نبوّة أشعياء النبى عن نفسه فى مجمع الناصرة " كان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه" (لو٤ : ٢٢). ومرة "فيما هو يتكلم رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت له طوبى للبطن الذى حملك والثديين اللذين رضعتهما" (لو١١ : ٢٧).

ولما تقابل مع نثنائيل وقال له جملة واحدة أجاب ذلك وقال: "يا معلم أنت ابن الله، أنت ملك اسرائيل" (يو١ : ٤٩). وبعد تبادل كلمات قليلة مع المرأة السامرية قالت هذه له "يا سيد أرى انك نبى!" (يو٤ : ١٩). ومرة أرسل رؤساء الكهنة والفريسيون خداماً ليقبضوا على يسوع ويحضروه لهم، وكان هو يتحدث الى الجموع فوقفوا يستمعون اليه فى ذهول وقد نسوا أنفسهم وعادوا بدونه. فقال هؤلاء لهم "لماذا لم تأتوا به؟ **'أجاب الخدام لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان'** (يو٧ : ٤٥ ، ٤٦).

ولم يكن السيد المسيح جذاباً فى كلامه وحواراته وأمثاله وتعاليمه فقط، **بل كان جذاباً فى معجزاته ايضاً**، هذه التى تنبأ عنها أشعياء النبى بقوله "حينئذ تتفتح عيون العمى وآذان الصُم ويقفز الأعرج كالأيّل ويترنم لسان الأخرس" (أش٣٥ : ٥ ، ٦). بل قال هو نفسه بفمه الطاهر لتلميذى يوحنا المعمدان فى السجن **'إذهبا واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران. العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يُبشرون، وطوبى لمن لا يعثر فىّ'** (مت١١ : ٤-٦). ولعله هو الوحيد فى هذه الدنيا الذى قال عن نفسه: **'طوبى لعيونكم لأنها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع. فانى الحق أقول لكم أن أبرارَ كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا** (مت١٣ : ١٦ ، ١٧).

ومن جاذبية المسيح أن عشرات الألوف كانوا يهرعون اليه حيثما ذهب فنقرأ مثلاً انه 'اجتمع ربوات الشعب حتى كان بعضهم يدوس بعضاً (لو١٢ : ١). وفى مدينة كفر ناحوم سُمع انه فى بيت فتقاطرت الجماهير **'وأجتمع كثيرون حتى لم يعد يسع ولا حول الباب وهجمت جيوش المرضى فلما لم يستطيعوا أن يصلوا اليه من الأزدحام تسلّق البعض سقف البيت ونقبوه وكشفوه ودلوّا سرير إنسان مشلول أمامه فشفاه فى الحال!** (مر٢ : ١-١٢).

كان مسيحنا العظيم العجيب يشفى جميع الأمراض بلا استثناء وبلا جراحة ولا دواء، أحياناً بلمسه وأحياناً بكلمة وأحياناً فى بلد آخر بناء على طلب الأقرباء وكان له المجد يصنع العجائب والمعجزات ويخلق أعضاء جديدة ويقيم الأموات بالمجان لا يتقاضى أجراً ولا تأميناً ولا سنتاً ولا مليماً!

واذا كان مجوس المشرق قد طلبوه فى مولده ليسجدوا له ويقدموا له هداياهم الرمزية

النبوية العجيبة، فإن اليونانيين جاءوه من الغرب وطلبوا من فيلبس قائلين 'يا سيد نريد أن نرى يسوعَ (يو١٢ : ٢٠-٢٤). ولكن كان وقت الصليب قد اقترب فأجاب يسوع "قد أتت الساعة ليتمجّد ابن الانسان. الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبّة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها. ولكن إن ماتت فهى تأتى بثمر كثير". **اذاً فهذه لهفة قلب الانسان من المشرق الى المغرب اشتياقاً لرؤية الله فى وجه يسوع المسيح.**

وكان المسيح جذاباً فى جماله وجلاله وكماله

قال سفر التكوين عن يوسف الصّديق انه "كان حسن الصورة وحسن المنظر" (تك٣٩ : ٦). وقال سفر الخروج عن موسى النبى أيضاً فى طفولته انه حسن الصورة (خر٢ : ٢)، ووصفه استفانوس بإنه كان جميلاً جداً" (أع٧ : ٢٠)، ووصف سفر صموئيل الأول داود بأنه "جبار بأس ورجل حرب وفصيح ويحسن العزف ورجل جميل وأشقر مع حلاوة العينين والرب معه (١صم١٦ : ١٨ ، ١٧ : ٤٢).

أما يسوع المسيح فقد وصفه داود النبى نفسه بأنه 'أبرع جمالاً من بنى البشرَ (مز٤٥)، وأن النعمة انسكبت على شفتيه. بل وصفه الرسول بولس مرة بأنه 'بهاء مجد الله ورسم جوهرهَ (عب١ : ٣)، **ووصفه مرة أخرى بأنه 'صورة الله غير المنظور . . . الذى فيه وبه وله خُلق الكلُ** (كو١ : ١٥ ، ١٦). **وكان سرّ جماله هو كماله وجلاله الآلهى وميلاده من الروح القدس وانه قدوس طاهر منزّه عن الضعف والخطية والمكر والغش والظلم والعنف ولذلك وصفه أحدهم بقوله: 'كان جماله جذاباً للقلب وكان جلاله باعثاً للرعب. اذا وعظ أبكى واذا وبخ أرعب وأرهبَ.**

عندما ذهب اليه الجنود واليهود ليلاً بمشاعل ومصابيح وسلاح ليقبضوا عليه سالهم "من تطلبون؟ أجابوه يسوع الناصرى. قال لهم أنا هو. فلما قال لهم أنا هو رجعوا الى الوراء وسقطو على الأرض" (يو١٨ : ٣-٦).

جاذبية المسيح فى صليبه وموته

ومع انه كان للسيد المسيح جاذبية لا تبارى فى حياته، إلا انه كان له أيضاً جاذبية أعجب وأوسع وأقوى فى موته على الصليب! هذه الجاذبية التى عبّر عنها هو بنفسه بقوله: "وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب اليّ الجميع. قال هذا مشيراً الى أيّة ميته كان مزمعاً أن يموت" (يو١٢ : ٣٢ ، ٣٣). اننا لم نسمع قط عن إنسان انه كان جذاباً فى موته، ولكن ألم يدعى يسوع المسيح "عجيباً"؟! (أش٩ : ٦).

لقد كان عجيباً فى موته مثلما كان عجيباً فى حياته. كان عجيباً فى نبواته الكثيرة عن موته. وكان عجيباً فى موته الفدائى من أجل العالم كله وحتى من أجل أعدائه وطلبه الصفح والمغفرة لصالبيه والدفاع عنهم وإلتماس الأعذار لهم بانهم "لايعلمون ماذا يفعلون".

فى حياته اقتصرت جاذبيته على الذين رأوه وسمعوه. وأما فى موته فقد تجاوزت جاذبيته ذلك الى ملايين وبلايين البشر الذين لم يروه وآمنوا به فى كل الأجيال وفى كل بقاع الأرض! وكما أن للعالم جاذبيته، فلا شك أن لخالق العالم جاذبية أعظم.

ولذلك صادق كل من عرف المسيح وآمن به وأحبه، على كلمات الرسول بولس **'حاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، الذى به صُلب العالم لى وأنا للعالمُ** (غل٦ : ١٤).

بل أن الذين آمنوا بالمسيح فى كل الأجيال والقرون أحبوه اكثر من أنفسهم ومن جميع البشر وتحدّوا الموت وضحوا بكل غال وثمين واستعذبوا العذاب فى سبيله. أليس هو الوحيد الذى استطاع أن يقول: 'من أحب أباً او أماً، او أبناً أكثر منى فلا يستحقنى'؟!.

قال عنه نابليون بونابرت "ان الذى أعرفه هو اننى أنا والأسكندر الأكبر وشارلمان فتحنا ممالك بالحرب والسيف والمدفع، ولكن يسوع المسيح وحده هو الذى غزا العالم كله بحبه وبدون سيف ولا مدفع ويطالب بالقلب البشرى كحق له، ومن العجيب انه يعطاه بكل استحقاق"!.

وقال آخر: "لو دخل علينا اليوم شكسبير لوقفنا إجلالاً لعبقريته، ولو دخل علينا نابليون لأنحنينا احتراماً لبطولاته، ولكن لو دخل علينا يسوع المسيح لسجدنا جميعاً عند موطئ قدميه" هذا وقد كتبنا فصلاً مستقلاً فى هذا الكتاب عن جاذبية الصليب التى تتحدّى جاذبية العالم فى رمز عود الخشب الذى ألقاه أليشع النبى فى نهر الأردن فجعل الحديد يطفوا ويعوم.

إن جاذبية الصليب هى جاذبية الحب وقد قال الحكيم سليمان كلماته الرائعة فى ذلك "أن المحبة قوية كالموت. الغيرة قاسية كالهاوية. لهيبها لهيب نار لظى الرب. مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة والسيول لا تغمرها. إن أعطى الانسان كل ثروة بيته بدل المحبّة تحتقر احتقاراً" (نش٨ : ٦ ، ٧).

فى الصليب نجد أروع صورة للمحبة البازلة المضحيّة بنفسها من أجل الآخرين "فهكذا الحياة الأبدية" (يو٣ : ١٦). وقال أيضاً له المجد "ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" (يو١٥ : ١٣). وقال "ابن الانسان لم يأت ليُخدم بل ليِخدم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مت٢٠ : ٢٨). بل يصف الرسول بولس هذه المحبة والتضحية العجيبة بقوله أن المسيح مات من أجل الأعداء ومن اجل الخطاة ومن أجل الفجّار (رو٥ : ٦-١٠).

يخبرنا التاريخ والتقليد القديم أن لونجينوس قائد المئة الجندى الرومانى القاسى القلب الذى طعن جنب المسيح بالحربة، انه كان أعور بعين واحدة، فلما طعن المسيح وخرج من جنبه دم وماء جاءت قطرة منهما على عينه العمياء فأبصر فى الحال!

هذه هى جاذبية الصليب التى تحسن الى الأعداء وتصنع الخير والمعجزات لهم ولذلك فلا عجب أن الرجل آمن بالمسيح وصار مبشراً به وشهيداً على اسمه فيما بعد!

وكانت جاذبية الصليب أيضاً فى صبر المصلوب واحتماله بهدوء عجيب آلاماً رهيبة حتى قيل "ليُهدى الرب قلوبكم الى صبر المسيح" (٢تس٣ : ٥). بل قيل اكثر وأعجب من ذلك "ناظرين **الى رئيس الايمان ومكمّله يسوع الذى من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزى فجلس فى يمين عرش الله**" (عب١٢ : ٢).

وظهرت جاذبية الصليب فى عدم تأثر المصلوب بالاستهزاء والسخرية والاهانات والاستفزازات البشرية والشيطانية التى طالبته بلإظهار قوّته فى النزول عن الصليب حتى يؤمنوا به، فرفض لأنه لو أجابهم الى طلبهم لهلكوا وهلكت البشرية كلها معهم!

حقاً أن أعظم عمل عمله المسيح لم يكن هو إقامة لعازر من الموت بعد أربعة أيام، ولم يكن شفاء الأمراض المستعصية ولا إخراج الشياطين ولا المشى على الماء، ولكنه كان موته الاختيارى وارتفاعه على الصليب لفداء وخلاص الانسان . . . هذا العمل الذى وصفه بقوله مرة "من أجل هذه الساعة أتيت" (يو١٢ : ٢٧)، ومرة أخرى "وأنا أن ارتفعت عن الأرض أجذب اليّ الجميع" (يو١٢ : ٣٢).

فياليت مغناطيسيّة الصليب تجذبنا اليه بقوة لنثبت فيه الى أن نراه وجهاً لوجه فى مجده وملكوته السماوى الأبدى، وإذ نجذب اليه نجذب معنا كل من نتصل به عن قرب أو عن بعد، ونرنم مع ملايين المنتصرين نشيد النصرة المجيد "من سيفصلنا عن محبة المسيح. أشدّة أم ضيق، أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف . . . ولكننا فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا. فإنى متيقّن انه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا امور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة اخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا (رو٨ : ٣٥-٣٩).

صليب المسيح وصليب المؤمنين

"إتبعنى حاملاً الصليب" (مر١٠ : ٢١)

"ومن لا يحمل صليبه ويأتى ورائى فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً" (لو١٤ : ٢٧)

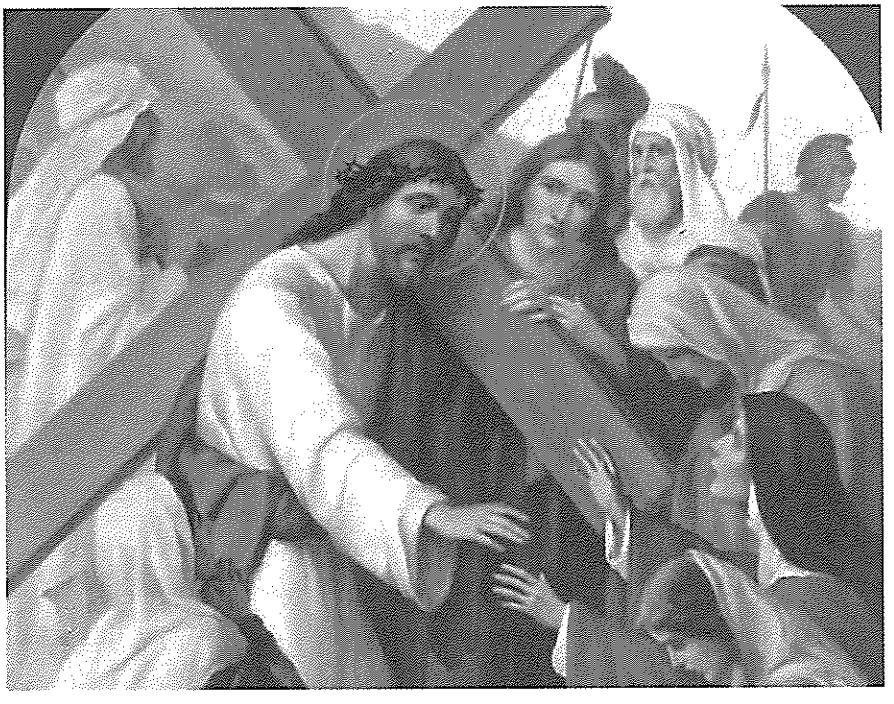

تحدثنا فيما سبق عن الصليب كعقيدة ولاهوت ومدرسة وعلم وشعار وبركة وقوة وفداء وحياة. وأريد الآن الحديث عن بعض المعانى للصليب فى حياة المسيح وفى حياة الانسان المسيحى ....

أولاً - معانى صليب المسيح فى آيات

١ - **بذل النفس:** "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة االأبدية (يو٣ : ١٦). "ان ابن الانسان لم يأت ليُخدم بل ليِخدم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مت٢٠ : ٢٨).

٢ - **أعظم حب:** "ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل احبائه" (يو١٥ : ١٣).

٣ - **إتمام إرادة الله حتى الموت:** "يا أبتاه ان أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس. ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت" (مت٢٦ : ٣٨ ، ٤٢).

٤ – **احتمال الهزء والسخرية والتعيير والأهانة:** "ناظرين الي رئيس الايمان ومكمّله يسوع الذى من أجل السرور الموضوع امامه احتمل الصليب مُستهيناً بالخزى فجلس فى يمين عرش الله". فتفكروا فى الذى احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلوّا وتخوروا فى نفوسكم" (عب١٢ : ٢ ، ٣).

٥ – **أعظم درجات الطاعة:** "وإذ وُجد فى الهيئة كأنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب" (فى٢ : ٨). " ومع كونه إبناً تعلّم الطاعة مما تألم به. وإذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى" (عب٥ : ٨ ، ٩).

٦ – **المصالحة وقتل روح العداوة بالصليب:** "وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه" (كو١ : ٢). إذ محا الصك الذى علينا الذى كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمّراً اياه بالصليب" (كو٢ : ١٤).

٧ – **سحق الشيطان:** نسل المرأة يسحق رأس الحيّة" (تك٣ : ١٥). "وجرد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه" (كو٢ : ١٥). وإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضاً فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى أبليس. ويعتق اولئك الذين كانوا تحت العبودية" (عب٢ : ١٤ ، ١٥)، "لأجل هذا أظهر ابن الله لكى ينقض أعمال ابليس" (١يو٣ : ٨).

٨ – **الغفران للمخطئين والمسيئين:** كانت اولى كلمات المسيح على الصليب هى "إغفر لهم يا أبتاه لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لو٢٣ : ٣٤).

٩ – **فتح باب الفردوس:** وكانت كلمة المصلوب الثانية على الصليب بعد الغفران هى إدخال اللص التائب الى الفردوس استجابة لطلبه ولإيمانه واعترافه بتوبته وبألوهية المسيح. لقد إعترف بخطاياه فى قوله لزميله اللص الآخر "إلا تخاف الله. أمّا نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلناه. وإما هذا فلم يفعل شيئاً ليس فى محله" (لو٢٣ : ٤٠). "ثم قال ليسوع أذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك" (لو٢٣ : ٤٢). ونلاحظ هنا انه آمن بقلبه واعترف بفمه ان المسيح هو رب. ومعروف انه لا يستطيع أحد أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس (١كو١٢ : ٣). ويقول الكتاب أيضاً "لأنك إن أعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك خلصت. لأن القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص" (رو١٠ : ٩). ولذلك سمع ذلك اللص اليمين صوت المسيح يقول له أجمل خبر مفرح سمعه – أو يمكن أن يسمعه أى انسان – "فقال له يسوع الحق الحق أقول لك انك اليوم تكون معى فى الفردوس" (لو٢٣ : ٤٣).

١٠ – **إكمال الخلاص والحياة الأبدية:** وبعد الفردوس كان سر دخول الجمع العظيم الذى لا يستطيع أحد أن يعدّه الى السماء والمتسربلون بالثياب البيضاء هو انهم غسلوا ثيابهم فى دم الخروف (رؤ٧ : ١٤).

ثانياً – صليب المؤمنين

١ – **أنه صليب الافتخار:** قال الرسول بولس "حاشا لى أن افتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح" (غل٦: ١٤).

٢ – **صلب العالم:** ان تكملة الآية السابقة هى "الذى به صُلب العالم لى وأنا للعالم" (غل٦ : ١٤).

٣ – **صلب الجسد والأهواء والشهوات:** "الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" (غل٥ :٢٤).

٤ – **الانتصار على الشيطان:** "وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت" (رؤ١٢ : ١١).

٥ – **احتمال الألم والأضطهاد:** "ناظرين الى رئيس الايمان ومُكمّله يسوع الذى من أجل السرور الموضوع أمامه أحتمل الصليب مستهيناً بالخزى فجلس فى يمين عرش الله، فتفكروا فى الذى أحتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلوّا وتخوروا فى نفوسكم" (عب١٢ : ٢ ، ٣).

٦ – **الموت والقيامة مع المسيح:** "مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ. فما احياه الآن فى الجسد أنما أحياه فى الايمان، إيمان ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى" (غل٢ : ٢٠ ، رو٦ : ٤-٦).

٧ – **المحبة والغفران للآخرين:** "مسامحين بعضكم بعضاً. ان كان لأحد على أحد شكوى. كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً. وعلى جميع هذه البسوا المحبة التى هى رباط الكمال" (كو٣ : ١٣ ، ١٤).

٨ – **الصبر فى الأمراض والضيقات:** "فإذ تألم المسيح بالجسد تسلّحوا بهذه النية" (١بط٤ : ١)

٩ – **مقاومة الشر والفساد:** "مصارعتنا ليست مع دم ولحم ولكن مع اجناد الشر الروحية (أف٦)

١٠ – **فرح الرجاء فى السماء:** "فرحين فى الرجاء" (رو١٢) من اجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب" (عب١٢ : ٢). "الذين غسّلوا ثيابهم فى دم الخروف هم أمام عرش الله ويخدمونه نهاراً وليلاً . . . ويمسح الله كل دمعة من عيونهم" (رؤ٧ : ٩-١٧).